
www.kotobarabia.com
فلسطين
فى ظل الصراعات الاستراتيجية
www.kotobarabia.com
محمد زينهم السلوم

محمد الزينو السلوم

فلسطين

"في ظل الصراعات الاستراتيجية"

١٩٩٧

بسم ا   الرحمن الرحيم

" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة "

" وإن جنحوا للسلم فاجنح لها .. "

صدق ا   العظيم

" القوة وحدها هي التي تحقق السلام العادل .. "

الإهداء:

إلى القابضين على الجمر ..
إلى الصامدين في مواقعهم حتى الشهادة أو النصر ..
إلى ثوار الانتفاضة وأطفال الحجارة في فلسطين ..
إلى الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فداء لأمتهم العربية
إلى أجيالنا القادمة من الشمس ..

مقدمـــة

إن الاستراتيجية ليسـت فقـط اسـتخلاص الخبـرات وتنظـيم الامكانات ولكنها إلى جانب ذلك برمجـة مدروسـة وتنبـؤ نظـري للمستقبل يضعه القادة السياسـيون بمعرفـة الخبـراء والمفكـرين والعلماء والمنظرين يستند إلى المخططات والأهداف بعيـدة المـدى المنشودة من خلال أرضية (سياسية- عسكرية- اقتصادية - دولية ... الخ) الغاية منها الوصول إلى الأهداف العامة والمرسومة التـي تخدم إرادة الجهة صاحبة العلاقة، وهي قابلـة باسـتمرار للتطـور والتبدل حسب المتغيرات التي قد تطرأ عليها. وهذه يمكن أن نسميها "الاستراتيجية العليا" والتي تـرتبط بهـا بـاقي الاسـتراتيجيات أي السياسة العامة للأمة، وقد تطورت وتعددت حتى دخلت فـي إطـار صراع الاستراتيجيات في العالم والتي تقودهـا مصـالح كـل أمـة ونظرتها الاستراتيجية للمستقبل".

وهذا الكتاب الذي أسـميته " فلسـطين فـي ظـل الصـراعات الاستراتيجية " هو تكملة أو تواصل للمؤلف الأول " تاريخ الحـرب والاستراتيجية وملامحهما العربية " الذي صدر فـي عـام ١٩٨٤ والذي تضمن دراسة تحليلية عن تـاريخ الحـرب والاسـتراتيجية، مروراً بالحرب العالمية الأولى والثانية، ودراسـات مفصـلة حـول تجارب الحروب وتطور المذاهب العسكرية والمبادئ الثابتة وأصحاب نظريات الحرب في الصراع المسلح والحرب الصاعقة، وجاء الفصل الأخير عن الحركة الصهيونية ومراحل الغزو الصهيوني لفلسـطين بدءاً من عام ١٩٢١م واستراتيجية اسـرائيل العسـكرية وملامـح استراتيجية عربية ومستقبل هذه الاستراتيجية من خـلال الصـراع العربي - الاسرائيلي حتى نهاية عام ١٩٨٣. وقد جاءت دراسـتنا هذه استكمالاً له حيث يبدأ الفصل الأول بدراسة لرواد الإستراتيجية ، الحديثة ، وبعض النظريات الاستراتيجية المعتمـدة فـي العـالم ...

كالاستراتيجية الألمانية – الفرنسية – الأمريكية – الروسية – الإسرائلية – وكذلك الإستراتيجية من خلال السياسة الدولية في العالم ،

وفي الفصل الثاني ، الذي يشمل الحروب الأخيرة في المنطقة : الحرب العراقية – الإيرانية – والغزو الإسرائلي العسكري والإقتصادي للبنان ، وأزمة الخليج . ومنعكساتها وفي الفصل الثاني الذي شمل الحرب العراقية - الايرانية والغزو الاسرائيلي للبنان - وأزمة الخليج مسبباتها ونتائجها ومنعكساتها .. وهي المستجدات على الساحة العربية بعد عام ١٩٨٣...

وفي الفصل الثالث - فلسطين من الجذور وحتى القرن التاسع عشر..

وفي الفصل الرابع - الصهيونية الناشطة ورد الفعل الفلسطيني منذ البدايات وحتى الوقت الحاضر. وكذلك تضمن الفصل الحركة الصهيونية ومراحل الغزو الصهيوني لفلسطين.

وجاء الفصل الخامس ليتحدث عن الاستراتيجية الاسرائيلية السياسية والعسكرية حتى نهاية القرن الحالي.

أما الفصل السادس فتضمن استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط حتى نهاية القرن العشرين بحيث تشمل استراتيجيتها العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك مواقفها من اتفاقية كامب - ديفيد وحتى مبادرة السلام، وكذلك استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية بعد أزمة الخليج وحتى نهاية القرن العشرين من وجهة النظر الأمريكية ووجهة نظر الكاتب.

وفي الفصل السابع الذي يتضمن الاستراتيجية في فكر القائد حافظ الأسد ودور سوريا في الصمود والتصدي.

وفي الفصل الأخير ملامح الاستراتيجية العربية ومستقبلها من خلال الصراع العربي- الاسرائيلي ودور سوريا القيادي في توجيه هذا الصراع لصالح الأمة العربية في الزمن الصعب.

وبهذا أكون قد حققت تواصلاً بين المؤلف الأول " تاريخ الحرب والاستراتيجية وملامحهما العربية" والمؤلف الحالي " فلسطين فـي ظل الصراعات الاستراتيجية " لتوضيح الصراع العربي - الصهيوني واستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية بعد أزمة الخلـيج والتفـرد بالقوة العسكرية في العالم بعد انهيار الاتحـاد السـوفياتي والنظـام الاشتراكي في العالم ونتائج سياسة القطب الواحـد وأثرهـا علـى الساحة الدولية والعربية ..

وبهذا أكون قد حققت تواصلاً بالفصول وتسلسلاً منطقياً لها وأرجو أن أكون قد وفّقت فيما ذهبت إليه وا من وراء القصد.

المؤلـــف

الفصل الأول

أولاً - رواد الاستراتيجية الحديثة وبعض النظريات الاستراتيجية المعتمدة:

كانت الاستراتيجية في العصور القديمة علماً وفنـاً يحتكرهمـا القادة العسكريون الكبار كهانيبال والاسكندر المقدوني، وكان ظهـور قائد عسكري ناجح كاف لتحقيق اختلال في التوازن الاسـتراتيجي، وكان مفهوم الاستراتيجية يشكل التأهب للحرب وإدارتها باسـتخدام القوات المسلحة وبالوسائل الفكرية فقط، وفـي القـرون الوسـطى اقتصرت الاستراتيجية على البحث في الصدام بمعارك فوريـة فـي أوربا، أما في الشرق فقد تـابع بعـض القـادة تطبيـق الأسـاليب الاستراتيجية القديمة كخالد بـن الوليـد، واسـتخدموا المنـاورات والخدعة والحركة والمفاجأة على أوسع نطاق ولكنها بقيت محدودة ولا تشمل باقي النشاطات، وما أن بزغ عصر النهضة حتـى بـدأت الاستراتيجية تعود إلى مكانها الطبيعي ومن خلال بعـض المفكـرين كميكافللي" فن الحرب" وفيجتس في كتاب " فن العسكرية " وجعلوها علماً اجتماعياً يـرتبط بالنظريـات ووجهـات النظـر الاقتصـادية والقانونية والسياسية وقد انتقد ميكافللي في كتابه فن الحرب فكـرة استخدام الجيوش المرتزقة، ودعا إلى الحرب الشاملة مستخدماً الأمة كلها وبجميع الوسائل وخاصة العسكرية منها مشـيراً إلـى قيمـة المعنويات والانضباط وقد كانت الحروب قليلة عموماً في ذلك العصر لاعتماد الدفاع أكثر من الهجوم ولعدم وجود جيوش نظامية آنذاك.

وفي دراستنا هذه لرواد الاستراتيجية الحديثة [1] نبدأ بأصـول الحرب الحديثة من القرن السادس[2] عشرإلى القرن الثـامن عشـر

واعتباراً من ميكافللي في نهضة فن الحرب -حيث يقول في كتابه الأمير وكتاب " المقولات" " لايمكن أن توجد قوانين صالحة إلا حيثما وجدت أسلحة قوية وحيثما وجدت أسلحة قوية توجد قوانين صالحة" مما يدعو إلى الحفاظ على القوة العسكرية للسيطرة على الحكم، كما بحث في العلاقة بين التنظيم السياسي والعسكري دليلاً على تفهمه الحساس لأعماق التفاعلات الثورية وعلاقتها بالتنظيم العسكري، كما وضح عدم جدوى الدرع والفارس بعد اكتشاف البارود واختراع الأسلحة النارية والمدفعية، وعني أيضاً من خلال كتابه " فن الحرب " - كما أسلفت - بالمسائل العسكرية نتيجة تجاربه الخاصة ولتأثيرها في التطورات العامة للحوادث السياسية حيث يقدم في هذا الكتاب عرضاً فنياً منتظماً لآرائه بينما في كتاب "الأمير والمقولات" يقدم مقترحات ذات طابع ايضاحي "تحريضي - سلبي أيضاً فهي انتقادات موجهة للتعليم العسكري، لذلك العصر بينما في كتاب " فن الحرب" عبارة عن رسم برنامج إيجابي للاصلاح العسكري، وقد قصد في ملاحظاته السلبية النظام العسكري في ايطاليا إبان القرن الخامس عشر قبل الغزو الفرنسي بخصوص تنظيم وتشكيل الجيش ونوعيته، وقد ركز أيضاً على المعنويات والناحية المادية في الحرب فقال "ليس بالمال بل بالجنود الأقوياء الصالحين للقتال هم الذين يؤكدون النصر في الحرب لأن المال لايستطيع أن يخلق جنوداً صالحين".

وفي هذا يشير إلى دور القوة العسكرية والمعنويات إذ أنه - حسب رأيه- ليس بالمادة يحقق النصر وقد ضرب على ذلك أمثلة في سقوط بعض المدن الايطالية الغنية مثل فلورنسا، كما أنه كان يهتم "بالضبط والربط" إن الضبط والربط أكثر تأثيراً من الشجاعة ويمكن أن يتغلب على القوة وحدها، كما أن له توصيات بخصوص إعداد خطة المعركة، وهو من المعجبين بالتعاليم العسكرية الرومانية قديماً كما استطاع اثبات أن الحرب ليست علماً فقط وإنما هي فناً أيضاً.

أما من حيث تأثير العلم في الحرب فقد استمرت الحـروب بعـد ميكافللي في أوربا حتى نهاية حرب الوراثة الإسـبانية، وثبـت أن الغزو الفرنسي لايطاليا هو الذي أيقظ ميكافللي فجأة ليوجهه إلى هذه الدراسات التي قام بها، وفي نهاية القرن السابع عشر عندما قلّـت الحروب الأهلية واستقرت دعائم الدول الكبرى الرئيسية في أوربـا عاد من جديد هذا الصراع القديم كجزء من محاولة لـويس الرابـع عشر للسيطرة على أوربا ولكن مع بعض أوجه الخلاف فإن الـدول التجارية الجديدة الناهضة كهولنده وانكلترا اللتين كانتا قـد عاونتـا فرنسا، في وضع حد من السيادة الاسبانية كانتا إذ ذاك تقفان موقف العداء من فرنسا، وكان صلح "أوترخت" عام ١٧١٣ قد مهد السبيل لسيطرة انكلترا على البحار ولكنه مع ذلك لم يضـعف فرنسـا كمـا رغب خصومها لها وكان التقدم العسكري في المائتي سنة الأخيرة قد ظهر في ذلك الجيش من حيث العدد والحشود بشكل ملموس.

على أننا عندما نذكر "فوبان" عند الحديث عـن تطـور نظريـة التحصينات وادخال أصول جديدة في تخطيط القلاع متأثراً "بباجـان" وهو رجل صاحب نظريات وقد جاءت كل نظريات فوبان الأساسـية في كتابه "حصون كونت دي باجان" المنشور عام ١٦٤٧ وقامت كل نظرياته على أساس اعتبار أنه للتأثير المتزايد للمدفع في الهجـوم والدفاع على السواء "يقصد الصراع بين المدفع والحصن" كما هـو حالياً بين الدرع والقذيفة بالنسبة للدبابات.

وقد نالت كتب فوبان في حكم لويس الرابع عشر مكانة كبيـرة في القرن الثامن عشر ولم يخفت صوتها حتى بعد عصـر نـابليون ومع ذلك فقد كانت قليلة نسبياً وفنية تتكون من دراسات في صناعة الحصار والعمل في الدفاع عن الحصون ثم حديث قصير عن الألغـام فهو لم ينشر شيئاً عن الهندسة العسكرية. ولم يكتب شيئاً منظماً عن الاستراتيجية ولا عن فن الحرب من ناحية عامة، وقد تنـاول فـي مخطوطاته كثير من الباحثين في القرنين التاسع عشر والعشرين.

وقد خدم فوبان لويس الرابع عشر فترة طويلة وهو بالمناسبة من مواليد سان ليجيه عام ١٦٣٣ استطاع نيل اجازة مهندس ملكي عادي وتولى بعض القيادات العسكرية وعني بدراسة اصلاحات المدفعية على أساس أنه أخصائي في فن الحصار وتمكن من إيجاد فكرة للدفاع عن فرنسا في ظل لويس الرابع عشر إلا أنها لم تنفذ كاملة لمعارضتها أحياناً من قبل البعض.

وننتقل من حروب الأسر الحاكمة إلى الحروب الأهلية حيث شهدت الأيام بين عام ١٧٤٠ - ١٨١٥ العصر الذي بدأ باعتلاء فردريك الأكبر عرش بروسيا وانتهى بانزال نابليون عن عرشه كامبراطور لفرنسا والتي امتدت إلى ثلاثة أرباع القرن، شهدت هذه الأيام كمال الأسلوب القديم لفن الحرب وبداية الأسلوب الحديث الذي مازلنا نتبعه في صور كثيرة والحديث عن التباين بين هذين الأسلوبين القديم والحديث هو في الواقع من الأهمية بمكان وهو مايمكن استنتاجه من خلال دراستنا هذه، أما الآراء التي قدمت حول ميكافللي وفوبان فهي مازال ضرورية ولازمة لنظرية الحرب فقد جعل ميكافللي دراسة الحرب علماً اجتماعياً وقد فصلها عن الاعتبارات ذات الأغراض المعنوية وربطها ربطاً وثيقاً بالنظريات ووجهات النظر الاقتصادية والقانونية والسياسية وجاهد في هذه المسائل العسكرية ليزيد من ميدان التخطيط البشري ويقال من ميدان الفرص والاحتمالات كما أن فوبان فتح لرجال الجندية موارد العلوم الطبيعية والفنية وعملت حكومة لويس الرابع عشر وهي تزيد من حجم الجيوش على أن تزيد أيضاً من تقدم أصول الإدارة والرقابة السليمتين ووضعت الأصول الحديثة للضبط والربط وأوجدت تكويناً قائماً سليماً للوحدات التكتيكية ووضحت سلسلة القيادة وحولت من قادة الجيش ليكونوا موظفين عموميين وجعلت من القوات المسلحة خدماً للدولة وللحكومة وكان من أبرز المكتشفات الجديدة فيما يخص إنشاء واستخدام الجيوش كانت في "القوى العددية" و "الاستراتيجية"،

حيث حلّت جيوش المواطنين مكـان جيـوش المحتـرفين وحلّـت استراتيجية الاعتداء وخفة الحركة والمقاومة مكـان الاسـتراتيجية البطيئة التي تقوم على أعمال الحصار.

وقد سبب كلاً من هذين الأمرين ثورة في فـن الحـرب فحلّـت الحرب "الغير محدودة " مكـان الحـرب "المحـدودة" وقـد توصـل المفكرون العسكريون إلى أن الدولة يمكن أن تقاسـي مـن النصـر مثلما يمكن ان تقاسي من الهزيمة، ولـم تكـن النتـائج السـريعة الحاسمة يمكن أن تتوقّع بحال ما من المعركة، وهنا يتضح الفـرق من التخصيص بين معارك القرن الثامن عشر وبين معارك حـروب نابليون حيث بدأت مفاوضات السلام في شهور قليلـة بعـد معـارك مارنجو وليبزج على عكس بلنهايم التي استمرت متعثّرة لسنوات.

لقد بدلت المعارك المدمرة في الحروب الطويلة إلى القتال ضـد الحصون وبذلك أوجدت حرباً كانت المقدرة فيها على المناورة أكثـر كسباً من الصمود والثبات في القتال وسيطرت حرب المواقـع علـى حرب الحركة، وسادت استراتيجية الحصون على استراتيجية الافناء والتدمير، ولكنها تغيرت جميعاً في الثورة التي هزت أوربا بعد عـام ١٧٨٩م وكانت الحرب الأوربية التي استمرت مـن عـام ١٧٩٢-١٨١٣م فيما عدا السنوات الأولى منها وفيما عـدا الصـراع بـين بريطانيا وفرنسا - سلسلة من الحروب الصغيرة انتهت بفرض السلام والصلح- ويتفق الكثيرون على أن هذه الحروب توضح نقطة تحول هامة تُنهي الأمن الذي بدأ من عام ١٥٠٠ م كما تعتبر أيضاً بدايـة أمن جديدة مازلنا نعيشها حتى اليوم.

إن الثورة الفرنسية وما جاءت به من دوافع سياسية أوجدت كما ذكرنا تكويناً جديداً للجيش ويتّضح هذا التحول في كتابات ثلاثة من الكتاب يمثل كل منهم مرحلة بارزة في تاريخ الفكر العسكري فقد أدرك فريدريك الأكبر غاية مايمكن ادراكه من الكسب العسكري في أوربا، بالأحوال التي وجدت قبل الثورة الفرنسية، وكان جيبير من

مريدي فردريك ولكنه أكثر منه بالتغيرات التي جاءت بعد ذلك، أما بيلو فكان معاصراً لحروب الثورة ولحروب نابليون وقد استطاع أن يدرك تدريجياً كل الدروس التي جاءت بها هذه الحروب ولكن فريدريك هو الوحيد من بينهم الذي توفّرت له التجربة العملية وتصف كتاباته الحرب العملية إذ ذاك، أما جيبير وبيلو برغم أنهما كانا من ضباط الجيش فإنهما لم يقودا أي جيوش وإنما اشتهرا كناقدين ومصلحين وقد حاولا تصوير الصعاب المعروفة في كل العصور والتي في ضوئها تعدل النظرية العسكرية القائمة من أمرها لتتمشّى مع الواقعية في عالم الحقيقة، وقد أبرز فريدريك الحرب الخاطفة في غزو سيليزيا عام ١٧٤٠م وكان أول أعماله العسكرية الهامة كتابه "الأصول العامة للحرب" الذي كتبه عام ١٧٤٦م مستنداً إلى تجاربه في حروب سيليزيا وقد أوضح آراءه بعد ذلك في كتابه "العهد السياسي" والذي كتبه عام ١٧٥٢ م لاستخدامه من قبل من يخلفونه على العرش وفي عام ١٧٦٨ كانت قد انتهت جميع حروبه وكانت آراءه بحاجة لتعديل فكتب "العهد العسكري"، وفي عام ١٧٧١م أصدر كتابه "عناصر في اختيار مواقع المعسكرات وتخطيطها وفن القتال والتكتيك"، كما أن تعاليمه قد طُبعت ونشرت عام ١٨٤٦م ومنها "فن الحرب" وكانت كتاباته التي استمرت حوالي أربعين عاماً تكتفي بتنظيم الجيش، وفي أصول فن القتال، أما في السياسة الاستراتيجية فقد تحول من الاعتداء العنيف الذي كان رأيه عام ١٧٤٠م إلى فلسفة عدم النشاط السلبي في عصر متأخر.

لقد شجع فريدريك الاستراتيجية الهجومية في الميدان تبعاً لأنها تسمح بطلاقة أكثر في الابتكار والمبادأة ولكنه كان يحـارب راضـياً كمدافع عندما يكون أقل قوة من عدوه، أو عندما يتوقع أن يكسـب نفعاً بعامل الوقت.

أما جيبير فكان في الواقع شخصاً متقلباً غير ثابت كما كان دائماً غير قانع وغير راض عن نصيبه من الحياة وكان موفـور الـذكاء

وأديباً وفيلسوفاً اجتمعت فيه العبقرية والموهبة الفذّة وكـان عنيفـاً لايسهل التفاهم معه، وقد كتب دراسته عن التكتيك عندما كان ضابطاً في ألمانيا ثم كورسيكا، وكان شديد الاعجاب بفريدريك ومن آرائه أن حكومات اوربا كلها آلات مطلقة القـوة وأن كـل الشـعوب تواقـة للاطاحة بهذه الحكومات لو استطاعت، وله عدة كتب أولاً "الدراسـة العامة لفن القتال" ثم كتابه "الدفاع عن الطريقة الحديثة للحرب".

وفي عام ١٧٩٣م واجهت جمهورية فرنسا الثورية حلفـاً مـن بريطانيا وهولندة وبروسيا والنمسا وسردينيا واسبانيا، وفـي عـام ١٧٩٤م تحول الفرنسيون للهجوم وفـي عـام ١٧٩٥م انسـحبت بروسيا وهولندة واسبانيا، من الحرب وفـي عـام ١٧٩٦م سـقط نابليون على ايطاليا منحدراً من جبال الألب وفي عام ١٧٩٧م عـاد قادة أوربا إلى السلم وبدأت فرنسا مفاوضاتها ولكن الحرب لم تلبث أن عادت من جديد في عام ١٧٩٨م ضد التحالف الثاني، وفي عـام ١٧٩٩م أضحى نابليون سيد فرنسا ودمر الحاف الثاني عام ١٨٠٠م ثم كسب بعملياته الخاطفة في ايطاليا أول المعارك النابليونية الكبيرة السريعة الحاسمة- معركة مارنجو.

أما بيلو فكان مثل جيبير توافرت له خبرة بسيطة بالجيش، وقد عمل في تأليف الكتب في موضوعات مختلفة وقد ثبـت أنـه غيـر مستقر في رأيه كجيبير واعتبر لغروره أنه غير كامل القوى العقلية ومات في مصحة ببلادة ريجا عام ١٨٠٧م واختلف النـاس بـالحكم عليه بين من اعتبره مغروراً ولا شيء غير ذلك وبين من اعتبـره منشأ العلم العسكري الحديث، وقد نشرت أولى دراسـاته العسـكرية "روح الطريقة الحديثة للحرب" في عام ١٧٩٩م ثم جـاءت حملـة عام ١٨١٥م وفي ذلك العام تكون التحالف الثلاثـي بـين النمسـا وروسيا وبريطانيا ولكن نابليون هزمهم هزيمة منكرة أيضـاً، وقـد رأى بيلو ان النصر الفرنسي لعام ١٨٠٥م إنما هو دليل قوي علـى

نجاح عقيدة جيبير التكتيكية وقد قال أن الفن الناجح في الحرب هـو أن تحتفظ بكل قوتك لاان تُبعثر جيشك في حاميات الحصون.

أما عن شرح خطط نابليون في القرن التاسـع عشـر[٣] فمـن المعروف أن حرب نابليون استمرت من عام ١٧٩٢ - ١٨١٥م وقد بدأ بالدعوة إلى التعبئة العامة لقوى الشعب الذي حقق مـن خلالـه الانتصارات التي سبق ذكرها حتى وصل جيشه عـام ١٨١٢م إلـى ستمائة ألف جندي حيث اندفع في الحملة الفاشية، وهكذا كشفت عن نفسها العوامل التي كانت تسبب ضعف الامبراطور وبـدأت الـدول الخاضعة لسلطانه تخرج عليه الواحدة إثر الأخرى فانضمت النمسـا والولايات الألمانية إلى بريطانيا وروسيا كما شـد مـن سـواعدهم الثوار الاسبان والايطاليين ونتج عن هذا التحالف عام ١٨١٣م فـي معركة ليبزج أو معركة الأمم، وقد قررت هـذه المعركـة مسـتقبل نابليون وفرنسا ومكّنت السياسة الانجليزية من أن تقف الدول الأربع الكبرى في أوربا في أقوى حاف ضد فرنسا وانتهى الأمـر بارسـال نابليون إلى جزيرة البا وكانت نهايته بعد ذلك.

قام الجنرال السويسري جوميني بايضاح وعرض حياة نـابليون وآخر ماوصلت إليه صناعة الحرب في ذلك الوقت وفـي محاولتـه العملية لاستنباط مبادئ الحرب قد جعلته يشارك كـلاوز فيتـز فـي مكانته كموجد ومنشئ للفكر العسكري الحديث وكانت أغلب أعمـال جوميني تشير إلى بيلو أو تنقد نظرياته وكذلك قام بنقد كلاوز فيتـز وجيبير.

ولد جوميني عام ١٧٧٩م في اقليم "فو" في الجزء الفرنسي من سويسرة وعند ظهور بونابرت عمل فـي إدارة التمـوين للجـيش الفرنسي وقد منحه بونابرت بعد أن اطّلع على جزء من كتاباته رتبة كولونيل في الجيش الفرنسي، وقد وصل بعدها إلى رتبة قائد لـواء في الجيش الفرنسي، ونتيجة خلافه مع بيرثيير رئيس هيئة أركـان الحرب العامة للجنرال بونابرت، وقد أقدم عدة مرات على الاسـتقالة

من الجيش وسحبها وفي عام ١٨١٣م ولّى وجهـه نحـو خطـوط الحلفاء وعرض خدماته على قيصر روسيا ومنح رتبة جنرال حتـى وفاته عام ١٨٦٩م واعتبر مرشداً لتوجيه العسكريين علـى مثـال الموجهين الذين جاءوا في أقاصيص الاغريق القديمـة، ويمكـن أن تقسم كتابات جوميني عن صناعة الحرب إلى مجموعتين: الأولى هي الكتابات الخالصة للتاريخ والثانية الكتابة النظرية أو التحليلية، وقـد صدرت كتابات جوميني التاريخية أصلاً في سبع وعشـرين مجلـداً، جمعت حروب فريدريك الأكبر، وحروب الثورة الفرنسية، وحـروب نابليون من عام ١٧٩٢ - ١٨١٥م ولكنه وإن قدم حـرب السـبع سنوات وحروب الثورة الفرنسية في إفاضة، فقد أوجز في سرد حياة نابليون بعد عام ١٧٩٩م وقد جاءت أهم دراسات جوميني النظريـة في كتابه "دراسة في فن الحرب" والذي صدر عام ١٨٣٨م ويعتبـر أن تجارب العشرين سنة قد قوت عنده بعض الأحكام ومنها انتهـى إلى أن المبادئ والأصول الأساسية للاستراتيجية هي:

١- تجميع القائد للجزء الأكبر من قوات جيشة لينقض بهـا علـى المناطق الحاسمة في مسرح الحرب وخطوط مواصـلات العـدو دون أن تتعرض خطوط مواصلاته للخطر.
٢- القيام بالمناورة بحالة تمكنه من أن يشتبك بالجزء الأكبـر مـن قواته ضد أجزاء صغيرة من قوات العدو.
٣- القيام بمناورات تكتيكية تمكنه من تجميع الجزء الأكبر من قوات جيشه للتواجد في المنطقة الحاسمة من مسرح المعركة أو علـى ذلك الجزء من خطوط مواصلات العدو والتي يكون مـن المهـم سحقها وتدميرها.
٤- تنظيم الاجراءات إلى الحد الذي يمكّن ليس فقط من تجميع هذه التحشدات من القوات للتواجد في المعركة بل مجتمعة وبسـرعة، وبذلك نستطيع القيام بجهد مزدوج في وقت واحد.

ومن كتبه أيضاً النظرية "الدراسة" حيث يشرح فيه خطط العمليات وقد نجح جوميني في إثارة الاعجاب في تفهم ماحصل عليه نابليون كعسكري فني والواقع أن الخطوط العريضة للوصول إلى الاستراتيجية التي قدمها جوميني إنما هي وصف عام لحملات نابليون وعلى الأخص حملة ايطاليا (١٧٩٦ - ١٧٩٧) وحملة مارنجو واسترلتز وينبا، وقد كانت الخدمة الكبيرة التي قدمها نابليون للفكر العسكري إنما جاءت في الواقع في اتجاه آخر هو ايضاحه للأصول الأساسية للعلم العسكري.

أما كلاوز فيتز فإن كتاباته وخاصة "فن الحرب" فتحتل مكاناً متفرداً في تاريخ الفكر العسكري فهو أول دارس للحرب تمسك تماماً بأهداف الموضوع الذي تعرض لدراسته، كما يعتبر أول دراسة توجد طابعاً فكرياً يمكن أن يطبق في كل مراحل التاريخ، وإن كان تفهم هذا ليس بالأمر السهل المستطاع، ذلك لأنه لما كان كتاب كلاوز فيتز الأساسي لم يكمل بسبب وفاته المبكرة عام ١٨٣١ قد منعه من القيام بمراجعة كاملة له، وقد طبعت كتابات كلاوز فيتز في الشؤون العسكرية وإدارة الحرب في عشر مجلدات صدرت جميعها بعد وفاته، وقد نال من الشهرة بسبب دراسته التي وسمت بعنوان "فن الحرب" وتقسم إلى ثمانية كتب يعنى أولها بدراسة "طبيعة الحرب" وثانيها "بنظرية الحرب" وثالثها يناقش "الاستراتيجية" وفي الكتاب الرابع يتحدث عن "المقاتلة" أما الخامس والسادس فيتحدث فيهما عن "القوات المسلحة والدفاع" ثم جاء في الكتابين السابع والثامن كل الصور الأولية التمهيدية لمناقشة "الهجوم" و "خطة الحرب" وخدم كلاوز فيتز في حملة عام ١٨٠٦ برتبة كابتن ياور لأمير بروسي وأسر بعد معركة "أوزرتادت" وفي بداية حروب التحرير عام ١٨١٣م كان برتبة كولونيل في الجيش الروسي، ثم أصبح من عام ١٨١٨ - ١٨٣٠ مديراً للأكاديمية العسكرية في برلين، وقد عارض كلاوز فيتز نظريتي القرن الثامن عشر فالحرب في رأيه ليست مباراة

علمية ولا هي برياضة دولية، بل عمل من اعمال العنف وليس فـي طبيعتها شيء معتدل او إنساني ومن قوله "إننا لانحب أن نسمع عن قادة ينتصرون من دون سفك دماء، وإذا كانـت المعـارك الداميـة مخيفة المنظر فإن هذا يجب أن يكون لسبب في أن نُقدر الحرب حق قدرها.. لاأن نسمح لسيوفناأن لاتكون حادة وأن تصدأ بمرور الأيـام بعامل الانسانية حيث يثب فرد ما ويقطع بسيفه الحاد أذرعنـا عـن أجسامنا.

والواقع أنه كان على نقيض مع كل أصحاب النظريـات الـذين سبقوه وعلى نقيض جوميني أيضاً الذي عاصره كان عملـه يمتـاز بأنه يجمع به تحليل العوامل، وقد قادته التجربة كما وجهه التفكيـر الفلسفي إلى ماأسماه "الحرب المطلقة ".

لقد عرف كلاوز فيتز "التكتيك بأنه نظريـة اسـتخدام القـوات المسلحة في القتال والاستراتيجية هـي نظريـة اسـتخدام القتـال لأغراض الحرب".

نكتفي بهذا القدر وننتقل في دراستنا إلى أصول الحرب الحديثة من القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى(٤) ونبدأ بالأسـس الاقتصادية للقـوة العسـكرية، فبعـد أن تناولنـا سـابقاً تعريـف "الاستراتيجية" مع توضيح الفرق بينها وبين التكتيـك "فـن القتـال" وبدراسة العوامل المؤثرة بالاستراتيجية ومعرفتنا فـي أن نجاحهـا يتطلب توافر المعرفـة التامـة بعـدة عوامـل عسـكرية مـؤثرة، والاستراتيجية الناجحة هي التي تحقق حسن الاستخدام لهذه العوامل متفرقة ومجتمعة، لقد أوضحت صورة الحرب منـذ بدايـة ظهـور نابليون على المسرح الأوربي أن الاسـتراتيجية لايمكـن أن تسـير سيرها الطبيعي لو انفصلت عن الشـبكة المتداخلـة معـاً للعوامـل السياسية والمالية ويجب أن ينتهي هذا كله قبل أن ينتهي من وضع التخطيط الاستراتيجي، كما أن القوة العسكرية تستند إلـى الأسـس الاقتصادية لتحقيق الانتصارات في الحـروب مثـل تـوفير السـكك

الحديدية وأثره على المعركة وكذلك من حيث المـوارد الاقتصـادية الأخرى.

وعلى كل فمن الحكمة أن نقول أن الأمم التي في القارة الأوربية تكون معاً قوة أوربية هدفها وقف احدى دولها، كما كان في حـروب نابليون وما بعده (أي الابقاء على الامكانات والفعـالات المتعادلـة) وفي قوة بريطانيا البحرية، ويؤكد لنا التـاريخ أيضـاً فـي القـرن الماضي أن كل حرب قد أثارتها دول القارة الأوربية بعضـها ضـد بعض كانت نتيجة لشيء واحد هو زيادة صناعة وثـروة وملاحـة ومستعمرات الدول البحرية التي لها سيادة، مثل بريطانيـا، ولكـن التفكير الاستراتيجي لبعض المفكرين مثل "ليست" لايكون مقصـوراً على قارة أوربا وإنما لجميع القارات في العالم حسب واقعهـا فـي حينه وهذا يكون حسب توفر المفكرين في تلـك الأمـم. إن القـوة العسكرية تعتمد على الأسس الاقتصادية أي كان نوعها، كمـا أكّـد عليها المفكرين الاقتصاديين[5] " كليست" وهـاملتون وآدم شـمث " وغيره من العلماء في القرن التاسع عشر.

وكنتيجة لايمكن تجنّبها هي أنه جاء انفجار عام ١٩١٤ وانفجار عام ١٩٣٩م ويستطيع المرء أن يتفهم هذا فقط عندما يرجع إلى فكرة القوة في أوربا في القرن التاسع عشر، وأن تفكير " آدم سمث والكسندر هاملتون وفريدريك ليست" كان يقوم على أساس حقيقة أنهم كانوا على التوالي: انكليزي- أمريكي - ألماني ولكن من المدهش أن آراءهم تتفق وتتماثل في بعض النقاط الأساسية من صناعة الحكم، لقد فهموا جميعاً أن القوة العسكرية تبنى على أسس اقتصادية، وقد وقف كل منهم في جانب تنظيم اقتصادي يواجه احتياجات وطنه أكثر من أي نظام آخر، ولكن إذا كان العالم قد وصل إلى ماوصل إليه نتيجة للسياسة التجارية الحديثة فإن هذا ليس من الضروري أن يكون خطأهم لأنه مادامت الأمم ستظل تعتمد كل

إيمانها في قومية غير محدودة وسيادةغير مقيدة فإنها ستظل تعتمد على تدابير تكون في رأيها هي أفضل ضمان لاستقلالها وأمنها.

أما من حيث النظريات والاراء العسكرية للثورات الاجتماعية في ذلك القرن وما بعد كما سنرى من كل من انجلز وماركس[٦] وخاصة وأنهما كانا شبه متحفظين ويبدو ان سياستهم معادلة للآلة العسكرية وللجيوش والحكومات واللذين انغسـمتا فـي نظامهـا الاجتمـاعي الواضح المعالم ومع هذا فمن الخطأ أن ننظر إلى هذين اللذين كانـا يلعبان الدور الرئيسي في الصراع الدولي للطبقات على أنهما يميلان للسلام وأنهما مثاليان غير واقعيين التفكير، بل أن تجديد الانتباه إلى هذه الآراء يجيء بتصـحيح ضـروري لوجهـات النظـر الحاليـة والمقبولة من وجهة نظر عامة.

إن ماركس وانجلز يمكن أن يسميا بحق آباء الحرب الشاملة الحديثة، فإن ماقدر طويلاً في تاريخ التنظيم السياسي والسياسة الداخلية ألا وهو الحزب الجماعي، والذي نجدأصوله واضحة في الحركة الاشتراكية قد يمكن أن يطبق أيضاً في ميدان الشؤون العسكرية، أما الدكتور بلاو الاستراتيجي الاشتراكي فقد بين أن الحرب الحديثة ذات أربع جوانب تجمع في جملتها الجوانب السياسية والاقتصادية والسيكولوجية والعسكرية، وقد كان كل من ماركس وانجلز يدركان أن الحملات العسكرية يمكن أن تفشل قبل بدايتها، وكذلك قد تنجح قبل أن تشتبك القوات مع بعضها، ويكون هذا التقرير المبكر للنتائج في الجبهات الأولية للقتال، وللجبهات التي تقوم على أساس الحرب النفسية والحرب الاقتصادية. ومع هذا لقد كتب انجلز الكثير من البحوث القيمة عن الحملات الحربية كما كتب دراسات عسكرية وقدم صوراً موجزة للقادة العسكريين في التاريخ.

كما اعتبر كل من انجلز وماركس نفسيهما دوليين وبدءا التفكير في السياسة الدولية في تاريخ يسبق كثيراً تخاص زعمـاء أحـزاب الطبقة الوسطى من اتجاهاتهم المحلية الضيقة المجال وكانت حـرب

القرم أول فرصة لانجاز ليحال المشاكل العسكرية لذلك العصر تحليلاً تفصيلياً وقد حاول أن يجعل من دراسة العلم العسكري صناعة لـه، ولكنه أخفق في ذلك، بالإضافة إلى ذلك فإن انجاز لـم يقـرأ فقـط بمناسبة حرب القرم كتابات كبار الاستراتيجيين العسكريين منذ أيـام نابليون كجوميني وكلاوز فيتز وفلست وغيرهم بل إنه درس بعنايـة حملة نابليون في روسيا وبذلك عـرف الصـعاب التـي يمكـن أن تواجهها قوات الحلفاء بعد غزو القرم إذا ماتابعت تقدمها للاشـتباك بعنف مع روسيا، وكان من الواضح أن مشكلات المناحي العسـكرية في أرض "المساحات الواسعة" ليسهل التغلب عليها ولهذا كان مـن الممكن ادراك فهم سر رغبة الحلفاء في سرعة انهاء الحرب مبكـراً ماأمكن.

وكان رأيه هو الاتجاه إلى الاسـتراتيجية الثوريـة "أي حـرب العقيدة" وهي الحل الوحيد للحلفاء وقد اعترف نابليون الثالث بأنه لو استمرت حرب القرم لاضطر لدعوة الشعوب الراغبة في التحدي إلى حمل السلاح مع فرنسا، ولكن إنهـاء حـرب القـرم عـام ١٨٥٦م وضعت حداً لآماله في إمكان قيام نظريات ثورية عظيمة. أما فيمـا يخص بروسيا والمدرسة البروسية – الألمانية[٧]، فيمكن استعراض استراتيجيتها في تلك المرحلة على لسان كل من مولتكة وشـليفن، فقد تباعدت في الواقع بروسيا عن الاشتراك الإيجابي في الحـروب الأوربية لنصف قرن كامل من الزمان بعد صلح "فيينا" وعندما كـان الجيش البروسي أكبر قوة في قارة أوربا عام ١٨٦٠م كانت قد مرت بهذا الجيش حقبتان من السنين بغير تجربة عملية في الحـرب وإن كان قد قام ببعض الحملات غير البارزة في أثنـاء ثـورة ١٨٤٨ - ١٨٤٩م كما أنه عبء أكثر من مرة بـين عـام ١٨٣٠ - ١٨٥٩م كلما توقع صراعاً لم يتم، وفي الوقت نفسه كانت الجيوش البروسية والنمساوية والفرنسية والانكليزية تقاتل في حروب متتالية، على أن

الأفضلية التي توافرت للجيش البروسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر إنما كانت بسبب الدراسة النظرية للحرب.

هذه الدراسة التي وصلت إلى الكمال في نصـف القـرن الـذي سبق"سادفا" و "سيدان" يرجع وجود الجيش البروسي للقرن التاسـع عشر إلى أربعة رجال هم: فريدريك الأكبر، نابليون، شارنهورست ثم جينيسناو، وقد خاف فريدريك وراءه ذكريـات مجيـدة لانتصـارات باهرة هي من أهم الضروريات ليفخر بهـا الجـيش ولتوطّـد فـي عناصره الثقة بأنفسهم، كما غرس في حلفائه العسكريين المعرفـة بانه حتى في فترات السلام يجب أن ينصرف الجـيش إلـى العمـل العنيف الشاق المتواصل، وإن المعارك إنما تكسـب أولاً فـي أرض التدريب والواقع أن فريدريك لم يـدرب جـيلاً مـن الاسـتراتيجيين الشباب، بل كان غاز أجنبي هو الذي ذكّر البروسيين بالـدور الـذي تلعبه الاستراتيجية في صناعة الحرب وقد كونا الجـيش البروسـي ضابطان وكان تكوينه على أساس الطابع الفرنسي الحـديث وبـذلك كان نابليون هو ثاني الرجلين اللذين أوجدا الجيش البروسي، ثم بعد معركة " يينا " كيف شارنهورست و جينيسياو الجيش البروسي طبقاً للطابع الجديد للحرب.

لقد عرف كل من مولتكـة وشـليفن المصـلحان العسـكريان البروسيان أن أساليب الحرب الحديثة إنما هي إيضـاح للتطـورات الاجتماعية والسياسية العميقة الأثر والتـي جـاءت بهـا الثـورة الفرنسية، كان جيش فريدريك الأكبر قوة مـن المـأجورين ينعـزل أفرادها تماماً عن المجتمع المدني الأهلي وكان الضباط وحدهم هـم الذين يعرفون الشرف والولاء "من طبقة الأشراف" أما بـاقي أفـراد الجيش لايعيشون متماسكين إلا بالضبط والربط العنيف.

وقد تولّى المصلحان العسكريان البروسيان تحويل جيش عصـر الطغيان والأوتقراطية إلى جيش قومي أهلي بعـد أن أدخـلا نظـام التجنيد الاجباري مع السلبيات التي استمرت في الدول الغربية "لقبول

البدل من الأغنياء" ماعدا بروسيا حيث ظل جيشها له الطابع القومي، وضاع حلم المصلحين العسكريين البروسين اللذين أملا في إيجاد جيش للمواطنين وبقي الجيش رغم كل هذا رعايا لنظام ديكتاتوري مطلق الحكم لاحتكار طبقة البونكرز "طبقة ملاّك الأراضي لوظائف الضباط ".

في غمرة الأعمال السياسية المضاءة بعد سنة ١٨١٥م كان كل ماخلفاه وراءهما من معرفة استراتيجية وتكتيكية قد حظي من الناحية العملية بدرجة كبيرة من التقدم وإن كانت المدرسة القديمة نفسها قد حصلت على بعض النجاح وقد أثبت جينيسناو وبعد وفاة شارنهورست الذي كان -أي جينيسناو- رئيس هيئة أركان الحرب البروسية ١٨١٣ - ١٨١٥م أثبت أن المدرسة البروسية الجديدة للفكر العسكري لايمكن فقط أن توجد فلسفة جديدة بل وأن تخرج أناساً يستطيعون أن يضعوا نظرياتهم في الأسلوب العملي التطبيقي وقد كانوا في ذلك في مرتبة نابليون في عصره.

وكان فضل القائد شارنهورست كوزير للحربية حيث كان تأثيره كبيراً في التفكير التكتيكي والاستراتيجي للضباط لأنه كان هو الذي يتولّى تدريبهم في مباريات الحرب ومناورات أركان الحرب أيضاً.

كان مولتكة موفقاً لأن ينتفع بهذه الآراء والتعاليم النقدية والتي أمكن الوصول إليها في حروب التحرير ولم يكن بروسيا هو الآخر مثله مثل الضابطان السابقان -شارنهورست وجينيسناو- بل جاء إلى بروسيا من منطقة مجاورة هي مكلنبرج وكان ابوه ضابطاً في الجيش الدانماركي، وقد ارتقى لرتبة ملازم سنة ١٨١٩ من معاهد الدانمارك والتحق في الجيش البروسي لعدم رغبته بالعمل في الجيش الدانيماركي، وعمل بعدها في هيئة أركان الحرب لأكثر من ستين سنة، وكانت تستهويه الدراسة الشخصية للاتجاهات والآراء السياسية وقد قررت استراتيجية مولتكه الناجحة أمرين: أولهما نهضة ألمانيا المتحدة وتقدمها على كل أمم اوربا، وثانيهما انتصار

الملكية البروسية على المعارضة الديمقراطية المتحررة في ألمانيـا تبعاً للاحتفاظ بالسلطة في الجيش البروسي، ووصل إلى رتبة جنرال، كما وصل إلى منصب مستشار الملك، وله دور كبيـر فـي إنشـاء الخطوط الحديدية التي كانت لها دور كبير في تحقيق الاسـتراتيجية وخاصة أثناء الحملة الإيطالية.

لقد أنكر مولتكه أن الاستراتيجية علم وأن الأصول العامة يمكن أن توضح بحيث يمكن أن تكتشف اكتشافاً منطقياً، ثم إن لكل موقف ظروفه المحيطة به كما يتطلب حلاً تتجمع فيه التجربـة والمعرفـة والجرأة والتصور وهذا هو الدور الأساسي الذي يمكن اكتسابه مـن التاريخ في رأيه، "ولهذا فقد جعل دراسة التاريخ من مسؤولية هيئة أركان الحرب البروسية، ووضع مولتكة دراسته "الكلاسـيكية" عـن الحرب الإيطالية لعام ١٨٥٩م والتي طبقت لأول مرة عـام ١٨٦٢م مستهدفاً الوصف الموضوعي للحوادث قاصـداً اسـتنباط الـدروس العملية منها، ثم كتب فيما بعد الدراسـات الخاصـة بحربـي سـنة ١٨٦٦م وسنة ١٨٧٠ - ١٨٧١م بالأسـلوب نفسـه وبتوجيهـه وإشرافه، وكانت وجهة نظره الاستراتيجية يمكـن أن تنتفـع مـن التاريخ مادامت تدرس بالأسلوب الصـحيح الـذي يعنـى بالعلاقـة الوحيدة بين مناحي الموضوع، وتوضح تجارب مولتكة نفسه مـدى النفع الذي حصل عليه من دراساته التاريخية، وقد أشار أيضاً إلـى أن أهمية دراسة الضباط للاستراتيجية لاتقل عـن أهميـة دراسـة التاريخ "فالاستراتيجية مجموعة من الوسائل التـي تسـتخدم لإدراك وتحقيق الوصول إلى غرض محدد، إنها أكثر من أن تعتبر معلومات بالنسبة للضباط، إنها تطبيق المعرفة في الحياة العامة، إنها تطـور الفكرة الأساسية الأصلية بالتمشي مع الحوادث الدائمة التغير، إنهـا فن العمل تحت ضغط أصعب الظروف وأقساها ".

لقد واجهت قيادة مولتكة اول وأعظم اختبار لهـا فـي الحملـة النمساوية عام ١٨٦٦م حيث كانت القوات متماثلة بدرجة أكبر ممـا

كانت عليه فيما بعد في الحرب الفرنسية - البروسية حيث تمكن من استخدام خمس خطوط حديدية لنقل الجنود البروسيين إلى جوار مسرح الحرب وانتشرت القوات البروسية لمسافة ٢٧٥ ميلاً من هال وتورجو إلى جورليتز ولنديشوت، وكان الوضع الأصلي للقوات البروسية سليماً مابقيت القوات النمساوية بعيدة للجنوب والتي كانت في الواقع في مورافيا لافي بوهيميا كما قدر مولتكة، كما رفض حشد قواته في منطقة صغيرة وخالف باقي القادة البروسيين، ولكنه سحب القوات أقرب مايمكن من مركز متوسط حول جورليتز على أنه من جهة أخرى شعر بالجزع والقلق عندما عرف أن القوات النمسوية الأساسية تتجمع في مورافيا لافي بوهيميا وهي حقيقة بدا انها تشير إلى اعداد التدابير لهجوم نمساوي نحو سيليزيا العليا.

واختار مولتكة جيشين لهذه المهمة مركزاً لهذا الحشد لابسبب الأهمية الاستراتيجية بل بسبب المساحة حيث كانت متساوية من الجيشين البروسيين الرئيسيين الجيش الثاني والجيش الأول وقد كان الجيش الثاني في سيليزيا، أما الأول فحول جورليتز، تحرك الجيش النمساوي من مورافيا بتخطيط من القيادة النمساوية العليا "منل بنيلايك" ومستشاره الاستراتيجي الجنرال "كريسمانيك" باتجاه بوهيميا، وتحركت الجيوش البروسية :

جيش سيليزيا الأول والثاني بمسافات قريبة من بعضهما، وبسبب إيمان القيادة النمساوية في النفع التكتيكي للمواقع القوية أكثرمن إيمانها بعامل الوقت والحشد المبكر حيث كان تحركهم على ثلاثة اتجاهات متوازية وحشده من جديد يحتاج لثلاثة أيام، وهذا ماأنقذ الجيش البروسي، وعندما اكتشف بينويك خطأه كانت حتى فرصة التقهقر وراء الألب قد أفلتت من يديه وكان عليه أن يتقبل المعركة والنهر في مؤخرته.

وتمكن مولتكة من حشد جيوشه مبقِياً كل منها على مسيرة يوم واحد من الآخر ليضمن اتحادهما معاً في مسرح المعركة، وقد فكّر

في الهجوم بالجناح الأيسر للجـيش الأول لاضـد جنـاحي القـوات النمساوية فحسب وإنما ضد مؤخرتهم أيضاً، أي أنه فكر في "سادوفا " كمعركة تطويق ولكن القادة البروسيين لم يتبعوا تعليماته واستطاع الجيش النمساوي النجاة وإن كان قد فقد ربع قواتـه ولـم يـتمكن الجيش البروسي من المطاردة بسبب التحام الجيش الأول مع القوات النمساوية، وقد أثبتت معركة "سيدان" مـع الفرنسـيين بعـد أربـع سنوات من هذا أن البروسيين قد تعلموا الـدرس واسـتفادوا مـن تجربتهم ولو أنهم في سيدان قاتلوا جيشاً فرنسياً أقـل عـدداً مـن الجيش النمساوي.

وكانت الاستراتيجية بعد ذلك تتمشّى فـي اتجـاه واحـد مـع استراتيجية الماضي أي أن يقابل عدداً واحداً بأقل مايمكن من قـوة حتى يتيسر له أن يعد أكبر قوة لتدمير العدو الآخر وكانت نصـيحته هي الوقوف للدفاع في الغرب مع القيام بهجوم ضد روسـيا ولكـن الكونت فون شيلفن الرجل الثاني الذي خلف مولتكة لم يلبث أن قلب هذا الوضع عام ١٨٩٤م ومنذ ذلك التاريخ بدأت الخطـط الألمانيـة للقتال في جبهتين تقوم على أساس الهجوم أولاً في الغرب.

ولد شليفن عام ١٨٣٣م وكان قصير النظر متحفّظ في الحديث، ذو شغف بالدراسات العامة، ولم يفكر أن يكون ضابطاً في يوم مـن الأيام، ومع ذلك فقد خلف مولتكة في هيئة أركان الجيش البروسي، وقد أولى المسائل الفنية الحديثة أهمية كبيرة، وقد اكتشفوا أنهم غير مؤهلين "القادة الضباط" لاستخدام الامكانات الفنية للأسـلحة حتـى جاءت معارك الدبابات عام ١٩١٨م ولم يتنبأ شيلفن بالحرب الشاملة ولو أنه خشي ان هذه التغيرات الاجتماعية ستكون مؤكدة في الحرب الطويلة الأمد.

لقد اكتسب شليفن مكانته في التـاريخ كمفكـر وكأسـتاذ فـي الاستراتيجية ومن غير الممكن القول فيما إذا كان قد أثبـت أيضـاً قدرته كقائد عظيم في الحرب.

وقد حققت معركة "تانبنرج" التي حدثت عـام ١٩١٤م والتـي أمكن بها افناء جيش سامسونوف الحلم الذي داعب شليفن بالحصول على النصر في الشرق على أن خطة هذه المعركة كانت قد وضـعت أصلاً بوساطة شليفن، كما أنه قد اختبرها مع ضباط هيئـة أركـان الحرب في المباريات الحربية على الخرائط حيـث طبقهـا هوفمـان ولوندوف عام ١٩١٤م على الأرض بصورة تُرضي أستاذهما شليفن وبلا شك مع أن شليفن نفسه لم يكن يتوقع تـأثيرهم الحاسـم فـي استراتيجية الحرب، وفي مذكرة شليفن قد أراد أن يحول الحرب كلها إلى معركة واحدة يضع تخطيطها قبل موعد تنفيذها وأن يضع هـذا التخطيط، متمشياً مع خطط التعبئة والنقل ومنسقاً مع الحشد الأولي للجيش ولا بد أن يكون قد قدر احتياجه إلى تنظيم كامل مدرب يتولّى قيادة الجيش حتى يمكن تنفيذ هذا التخطيط، وهنا نجد شـليفن قـد صور في تاريخ مبكر كيف يجب أن يكون القائد العام للجيش في أول حرب عالمية فقال "إن القائد العام في العصر الحديث لايمكن ان يقف مثل نابليون في ثيابه الزاهية فوق التل، ولن يمكّنه أقـوى منظـار مكبر من رؤية الكثير من أرض المعركة، ثـم إن جـواده الأبـيض سيكون غرضاً ظاهراً سهل الإصابة بنيران عدد لاحصـر لـه مـن بطاريات المدفعية، إن القائد العام في العصر الحديث سـيكون فـي منزل صغير في الخطوط الخلفية به عدة غـرف تسـتخدم كمكاتـب وتوجد في متناول يده في هذا المنزل أجهزة البرق والتلفـون وآلات الإشارة السلكية واللاسلكية على حين يقـف رتـل مـن السـيارات والدراجات الميكانيكية في انتظار الأوامر للتحرك لمسافات طويلـة، وفي هذا المنزل فوق مقعد مريح وأمام خريطـة كبيـرة سـيجلس الاسكندر الحديث مطلاً على أرض المعركة كما توضحها الخريطـة، وفي هذا المنزل ينقل له التلفون كل الأحاديث المشجعة ويتلقّى فيـه تقارير قادة الفيالق والجيوش وتقارير المناطيد التي تراقب تحركات العدو وتكشف مواقع قواته ".

وقد تبع مولتكة الصغير فكرة شليفن في القيام بدفاع ضعيف في الشرق مع عمليات هجومية قوية في الغرب ولكنه عدل كثيـراً مـن الخطة فقد جعل النسبة بين الجناحين ١/٣ بينما كانت ١/٧ لأنـه كان يخشى الاندفاع الفرنسي في الالزاس واللـورين، وفـي عـام ١٩٣٩م قدم الجنرال فيتز للمارشال لودندروف في سنتي ١٩١٧ - ١٩١٨م مناقشة قوية الحجج والبراهين تؤكد النتائج لهذا المشروع لو طُبق، ولكن مولتكة بدلاً من هذا سمح بإجراء هجوم "بالمواجهة" سابق لوقته أدى إلى إرغام الفرنسيين للتقهقر ولكن هـذا أوصـلهم إلى منطقة أمن وسلامة في داخل حصونهم القوية مما أوقع الجيش السادس نتيجة اقتحام الخطوط الفرنسية ومنع سحب أي قوات مـن الجناح الأيسر لاستخدامها في الجناح الأيمن وأخيراً نجـح الجـيش الأول الألماني في تحقيق المستحيل في التخلّص من الخطر الذي وقع فيه لولا قرار "هنتشن" باعطاء الأمر بالتقهقر، والغريب كيف سـمح له بمثل هذا التصرف عام ١٩١٤م مع أن هنتشن نفسه أثبت كفاءة ممتازة عام ١٩١٥م في الحملة الصربية.

وقد استطاع الجيش الألماني رغم كل شيء أن يقاتـل اتحـاداً دولياً على نطاق واسع لأربع سنوات وأن يصـل فـي القتـال إلـى مايقرب النصر.

ولم تضعف هزيمة ألمانيا عالم ١٩١٨م من الاعتقـاد بعبقريـة شليفن وسيادته على الفن العسكري حتى في ضوء الحرب الحديثـة التي كان طابعها يقوى ويشتد مع خطى ألمانيـا الواسـعة للعـودة والتسلح ولكن برغم انه وجدت في الجيش الألمـاني بـين الحـرب العالمية الأولى والثانية ١٩٢٢ - ١٩٣٩ مدرسـة تـدين بعقيـدة "شليفن" إلا أن استراتجيي الجيش الهتلري أمثال جرونـر وسـيخت وغيره لم يغفلوا نقد نظرياته، وحتى عـام ١٩٣٣م كـان الجـيش الألماني مازال ضعيفاً وكانت مشكلات الدفاع تحتل المكان الأول فـي تفكير قياداته نتيجة توقف الهجوم الألماني ضد فرنسا عام ١٩١٤م.

ومما يجدر ذكره عام ١٩١٨م بعد هزيمة ألمانيا الـدور الـذي لعبته الدبابات من الناحية التكتيكية رغم أن مداها الاستراتيجي كـان محدوداً مما دفع القيادة الألمانية حتى عام ١٩٣٠م على زيادة مثـل هذه الامكانيات التكتيكية باستخدام الأسـلحة الجويـة مـع القـوات المدرعة، ولكن كان الهدف بنفس الوقت هو تطـور التكتيـك حتـى يؤدي إلى إحياء استراتيجية شليفن للاختراق والافناء والتـي بـدت وكأنها فقدت قوتها في حرب المواقع ١٩١٤- ١٩١٨م.

وفي هذه الصورة كان الهجوم الألماني على فرنسا عام ١٩٤٠م لاختراق وسط جبهة الحلفاء كما كان في سيدان عام ١٩٤٠م علـى أن تتبع هذا معركتا تطويق الأولى ضد الجيوش الفرنسية والانكليزية التي في الشمال، وأن توجه المعركة الثانية من خط سيدان - آبفيل.

أما المدرسة الفرنسية[٨] فقد كانت تدعو إلى الهجـوم بأقصـى مدى من العزيمة وقد أخذوها عن "اردان دوبيك"[٩] الذي قـال:" إن من يكسب هو الذي يهاجم دائماً" وهذا يعتبر خاطئاً في الواقع إلا إذا كان يقصد فيها المناوشة في الدفاع أو الهجوم، ومن أقوال فـوش " إن الجيش الفرنسي لم يهزم باستراتيجية خاطئـة بـل لأن القيـادة الفرنسية لم تستطع الاستفادة من أخطاء البروسيين التي كان أهمها صلابة تخطيطهم للعمليات ثم انعدام التوجيه المستمر للعمليات مـن جانب القيادة الألمانية العليا، وهذا ماثبت في هزيمتهم عام ١٩١٤م فعلاً.

ومن خلال آراء ونظريات عديدة تتطور وتتجمـع مـع مـرور السنين وتتبلور من خلال الحروب نتيجة تجمع وتطور هـذه الآراء والنظريات والأفكار يمكننا بالطبع الوصول إلى الاستراتيجية، ومـن خلال تطورها بين الحرب العالمية الأولى والثانية نلاحظ أن تحولاً قد برز في ظهور زعماء عقائديين سياسيين مدنيين وعسـكريين قـد أعادوا النظر في تكوين الجيوش وتخطيط أهدافها بهـدف الوصـول إلى القوميات وقد ثبت أن كل انقلاب اجتماعي عنيف في ذلك العصر

كالثورة الفرنسية أو ثورة ١٩١٧م في روسيا يلقي أول مايلقي بعيداً بالتنظيمات العسكرية القائمة على أن الجيش كان وثيـق الارتبـاط بالبناء الاجتماعي السابق ومن ثم كونت الثـورة الفرنسـية حـرب الدعوة للحرية والمساواة والاخاء ونظمت ثورة روسيا جيشـاً مـن الفلاحين والعمال والصناع عام ١٩١٨م ليكون الجيش الجديد سلاحاً للجماهير للدفاع عن الثورة ضد الأعداء في الداخل والخارج.

كما أننا يمكن ان نلمس الصراع الذي قام به الاستراتيجيين بين الهجوم والدفاع والقيمة الحقيقية للتحصينات الضخمة مـن الحديـد والاسمنت في مواجهة تطور الأسلحة وخاصة المدفعية وكذلك قـدرة الدبابات على الحركة السريعة بجنود خاف الدروع من الحديـد مـع الامكانيات النارية.

وقد كان ليدل هارت يتزعم العقيدة الدفاعية لخط ماجينو وكذلك ظهور المدرسة الهجومية في ألمانيا وأمريكـا حيـث يعتبـرون ان الدفاع مرحلة من مراحل الهجوم فقط.

أما فيما يخص التاريخ العسكري فقد ظهرت في كتابات دولبروك الألماني طول سنين الحرب شخصية الناقد وطغت علـى شخصـية المؤرخ وعندما اقتنع بأن التفكير الاستراتيجي للقيادة الألمانية العليا يتناقض تماماً مع الاحتياجات السياسية للدولة وقـف فـي مقدمـة الداعين إلى مفاوضات الحلفاء لاقرار السـلام، وقـد انتقـد بعنـف استراتيجية لود ندورف بعد الحرب العالمية الأولى وكان مسـتمداً من النظريات والأسس التي خرج بها من دراسة التاريخ.

ولد "دلبروك" عام ١٨٤٨م وتطوع في الجـيش عـام ١٨٦٧م وشهد حرب ١٨٧٠ - ١٨٧١م بين ضباط الجيش، ووصـل عـام ١٨٨٤ - ١٨٩٠م حيث أصبح عضواً لمجلس الريشتاغ صدر لـه كتاب "تاريخ فن الحرب" ومن نظرياته الاسـتراتيجية "اسـتراتيجية الاجهاد" أي اجهاد وارهاق العدو في الحرب إلى حـد يقبـل فيهـا بالمفاوضات بالصلح وكان يود لو كان هدف الهجوم عـام ١٩١٨م

لتحقيق مثل هذه الاستراتيجية ولهذا فشلت القيادة الألمانية العليا عام ١٩١٨م وخسرت الحرب لأنها كانت تريد استراتيجية الافناء والدمار، وكان السبب الرئيسي في خسارتها برأيه أنها أهملت أهم درس في التاريخ وهو العلاقة بين السياسة والحرب.

ومن خلال انتقالنا من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية[١٠]، نبدأ بظاهرة بروز شخصية السياسيين المدنيين حيث أنه تبعاً لمتطلبات العصر استندت المسؤوليات الكبيرة "السياسية" للعنصر المدني في الدول الديمقراطية من ناحية السيطرة على الشؤون العسكرية بحجة واجب الحكومة لحماية الدولة وهذا مالمسناه في التطور التدريجي لسيطرة مجلس الكونغرس على السياسة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية وضرورة التصديق الدستوري على هذه السياسة وكيف أن الحكومة الوطنية ترددت في تشكيل الجيوش وامدادها بالعتاد تبعاً للسلطة والمسؤولية الملقاة على عاتق السلطة الدستورية الممنوحة للكونغرس، ويمكن أن تصل المسؤولية إلى حد السيطرة على العمليات الحربية نفسها، ومع ازدياد توثق العلاقة بين الحرب والتقدم الفني جاءت الثورة الصناعية التي مكّنت من تسليح وامداد الجيوش التي أوجدتها الثورة الفرنسية، وكانت الحرب الأهلية الأمريكية مظهراً دلّ على ماسيكون عليه طابع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م فلقد شهدت استخدام الحشود الكبيرة من القوات واستخدام الخطوط الحديدية والبرق والسفن المدرعة والمدفعية المحمولة على عربات السكك الحديدية، والبالونات، والبنادق من ذات التعمير، والخنادق والأسلاك الشائكة، واستجابة للسؤال عن كيفية الاعداد للحرب تقوم أساساً على المواد والعتاد، وامكانية تنسيق المجهود الحربي في حرب حديثة الطابع تتقاتل فيها الجيوش لعدة أمم متحالفة "المقصود هنا متطلبات الحرب العالمية الأولى" وعليه يبدو العنصر المدني ضرورياً، وظهر ذلك في الامبراطورية الألمانية نفسها وفي بريطانيا

مثل تشرشل ولويد جورج لحل المشـكلات العسـكرية والصـناعية والسياسية التي نجمت عن قيام حرب المواد والمـوارد (١٩١٤ - ١٩١٨)م وعندما جاءت حرب ١٩١٤م كان وزيراً للحربية لأكثـر ومع ذلك فقد غامر وتدخل في ميدان الاستراتيجية العسكرية، كما أن لويد جورج كان عام ١٩١٤م وزيراً للمالية لأكثر، ومع هذا فقد أخذ دوره في تمويل الإمكانيات المادية لصالح الحرب وكأن الحرب بنظره حرب مواد، وجد الفرصة المناسبة للتدخل فـي الأمـور العسـكرية والسياسية، وفي عام ١٩١٥م أشار لويد جـورج إلـى أن الأمـل الكبيرفي نجاح الحلفاء إنما يرجع إلى السيادة والأفضلية التي لهـم في الموارد الصناعية، فإذا ماأمكن تحقيق الاستخدام السريع الكامل لهذه الموارد وأمكن تنسيق جهود الحلفاء كـان النصـر علـى دول الوسط (ألمانيا - والنمسا - والمجر) مؤكداً مضموناً، وكرر تأكيـده على ضرورة تعبئة كل الموارد الصناعية للانتاج الحربي، كما قـدم مقترحات لتحسين الموقف الخاص بالذخائر بسبب نقص بعضها أثناء الحرب وكانت النتيجة تشكيل وزارة للذخائر تولاها هو بنفسه. كمـا اعترض تشرشل بدوره على صمود حرب الخنـادق وانتقـد القـادة العسكريين على الاستمرار فيها وقـد دفـع القيـادة إلـى الهجـوم بأسطولها البحري على الدردنيل، مما سبب فشلاً بحرياً عام ١٩١٥م وحمل الجيش خسائر كبيرة للاستيلاء على شبه جزيـرة غـاليبولي وحمات القيادة تشرشل مسؤولية هذا الفشل والخسارة، وعلى إثـر ذلك انتقل من وزارة البحرية إلى وزارة المالية وكان قد بدأ باختراع تكتيكي رئيسي في الحرب وهو "الدبابة" قبل أن يترك وزارة البحرية وكان ذلك كفيلاً بخلق ثورة في عالم "التكتيك"، وأثناء حـرب ١٩١٤ - ١٩١٨م اهمل تجاربه بقوله " إن الحرب الحديثة حرب شـاملة، ومن الضروري لإدارة مثل هذه الحرب ان ترشـد الهيئـات الفنيـة والمهنية بل وحتى أن توجه إذا لـزم الأمـر- بوسـاطة الرؤسـاء الحكوميين الذين تتوافر لهم المعرفة لتفهم - ليس فقـط- القـوى

العسكرية- بل- وأيضاً القوى السياسية والاقتصادية، والذين تتوافر لهم القدرة على توجيه هذا كله نحو الهدف". أما كليمانصو وهو سياسي خطيب وصحفي وفيلسوف وله دراية بالحكومة الفرنسية وبالقيادات التي تعصف فيها إلى الهزيمة عام ١٨٧١م وقد استطاع من أجل انقاذ فرنسا حشد كل الجماعات داخل المجلس النيابي فيما عدا الاشتراكيين، واستطاع كليمانصو بسبب توليه وزارة الحرب إلى جانب رئاسته للوزارة تقوية الجبهة الداخلية في أحرج ساعات الحرب بل واستطاع أن يحقق مع قيادة الجيش قيام ترتيبات عملية لم يحاول كل من سبقوه تحقيقها ونشبت خلافات عديدة بينه وبين "فوش" القائد الأعلى للحلفاء" حول السيادة.

هل يجب أن يكون للمدنيين أو العسكريين؟ وقف بوانكاريه رئيس الجمهورية إلى جانب فوش وعليه فإن كليمانصو قام بالإدارة المدنية في الطابع الذي كان تفرضه الحرب الحديثة على رؤساء الدول وفي العصر الحاضر، عصر الحرب المعقدة، الحرب الأممية الشاملة فإن رؤساء الدول وحدهم الذين تتوافر لهم السعة في وجهات النظر، والقوة اللازمة لتوجيه الحرب وإدارتها بنجاح، فإذا مااستطاع هؤلاء أن يوجدوا الأسس السليمة للتعاون مع القادة العسكريين فإن عملهم يكون سهلاً أما في حال فشلهم كانت النتيجة بداية مرحلة من الاحتكاك العنيف بين الجانبين مما يسبب فقدان الكفاية والفشل الأكيد.

أما النظرية الألمانية[١١] للحرب الشاملة، فإن مااسهم به لودندورف في تطور الفكر العسكري مايمكن أن يسهم به قائد فقد الحرب، فلقد بدأ الكتابة إثر هزيمة الجيوش الألمانية عام ١٩١٨م ومع ذلك فإن كتبه جاءت تستند إلى تجارب استراتيجية وتنظيمية مليئة بمظاهر الغرور والاعجاب بالنفس، وحاول أن يثبت في مؤلفاته أن ألمانيا لم تفقد الحرب العالمية الأولى، وكان بخاصة كقائد اكثر من شهرته كأديب أو كاتب وقد عالج ثلاثة موضوعات

يهمنا معرفة أحدها وهو امتيازه بذاكرة قوية للحـوادث واكسـابها طابعاً حيوياً في تسجيله لها، مع تنبؤه بطبيعة الأشـياء مسـتقبلاً، وكان يطالب بالسيادة التامة للقائد العسـكري علـى كـل المسـائل العسكرية والسياسية على السواء، وله بعـض الآراء أيضـاً عـن الحرب الشاملة وتصل نظريته إلى الذروة عندما تعرض للدور كقائد عسكري أعلى "قائد عام"، فهو بالإضافة لتوجيه العمليـات الحربيـة يجب أن يتولّى ايضاً توجيه السياسة الخارجية والاقتصـادية للأمـة كما يتولّى توجيه سياسة الدعاية بواسطة هيئة أركان الحرب حيـث يتوفر فيهم المهارة في ميادين الحرب وتكنولوجيتها وفـي ميـادين الدعاية والسياسة والاقتصاد، ولكن ليس لهم جميعاً دور ما في رسم السياسة العامة، وهكذا ليس للسياسي المدني مكـان فـي تخطـيط للحرب الشاملة بل إن القائد العسكري هو الذي يسـيطر علـى كـل شيء.

أما عن النظرية السوفيتية [١٢] للحرب فإنه مما هو معلـوم أن في كل انقلاب اجتماعي عنيف كثورة ١٩١٧م في روسيا تذهب مـع الريح كل النظريات والتنظيمات العسـكرية، مثلهـا مثـل التعـاليم السياسية والطبقات الاجتماعية التي يلقى بها بعيداً لايعنى بها أحـد، فالثورة الفرنسية ألغت الجيش الارستقراطي وأوجدت مكانه جمـوع المواطنين المقاتلين ثم خاضت غمار الحرب تـدعو إلـى "الحريـة والمساواة والإخاء" وهكذا حطّم "البولشفيك" الجيش المنبـوذ الـذي كونه القياصرة القدامى وكونوا جيشاً من الفلاحين والعمـال وكـان ميلاد الجيش الأحمر عام ١٩١٨م، ومع أننا لانستطيع أن نشك فـي أن معنويات الجيش الأحمر في الحرب ضد ألمانيا النازية تتفق فـي صورة ما مع الايديولوجية الشيوعية ومع المجتمـع المعـدوم فـي أرض السوفييت، كما تتفق مع الطابع الجديد المتوافر بين كل أفـراد الشعب الروسي طابع الولاء للوطن، إلا انه لايمكن أن يتّضح كسـب المعركة على أساس الروح المعنوية وحدها مهما كـان ثقلهـا فـي

ميزان الحرب، فالنصر يمكن ان يكتسب أيضاً بالمواد والعتاد بالضبط والربط، بالمهارة التكتيكية للأفراد، بالمستوى العالي، مستوى الضباط الكبار وأركان الحرب، ثم باتباع الأصول والمبادئ الاستراتيجية السليمة ولهذا كان من الضروري أن نبحث عن قوة المقاومة السوفيتية للغزو الألماني في أعماق تربة أرض روسيا، وفي التقاليد التاريخية الروسية، كما نبحث عنها أيضاً في دينمائية الثورة البولشفية.

كان لينين عام ١٩١٧م عندما استولى على السلطة باعتباره دارساً للاشتراكية دراسته للقومية السياسية والارهاب ونظام العمل النقابي على السواء، أي أنه غير جاهل بالمسائل العسكرية والاستراتيجية كما حذّر من ان الحرب ليست عسكرية فحسب بل إن لها طابعها السياسي والسيكلوجي والاقتصادي أيضاً وآمن أن الحرب والثورة يرتبطان معاً بعلاقة وثيقة وبخاصة عندما نرجع إلى كلمات ماركس من أن الحرب والثورة يرتبطان معاً بعلاقة وثيقة من أن الحرب يمكن ان تكون معواناً على ميلاد الثورة، كما اعتبر الهدف الأساسي للثورة تحطيم الرأسمالية كخطوة تمهيدية للوصول إلى السلم مع أن وصوله إلى السلطة كان بوساطة الانقلاب الفجائي وواجه بعدها الغزو الألماني بعد كسبه للحرب الأهلية في روسيا، وكان لينين وتروتسكي "وزير الحربية ١٩١٨ - ١٩٢٥م" يعرفان أنهما من ناحية الاصلاح السياسي وفي ضوء الدبلوماسية التقليدية وقد تنبئا في الهزيمة بمعاهدة بريست - ليتوفيسك- ولكنهما بالواقع كانا يناوران لكسب الوقت واستطاع تروتسكي من خلال كونه رئيساً للوفد الروسي في بريست، كان يعمل في اطالة الوقت بديلاً للقوة العسكرية فقد حقق نجاحاً خطراً وكانت وقتها القيادة الألمانية بسبب الهجوم الحاسم الذي تواجهه في الغرب أحوج ماتكون إلى الأمن والوقاية في الشرق، وهي لاتستطيع أن تحقق هذا إلا بالصلح والقضاء على البقية الباقية من القوات العسكرية الروسية.

وكان لينين في اثناء هذا يعيد دراسة استراتيجية "الثورة البرقية" في ألمانيا والنمسا والمجر وقد انتهى مضطراً إلى أن "حزب الحرب" أي الحرب مع ألمانيا يجد الموافقة في البلاد.

ومع هذا فقد كان شعوره أن الجيش الروسي لايمكنه الصمود أمام القوات الألمانية وستضيع الثورة الروسية بفعل الأسلحة الألمانية وعليه فقد عقد اتفاقية مع ألمانيا، أي أن روسيا بهذا تنفذ عملية انسحاب استراتيجية وكان لينين يعتبر الصلح كالحرب آلة للسياسة وفي الاتفاقية المذكورة التي فقدت فيها روسيا جزءاً من أراضيها وسكانها وصناعاتها ومواردها وموادها الأولية، لقد عني تروتسكي بتحليل المسائل العسكرية في دراسته لها ولكنه كان يؤمن بأن الحرب تكملة للسياسة وأن الجييش آلة في خدمة السياسة، وكانت قراراته تصدر لاعتبارات سياسية واقتصادية، قبل ان تكون لأسباب استراتيجية حيث كان لايدعها مطلقاً، كما أنه اعتمد في اعداد الجيش الأحمر على بعض الضباط وصف الضباط الفنيين والأخصائيين ممن كانوا في الجيش القديم لحاجته إليهم، وكان من بين الرجال الأقوياء الذين تصدوا له ووقفوا في وجهه "جوزيف ستالين" الذي قُدر له أن يلعب الدور الرئيسي والأكبر في الجيش الأحمر، وقد حاربت المعارضة تروتسكي في عدة ميادين مثل استخدام الضباط القدامى في الجيش وفي الاستقلال الذاتي الذي يجب أن يكون للوحدات في الميدان، وفي مسألة حرب العصابات وفي أساليب الضبط والربط، وعندما حاول ستالين إيجاد نظرية عسكرية ماركسية أنكرها تروتسكي بشدة مع أنه أبدى استعداده لتقبل العقيدة الماركسية في أنها قد يمكن أن تقرر الاستراتيجية العريضة للثورة في السياسة العالمية، ولكنه عارض أن يكون لها علاقة بالنظرية العسكرية، كما أنه عارض مسألة "الميليشيا" ولكن موقفه كان اقل قوة من موقفه من مسألة العقيدة العسكرية.

وبعد وفاة لينين عام ١٩٢٤م كان النقـاش السياسـي دائمـاً بخصوص من سيخلفه، على أن استيلاء ستالين على السلطة أصـر على متابعة تنفيذ مبادئ ماركس وقد كسب تجربة واسـعة ودرايـة بالمسائل السياسية، وقد بقي لجيل كامل يخطط للسياسة العسـكرية السوفياتية، ويعد الجيش الأحمر اعداداً فنياً ومعنوياً للكفاح العظـيم ضد ألمانيا هذا الكفاح الذي بدأ من عام ١٩٤١م.

على أن ستالين قد أيقن جيداً أنه لايمكن للاستراتيجية أن تنجح مالم تعبأ معها كافة الطاقات الاقتصادية للأمة ومواردهـا المعنويـة ومن ثم فإن دور ستالين البارز في العقيدة السوفياتية للحرب وفـي التاريخ العسكري لايوجد في التصريحات والبيانات التكتيكية ولا في النظريات الاستراتيجية بل فيما يتحقق من تصنيع الاتحاد السـوفيتي وفي تدريب واعداد الشعب للصناعات والاسهام فـي الحـرب ضـد النازيين.

وفي سنة ١٩٣٩م كان تحت قيادة هتلر أقوى جيش في أوربـا وأكد أكثرمن مرة أنه سيستخدمه نحو الشرق على حسـاب الاتحـاد السوفياتي وكل من قرأ كتاب "كفاحي" لهتلر يعرف أنه قد حمل على زعماء روسيا ووصفهم بالمجرمين المنتسبين إلى أمة تتـوافر لهـا طباع الوحوش.

ومن حسن حظ الاتحاد السوفياتي أنه بالرغم من إيمانه بالعامل الهجومي أوجد الاستعداد الكافي للدفاع بعد أن رأى غـزو الألمـان لبولندة عام ١٩٣٩م وانهيارفرنسا قد سببا إعـادة بحـث العقيـدة العسكرية السابقة، وفي عام ١٩٣٩م سار الجيش الروسـي عبـر أرض بولندة وحصل على موافقة هتلر لاحتلال منطقة تنتهي بحدود طبيعية على نهر "بوج" وفي عام ١٩٤٠م كان الهجوم على فلنـدة، وفي نفس العام احتل الروس جمهوريات البلطيـق الـثلاث وبهـذا الاتساع الاقليمي حصل الاتحاد السوفياتي على "الوسادة" التي تحتمل

السرعة الابتدائية والمفاجأة "أهم عاملين في الحرب البرقية - الخاطفة" أي أنه زاد من عمق المنطقة الدفاعية.

وكان هتلر يفكّر بتوجيه ضربة ضد الروس وكان الروس يتوقعون ذلك أيضاً، وكانت الحرب الدفاعية لروسيا والهجوم الألماني للأراضي السوفياتية، ولقد حقق الهجوم عام ١٩٤٢م نجاحاً جزئياً ذلك لأن الروس على نقيض الألمان كانوا متأهبين للعمليات النشطة في درجة حرارة دون الصفر، ولكن الحملة الروسية في صيف ١٩٤٣م صورت صدق ماقاله ستالين من أن طاقة الجيش الأحمر على استعادة قوة المبادأة من الألمان ليست وقفاً على الشتاء فقط.

ولقد قال تشرشل عن السياسة الروسية " إنها لغز يحيطه الغموض واربما كان له مفتاح لحل فعاليته، هذا المفتاح هو مصلحة روسيا القومية ".

وقد خرجت امريكا والاتحاد السوفياتي من هذه الحرب في قوة هائلة تتعاظم على مر الأيام.

أما حول عقيدة الدفاع وخط ماجينو(١٣) ففي عام ١٩٣٩م خاض الفرنسيون الحرب على خلاف الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م عندما كان الألمان يتقدمون نحو باريس حيث استطاعت النيران الوطنية الفرنسية ان توقف الغزاة الألمان عند المارن. وفي سنة ١٩٤٠م لم تتوافر لهم هذه الروح القومية ولم يكن إثارة حماسة الجيوش الفرنسية بعد الهزيمة التي منيت بها إثر الهجوم الألماني المفاجئ ولم توجد عمليات التقهقر المتتابعة القدرة والطاقة للقيام بهجوم مضاد، وانتهى الأمر بالتسليم والاستسلام.

وأسباب ذلك تعود للصراع السياسي الذي اشترك فيه الجيش عدة مرات، ولكثرة الخسائر التي تكبدها الفرنسين في الحرب العالمية الأولى، وتعددت وجهات النظر في إقامة " الأمة المسلحة " اقامة جيش من المحترفين، وهكذا بدأت فرنسا الحرب عام ١٩٣٩م مع انها عادت -أي فرنسا- عام ١٩٣٥م إلى نظام الخدمة في

الجندية لسنتين وكان الاصرار على جعـل الـدفاع طـابع التنظـيم العسكري سيسبب القضاء على روح الابتكار وعلى خاصية الهجـوم الخاطف - البرقي- .

وقد نشأ خط ماجينو من فكرة "التغطية " غير المعروفة فـي أي جيش في العالم وتعود تسميتها إلى وزير الحربية وقتها الذي كـان اسمه "ماجينو" وكانت العقيدة الفرنسية تقوم علـى أسـاس "قـوة النيران" و "العامل الدفاعي".

وتتجلّى قوة النيران "بالساتر" العامل الحاسم وراء خط مـاجينو وقوة النيران التي توجدها المدفعية.

كان ليدل هارت قد خدم برتبة كابتن (نقيب) في المشـاة عـام ١٩١٨م أي في الحرب العالمية الأولى وهو كاتب عسكري بريطاني وقف إلى جانب الاستراتيجية الدفاعية علـى أسـاس أنهـا أصـلح لبريطانيا وتبعاً لأفضلية الدفاع علـى الهجـوم، وباعتبـار أن خـط ماجينو سيوقف القوات المهاجمة فإن القوات البريطانيـة يمكـن أن تترك في الخلف كاحتياطي خفيف الحركة وهو الذي تبنّى استراتيجية "عقيدة الطاقة المحدودة" وعاد فتبنّى رأي آخر فـي ارسـال قـوات مدرعة كبيرة إلى فرنسا لتستخدم فقط بالهجوم المضـاد وبالتعـاون التام مع السلاح الجوي، ولكن القوات الألمانية تمكنت من اختـراق خط ماجينو بسهولة واحتلال فرنسا ولم تتمكّن القـوات البريطانيـة عمل شيء وأثبتت الحرب فشل الدفاع الذي أعدته فرنسا في خطهـا "ماجينو" مثله مثل الزرافة التي تخفي رأسها، ومع ذلك فقد دحـرت القوات النازية في آخر الأمـر وانتصـرت الشـعوب علـى هتلـر وأطماعه.

أما عن النظرية الاسرائيلية [١٤] التي اعتمدتها في حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ فيمكن التحدث عنهـا من خلال خبراتِ الحرب نفسها (باعتباري شاركت في الحربين معـاً وعلى الخطوط الأمامية على الجبهة السورية).

ففي حرب حزيران ١٩٦٧ اعتمدت اسرائيل في هجومها علـى الجبهة السورية الخرق من عدة اتجاهات غير محتملة وخاصة مـن القطاع الشمالي حيث التضاريس صعبة جداً وغير متوقـع للقيـادة السورية الخرق من هذا الاتجاه، وبعد أن خرقت الـدفاعات وسـعت الخرق من عدة اتجاهات واعتمدت في خرقها على القوات المدرعـة التي تمتلك امكانيات كبيرة في السرعة والقـوة الناريـة وامكانيـة المناورة بعد أن خلقت التفوق الجوي -بقصفها المطارات السـورية وايقاع خسائر فادحة فيها وضرب مدارج المطارات لعرقلة الطيـران في الصعود والهبوط وعدم تمكينه من تنفيذ مهامه القتالية.

وقد كان للطيران الاسرائيلي تأثير كبير على القوات السـورية سواء على الخطوط الدفاعية وفي العمق أيضاً، وقـد قامـت أيضـاً بانزالات بالحوامات في بعض المفارق الرئيسية على محاور الطرق خلف الخطوط وفي الاتجاهات التي تمكنت من خرقها ريثمـا تصـل القوات البرية إليها، وبالطبع كانت اسرائيل تعتمد على خطوط دفاعية على طول الجبهة مشكلة من نقاط استناد معاديـة فـي المرتفعـات محصنة تحصيناً جيداً وعلى المستعمرات خلف الخطوط وعلى الدشم المنتشرة على طول الجبهة وفيها أسلحة م/د وخاصـة الصـواريخ الموجهة أرض - أرض، كما أنها تعتمد على المراصد في المرتفعات السورية والتي تحتوي على أجهزة رصد متطورة، وبـالطبع كانـت قواتها البرية التي هاجمت الجبهة السورية مؤلفة مـن المـدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية المحمولة، وهذا ماجعلها قادرة علـى الحركة السريعة والمناورة في عمق دفاعاتنا كما أنها تمتلك حاملات للدبابات بأعداد كبيرة تمكنها من نقل عدة ألوية مدرعة بآن واحـد وكما علمنا من مصادر غربية فيما بعد بأن بعض وحداتها المدرعـة شاركت في الحرب على أكثر من جبهة بفضل هـذه الميـزة التـي امتلكتها وقد تقدمت قواتها بعد الخرق حتى وصـلت إلـى خطـوط

محددة ومدروسة مسبقاً تؤمن لها الحماية على المرتفعات السورية فيما بعد لتصبح مواقع دفاعية جديدة لها...

وفي حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣[١٥] تطـور سـلاحها الجوي والبري كثيراً باعتبارها تمتلك تفوقاً بالكم والنـوع، فأغلـب الأسلحة الأمريكية التي كانت تمتلكها متطورة جداً بالإضافة للأسلحة الأخرى وخاصة الفرنسية منها، الأسلحة الجوية بما فيها الطيران- والصواريخ أرض جو وكذلك الأسلحة البرية بما فيها المـدرعات - والصواريخ - والمدفعية ... الخ.

وكانت قد أقامت على الجبهة السورية خندق م / د أشبه مايكون بخط ماجينو الفرنسي مع ساتر ترابي عالي بالإضـافة إلـى نقـاط استناد معادية خاف الخندق م/د مباشرة وخاصـة فـي المرتفعـات وأقامت الدشم الاسمنتية التي تحتوي على صواريخ م/د متطورة كما أقامت حواجز شائكة على طول الجبهة بالإضافة إلى الألغام م/د و م م/أ، كانت نقاط الاستناد بمثابة نقاط انذارية لاأكثر مع أن تحصـينها كان قوياً جداً وتجهيزاتها كبيرة وخلفها مباشرة كانـت قـد أقامـت المستعمرات الدفاعية المجهزة بالأسلحة الدفاعيـة أيضـاً، وكـذلك المراصد على المرتفعات المشرفة على الجبهة السـورية بالكامـل كمرصد جبل الشيخ ومرصد تل الفرس وغيره، أما قواتها الأساسية فقد كانت متمركزة في العمق وجاهزة لتنفيذ أي مهام توكل إليها في الوقت المحدد، بالإضافة إلى ماذكرت فقد طورت سـلاح الحوامـات التي تحمل الصواريخ م/د بأعداد كبيرة وقد شاركت القوات البريـة في تنفيذ العديد من المهام على الجبهة السورية والمصـرية. وقـد استطاعت من خلال الشبكة الدفاعية القوية أن تصد قواتنا المهاجمة بعد أن تمكنت من احتلال نقاط الاستناد المعادية واجتياز الخندق م/د والتقدم في عمق دفاعاتها في الأيام الأولى من الحرب، حيـث كـان لقواتها المدرعة والميكانيكية المتمركزة في عمق دفاعاتها وبـدعم جوي كثيف الدور الفعال في إعاقة تقدم قواتنا المهاجمة واجبارهـا

على التراجع إلى مابعد خطوطنا الدفاعية بسبب الخسائر الكبيرة التي منيت بها قواتنا وخاصة المدرعة منها عند اجتياز الخندق م/د حيث تعرضت لدفاعات العدو الصاروخية م/د من المنع أو الدشم أو نقـاط الاستناد القريبة من الخندق م/د مما أوقع بقواتنـا خسـائر فادحـة بالأرواح والعتاد.

لقد استفادت اسرائيل من خبرات ضباطها القادمين مـن أوربـا منذ البداية وطورت نظرياتها القتاليـة وقواتهـا البريـة والجويـة والبحرية وهي تعتمد في نظريتها القتاليـة علـى القـوى الجويـة (الطيران) يأتي بعدها دور القوات البرية وخاصـة المـدرعات فـي الهجوم وعلى الدفاعات القوية والمحصنة التي تعرقل تقدم القـوات المهاجمة ريثما تحرك قواتها المتمركزة في العمق لصد أي هجـوم طارئ بالإضافة إلى القوات الجوية كما ذكرت.

وهكذا نجد أن رواد الاستراتيجية الحديثة قد أوجـدوا نظريـات استراتيجية خدمت وساعدت في تحقيق الأهداف المنشـودة لأكثـر الدول في العالم وخاصة من خلال الحرب العالمية الأولـى والثانيـة مما مكن قياداتهم السياسية والعسكرية من تنفيذ استراتيجيتهم فـي الحرب وبعضهم أصاب وبعضهم لم يتمكن من تحقيق النجاحات التي رسموها، ومن خلال هذه الحروب ونتائجها والخبرات التي اعتمدوها في حروبهم تشكّلت لدى الكثير من هذه الدول مدارس اسـتراتيجية لها منظّروها وتوصلوا إليها من خـلال الخطـط والنظريـات التـي اعتمدوها في الحرب، ولم يكتفوا بها وإنما عملوا علـى تطويرهـا باستمرار اعتماداً على خبراتهم القتاليـة وتطـور الأسـلحة التـي يمتلكونها.

ثانياً - الاستراتيجية من خلال السياسة الدولية

مقدمـــة :

لقد تلازم الفكر الاستراتيجي العسكري اتجاهاً ومضـموناً مـع حقائق السياسة الدولية، وكانت المحصلة المنطقية لهذا التلازم بـين المتغيرات السياسية والاستراتيجية انبثاق عـام جديـد هـو عـام الاستراتيجية الدولية الذي يشارك في تأصيل مفاهيمـه ونظرياتـه، وتحديد المرتكزات التي تبنى عليها افتراضاته وتوقعاتـه، وبلـورة التصورات التي تتحد في اطارها قضايا الحرب والسلام في العصـر النووي، خبراء الشؤون السياسية والعسكرية على حد سواء.

وإذا كانت الاستراتيجية الدولية [١٦] تقوم على التخطيط للكيفيـة التي يتعين على القوى والتكتلات الدولية المختلفة البنى في تـأمين كيانها وتدعيم أمنها القومي في عالم يتّسم بتعقد المصالح وتداخلـه ويمتلئ بالكثير من قوى التغيير والاختلال، فإن هذا التخطيط يعتمـد على عوامل متعددة كنوعية توازنات القوى، وكذلك درجة التصلّب أو المرونة العقائدية التي تجعل الأجهزة المسيطرة على عملية التخطيط الاستراتيجي في دولة أو تكتل متحيزاً في اتجاه او آخر، وكذلك على طبيعة الحقائق الجيوبوليتكية التي تؤثر في ظروف الأمـن القـومي والتي تفرض نمط من الاستراتيجية، كما أنه في حال أن الدولة لـم تكن مرتبطة بأحلاف دوليـة فإنـه تقـع عليهـا وحـدها تخطـيط استراتيجيتها، ويبقى تراكم الأسلحة النووية في العـالم يقلـل مـن احتمال نشوب حرب نووية والعكس هو الصحيح وأذكر مثال علـى ذلك التوازن الاستراتيجي الذي كان سابقاً بـين الولايـات المتحـدة

الأمريكية والاتحاد السوفياتي خلق توازن قوى في العالم والاتفاقات على منع انتشار الأسلحة النووية وكذلك اتفاقات الحظر الجزئي على اجراء التجارب النووية مؤتمر الأمن والتعاون الأوربـي واتفاقـات الخفض المتبادل والمتزايد للقوات في منطقة وسط أوربا، وكنتيجـة لكل هذه الاعتبارات تعددت النظريات الاستراتيجية وتعقدت إلى حـد أصبحت مزيجاً متداخلاً مـن الآراء والتصـورات كنظريـة الـردع والحروب الوقائية وحروب الاستنزاف والاستراتيجية غير المباشرة، ونظرية الصراع الممتد... الخ.

أولاً - ويمكن بعد هذه المقدمـة السـريعة أن نبـدأ بـبعض المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية:

١- السيادة القومية: نوع من التنظـيم السياسـي والقـانوني المتكامل للجماعة البشرية، وهي التي تتولى حماية أمنها، والسيادة هي القوة القادرة على تحقيق الوحدة السياسية للدولة هذا من الوجه الداخلي أما الخارجي فيقصد به استقلاليتها الدولية وعدم خضـوعها لأي قوى أخرى عالمية، وهي حق الدولـة فـي وضـع دسـتورها واختيار نظام حكمها ولا يتدخل أحد في شؤونها الداخلية أيضاً وهذا ماأكده ميثاق الأمم المتحدة.

٢- حق تقرير المصير : ويقصد به توفير الحرية الكاملة لكـل قومية في تقرير مصير وإدارة شؤونها الداخلية والخارجية بعيداً عن الوصاية من قبل أحد.

٣- المصالح القومية: هي بمثابة القـوة الدافعـة والمحـددة لاتجاهات السياسات الخارجية للدول.

٤- العزلة: ويقصد بها هنا العزلـة الدبلوماسـية والعسـكرية وعدم الرغبة في التفاعل والنشاط مع الواقع الدولي، وهذا قد يوفّر ضمانات فاعلة وتدعيم للأمن القومي.

٥- عدم الانحياز: وهي سياسات الحياد، وتقوم على نبذ الارتباط بالتكتلات والأحلاف الدولية التي تخدم سياسات الدول الكبرى في العالم - مؤتمر باندونغ-.

٦- العدوان: هو استخدام القوة المسلحة بواسطة دولة ضد دولة أخرى يمس السيادة الوطنية والاستقلال السياسي والسلامة الاقليمية من قبل دولة أخرى.

٧- التخريب الدولي: ويشمل كل عمل من أعمال التخريب والتمرد على السلطة الشرعية من قبل عناصر داخلية بدعم أو بتشجيع من دولة أخرى.

٨- الارهاب الدولي: هو الذي يتخطّى الحدود السياسية ويصطبغ بصبغة سياسية ويمارس من قبل جماعات غير حكومية كالمنظمات أو غيرها.

٩- الحرب الباردة: هي استخدام الوسائل والأدوات الغير عنيفة (لاتستخدم القوة المسلحة) في إدارة الصراع الدولي، كالصراع العقائدي، والتوتر السياسي، والتهديد الدبلوماسي والحرب النفسية والضغوط الاقتصادية... الخ.

١٠- نظام القطبية الثنائية: وهو النظام الدولي الذي برز بعد الحرب العالمية الثانية من بروز عملاقين في العالم هما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، أي أنه نظام توزع القوة العسكرية بين كتلتين متنافستين، وهو الذي يؤدي عادة إلى توازن القوى.

١١- التعايش السلمي: هي السياسة التي نادى بها خرتشوف رئيس الوزراء السوفياتي عام ١٩٥٦ وهي التي تقر التراجع عن حتمية الحرب بين النظام الرأسمالي والشيوعي واحلال التعايش السلمي بديلاً عنه.

١٢- الوفاق الدولي: هو الانفراج الدولي بين القوى في صراعاتها كما كان بين أمريكا والصين من توتر في العلاقات.

١٣- سياسات الأمر الواقع: وتأتي نتيجة الحروب الدولية وخاصة العالمية منها، وهو تطبيق الأمر الواقع السياسي في ظروف اقليمية جديدة.

١٤- حقوق الإنسان: أقرت هذا المبدأ الأمم المتحدة في مواثيقها، وهي الدعوة إلى تشجيع الاحترام لحقوق الانسان والحريات الأساسية للجميع دون تفرقة أو تمييز بشأن العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين.

١٥- الرأي العام العالمي: هو الاتفاق الذي يتعدى الحدود القومية للدول ويوحد بينها تجاه بعض المسائل الأساسية في السياسة الدولية.

ثانياً- حقائق القوة والصراع في الاستراتيجية الدولية المعاصرة: (١٧)

١- القوة القومية: هي ذات طبيعة ديناميكية بمعنى أن ثقل العناصر التي تتكون منها مما يترتب عليه تغيرات مشابهة في حجم هذه القوة وفعاليتها، وعليه فإن القوة القومية هي المقدرة على التأثير في سلوك الدول الأخرى بالكيفية التي تخدم أهداف الدول الممتلكة لها، وهذا ليس له علاقة بالكبر أو الغنى أو العظمة.. فقد تكون مع ذلك ليست قوية للأسباب التي ذكرتها.

٢- أنماط القوة في المجتمع الدولي: تدعيم امكاناتها قبالة التحديات التي تواجه مصالحها القومية أو الوطنية أو أمنها القومي والتي تجابهها بها مراكز القوى الدولية الأخرى والتي تقف منها موقف التنافس أو التصارع في نطاق النظام الدولي القائم وله عدة أنماط قوة انفرادية- وتحالفية ونظام امن جماعي وبشكل حكومات عالمية.

بعض النظريات والأنظمة والحروب الدولية :

١- نظرية الصراع الدولي: هي ظاهرة ديناميكية متناهية التعقيد لتعدد أبعادها وتداخل مسبباتها ومصادرها وتشابك تفاعلاتها

وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، وكذلك تفاوت المستويات مـن حيث المدى والكثافة والعنف، والصراع بحد ذاته هو تنازع الإرادات بين الدول وقـد يكـون سياسـياً أو اقتصـادياً أو ايـديولوجياً أو تكنولوجياً، ولكنه رغم ذلك لايصل إلى الحرب المسلحة.

٢- الحرب كأداة للسياسة القومية: تستخدم في الحالات التـي تخفق فيها الأساليب الدبلوماسية، وهذه الظاهرة قائمة فـي العـالم على مدى التاريخ رغم أن المواثيق الدولية تحظّر اسـتخدام القـوة المسلحة في العلاقات الدولية، وتتمثل الحرب في هجومية ودفاعية.

٣- نظام توازن القوى (النظرية التقليدية) [(١٨)]: والطابع المميز بشكل عام الصراع، وينبع من محاولات كـل دولـة زيـادة قوتهـا القومية على حساب الأخرى، وقد يجعلها أحياناً تدخل في ائتلاف أو محور قوي مضاد قادر على مجابهة التحدي إلـى مواجهـة القـوة بالقوة، وهذا بالتالي يوصلنا إلى نظام توازن القوى..

٤- نظرية توازن الرعب النووي: إن لتوفر كميات هائلة مـن الأسلحة النووية لدى القوتين العظميين في العالم سابقاً أثره في خلق مثل هذه النظرية (ويعرف أيضاً بالردع النووي).

٥- الاستراتيجية النووية[(١٩)] وهي تستند على امـتلاك القـوة النووية سواء بالأسلحة أو بوسائل نقلهـا بالقـذائف الصـاروخية الموجهة، والقدرة على التدمير المؤكد بالضربة الثانية (وهي الـرد على الضربة الأولى من الطرف الآخر وامكانية تدميره) ومن أجـل توفير ذلك نشأت الأحلاف كحلف الأطلنطي وحلف وارسو.

٦- نظرية الأمن القومي: وهو يتمثل في عـدة أهـداف منهـا العمل على ردع هجوم مباشر، أو ردع الاستفزازات العنيفـة التـي تصدر عن الخصم والتي تقف دون مستوى الهجـوم المباشـر، أي بالتهديد باستخدام الضربة الأولى بعكس الوضع السابق الذي يكـون فيه الرد بالضربة الثانية.

٧- نظرية الحرب المحدودة: وقد جاءت بعد اختراع الصواريخ ذات الرؤوس النووية العابرة للقارات والتي ضاعفت مـن القـدرة التدميرية للحروب النووية الاستراتيجية، وقد بذلت محاولات عديـدة لتطوير هذه الحرب من خلال البحث في إمكانية اسـتخدام الأسـلحة النووية على نطاق محدود في مثل هذا النوع من الحروب. أي تجنب فكرة الانتقام الشامل والتركيز بدلاً عنه بما يسمى بالثأر الاستراتيجي المحدود.

٨- نظرية الحروب الوقائية وحروب الاحبـاط: هـي المظهـر الرئيسي لتخطيط الاستراتيجية النووية علـى الأسـاس الهجـومي البحت، وهي تشكل المرحلـة الأولـى مـن مراحـل تطـور هـذه الاستراتيجية الهجومية ويقع الاطار الزمني لهذه النظرية بين الفترة ١٩٤٥ - ١٩٤٩ وهي الفترة التي احتكرت فيها الولايات المتحـدة الأمريكية ملكية الأسلحة النووية في المجتمع الدولي.

ومن هنا تبلور مفهوم الحرب الوقائية أي أنه يعني السعي نحو تدمير قوة الخصم والاجهاز عليه قبل أن تنمو قوته النووية في كامل أبعادها (كون الاتحاد السوفياتي كان في طريقه لامتلاك القوة النووية بعد أمريكا وخشية الخطر الشيوعي على الغـرب. ظهـرت نظريـة الحروب الوقائية).

أما نظرية حرب الاحباط: فإذا كانت نظرية الحرب الوقائية تقوم على فكرة تدمير قوة العدو بواسطة الضربة الأولـى النوويـة دون اشتراط أن يكون هذا الهجوم مسبوقاً باستفزاز من جانب الخصـم، فإن النظرية هذه (حرب الاحباط) تحاول أن تجد لها أساساً أخلاقيـاً تبني عليه تبريرها لفكـرة الحـرب الهجوميـة، وهـو أن الحـرب الهجومية تصبح جائزة ومبررة في الحالات التـي يثبـت فيهـا أن الخصم على وشك أن يشن هجوماً نووياً وفي هـذه الحالـة يقـوم الطرف الثاني في احباط هجوم الطرف الأول الوشيك الوقوع بهجوم نووي.

٩- نظرية الحروب العادلة: وقد استخدمها الشيوعيون سـواء للحروب العادلة أو غير العادلة وقد ابتكر هذه النظريـة خرتشـوف سابقاً وأطلقها في السياسة الدولية.

١٠- الحرب غير النظامية: (حرب العصابات) وتستخدم في حال عدم امكانية استخدام الحرب النظامية أحياناً وهي تؤثر على المدنيين وتنفذ بالاعتماد على التمويه والانتشار وتضـليل العـدو وخداعـه وتوريطه في معارك جانبية تستنزف قـواه وتحـول أنظـاره عـن المعارك الرئيسية، وتوفر عنصر المباغتة مما يربـك استراتيجيته.

١١- الاستراتيجية غير المباشرة: تقوم على تفادي الدخول في مصادمات مباشرة، أو حاسمة مع الخصم انتظاراً لظـروف اخـرى ملائمة، وحيث يمكن تحقيق التفوق على هذا الخصم، فهي تستند إلى توريط الخصم في معارك جانبية ترهقه والشيوعيون سـابقاً كـانوا أكثر الدول التي تستخدم مثل هذه الاستراتيجية.

١٢- حروب الاستنزاف[٢٠] وتبني استراتيجيتها على الاستهلاك التدريجي لقوة الخصم بما يؤدي إلى إرهاقه والنيل منـه واضـعاف معنوياته، وقد تشمل دولة الخصم بأكملها، وقد تقتصر على بعـض القطاعات الاسـتراتيجية المتمثلـة فـي قواتـه، أو أسـلحته، أو صناعاته... وهو مااستخدمتها سورية في حـرب الاسـتنزاف مـع اسرائيل.

١٣- حروب الإفناء: عكس حروب الاستنزاف تماماً وهي إلقاء الدولة بكل ثقلها وقوتها وتتجسد هذه الحـرب باسـتخدام الأسـلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، ويكون الوقت الزمني لها محدود للغاية، وهذا مالمسناه في الحرب العالميـة الثانيـة عنـدما استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية هذا علـى مدينـة هيروشـيما وأنهت الحرب العالمية باستسلام اليابان الغير مشروط حسماً للحرب بالكامل.

١٤- الحرب النفسية والدعائية: وهي أداة تعتمد عليها الـدول في دعم ومساندة تحركاتها الدبلوماسية والعسكرية فـي المجتمـع الدولي. وقد استخدمت منذ الحرب العالمية الأولى.

١٥- الحروب الأهلية : وهي حروب تنشأ في الداخل أو بمعنى الثورات الداخلية أحياناً، وتنتهي في بعض الأحيان بالتدخلات الدولية لبعض الدول العظمى التي قد تكون وراء مثل هذه الحـروب وهـذا مايجري حالياً في العالم وخاصة في دول العالم الثالث والنامية..

١٦- نظرية الردع: وهي توفر القدرة التي تتيح إرغام الخصـم على التراجع عن تصرف معين أو احباط الأهداف التي يتوخاها مـن ورائه تحت التهديد بالحاق خسارة جسيمة به تفوق المزايـا التـي يتوقعها من وراء هذا الاجراء على مثل هذه التصرفات.

١٧- نظرية التصعيد: هي النظرية التي عنيت بتحديـد الاطـار العام لعملية التصعيد، وتحليل القوى والأسباب التـي تـدفع إليـه، وتعيين الحد الأقصى للعنف المسلح وقد ظهرت هذه النظريـة فـي تصعيد الولايات المتحدة الأمريكية عملياتها العسكرية ضـد فيتنـام بالأسلحة التقليدية فقط وقد يكون أحياناً بالأسلحة النووية.

١٨- نظرية المباريات: وقد عرفـت لأول مـرة عـام ١٩٤٤، وتتركّز هذه النظرية على التعامل مع المواقف التي تشـتمل علـى صراعات مصالح وتنظـر إليهـا كمـا لـو كانـت مباريـات فـي الاستراتيجية، وتقوم فكرتها على افتـراض أن الصـراعات تنقسـم بطبيعتها إلى تنافسية ، وغير تنافسية.

ثالثاً - الاستراتيجيات الدولية للقوى الكبرى[٢١]:

١- سياسات الإحتواء: هي أولى حلقات الاستراتيجية الأمريكية في عالم مابعد الحرب العالمية الثانية، وهـي مرتبطـة بـالتطورات الجذرية التي حدثت في موازين القوى الدولية نتيجة الهزيمة التـي لحقت بالنازيين في الحرب.

٢- استراتيجية الانتقام الشامل: هي الاستراتيجية التـي بلـور أسسها دالاس وزير خارجية أمريكـا بمثابـة التصـحيح لسياسـة الاحتواء ضد الاتحاد السوفياتي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـة. وقد ارتكزت على حرية الانتقام الفوري والعنيـف، بوسـائل وفـي مناطق تختارها الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

٣- استراتيجية الاستجابة المرنة: تعتنقها الولايـات المتحـدة الأمريكية منذ بداية الستينات والتي ينتهجها حلف الاطلنطي كأساس لتخطيط سياساته العسكرية منذ عام ١٩٦٧، وتستخدم لتوفير أكبـر قدر ممكن من المرونة والحركة للدبلوماسية الأمريكية في مواجهـة مختلف النزاعات التي تقحم فيها الولايات المتحدة الأمريكيـة بحكـم ارتباطاتها الدولية الواسعة المدى، ويعود الفضل في بلورتها وتحديد مبادئها ومرتكزاتها الرئيسية إلى الجنرال تيلور رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيش الأميركي، وجاء في دفاعه عنها: انها كانت تطور المقدرة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية بما يكفل لها مواجهـة أي تحدٍ، والسبيل إلى ذلك في رأيه كان يقتضي التنويع في وسـائل الردع والقتال، النووية والتقليدية والاستراتيجية والتكتيكية... الخ.

٤- استراتيجية التدمير المؤكد: قدمها ماكنمارا وزيـر الـدفاع الأميركي عام ١٩٦٥ على أن تكون استراتيجية الدفاع الأميركي في مواجهة التهديدات المتصاعدة للاتحاد السوفياتي والصين، وكان في رأيه أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تُعزز مقدرتها على الرد بالضربة الثانية إلى أقصى ماتسمح به الظروف، وذلك عن طريـق الاحتفاظ بقوات تكون من الضخامة بحيث يستطيع أن يدمر الطاقات العسكرية والهياكل الاجتماعية والمدنية لكل من الاتحاد السـوفياتي والصين، وهذا مااصطلح عليه بالقدرة على التدمير المؤكد.

٥- الاستراتيجية الأطلنطية : وهي تقوم علـى تـدعيم القـوة التقليدية لدول أوربا الغربية بالقوة النووية الأمريكيـة، أي تقسـيم عبء الدفاع العسكري عن كتلة الأطلنطي إلى المشـاركة بالأسـلحة

التقليدية وتتولاها أساساً أوربا الغربية، والمشاركة بالأسلحة النووية وتتولاها أساساً الولايات المتحدة الأمريكية.

٦- الاستراتيجية النووية الفرنسية[٢٢]: فكرت فرنسا بانشاء قوة نووية خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ وفي عهد ديغول ١٩٥٨ لاقى هذا البرنامج اهتماماً كبيراً للحصول على قوة نووية مستقلة لفرنسا واصطلح على تسميتها بالقوة الضاربة. وبعد ذلك امتلكت بريطانيا الأسلحة النووية أيضاً.

٧- الاستراتيجية النووية السوفياتية[٢٣]: كان هذا في أيام خرتشوف وهو رد على امتلاك امريكا لهذه السلاح، واعترف الاتحاد السوفياتي بأهمية قوات الصواريخ الاستراتيجية، وقد افترض الاتحاد السوفياتي أن الشكل الغالب لأي حرب نووية مقبلة هي حرب صواريخ نووية، وعليه فقد امتلكها وعمل على تطويرها.

٨- الاستراتيجية النووية الصينية[٢٤]: تعتبر الصين من أقوى ثلاث دول نووية في العالم وقد أصبحت حالياً ثاني دولة في العالم بعد انهيار وتفتت الاتحاد السوفياتي، وقد رفض ماوتسي تونغ كما نعلم من قبل مبدأ احتكار هذه الأسلحة في نطاق الكتلتين الغربية والسوفياتية، وبامتلاكها هذا السلاح النووي تمتلك القدرة على مجابهة كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي بحجة حماية أمنها القومي لاأكثر ولم تبرز حتى الآن أي نوايا عدوانية لها في العالم أي أنها قوة ردع لاأكثر.

رابعاً- الأحلاف العسكرية وتدابير الأمن الجماعي[٢٥]:

ومن مواثيق الأمن المتبادل ميثاق ريو او معاهـدة المسـاعدة المتبادلة المتعددة الأطراف عام ١٩٤٧، وهي تنصب علـى كفالـة السلام من قبل أمريكا لكل الدول الأمريكية التي تتعرض للحـرب أو للعدوان عليها وكذلك معاهدة بروكسل التي وقعت عام ١٩٤٨ بـين بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا ولوكسـمبورغ، بغـرض الـدفاع الجماعي ضد أي هجوم مفـاجئ، وكـذلك معاهـدة حلـف شـمال الأطلنطي.. وقعت عام ١٩٤٩ وضـمت فـي عضـويتها الولايـات المتحدة الأمريكية وكندا إلى جانب ثلاث عشرة دولة اوربية غربية، وكذلك معاهدة حلف وارسو وقد عقدت عـام ١٩٥٥ بعـد انضـمام ألمانيا إلى حلف الأطلنطي، مما اضطر الاتحاد السوفياتي إلى تقـويم استراتيجية الدفاع في أوربا، وانتهى به إلى استبدال سلسلة مواثيق دفاعه الثنائية مع دول شرق أوربا الشـيوعية بمنطقـة عسـكرية جماعية جديدة، وقد حصرت في النطاق الأوربي فقط وهـذا يعنـي استبعاد بعض الدول الشيوعية غير الأوربية مثل الصـين وكوريـا الشمالية وفيتنام الشمالية، من عضوية الحلف.

- نظام الأمن الجماعي: بدأ مع قيام عصبة الأمم المتحدة بعـد الحرب العالمية الأولى، إلى الحيلولة دون تغيير الواقـع الـدولي أو الاخلال بعلاقاته أو أوضاعه على نحو غير مشـروع، وذلـك عـن طريق تنفيذ تدابير دولية جماعية كقوة ضاغطة ومضادة لمحـاولات التغيير تلك، وذلك عن طريق الأمن الجماعي الذي لايلغي التناقضات القائمة في مصالح الدول أو في سياساتها وإنمـا يسـتنكر العنـف المسلح كأداة لحلها ويركز بدلاً من ذلك على الوسائل السلمية.

نظرية مجتمعات الأمن : هو الاصطلاح الـذي قـام بتفاصـيل مفهومه عالم السياسة الأمريكية كارل دويتش، ويقصد به المنـاطق التي يجمع أطرافها في الحرص على تسوية المنازعات التي تنشـب بينهما ليس بوسيلة القوة أو العنف وإنما بأسلوب الحلول النصـفية أو الاتفاقات الوسط، وبأسلوب الاغراءات وتحاشي الانفعـال الـذي

يقود إلى تصعيد مواقف الخلاف، وهناك مجتمعات الأمـن التعدديـة الطابع، ومنها مجتمعات الأمن المندمجة، كما هو بين أمريكا وألمانيا وايطاليا... وفي التعددية كما هو بين أمريكا وكندا. ومن الأحـلاف التي سبق وتحدثنا عنها باختصار "حلف جنوب شرقي آسـيا" وقـد انبثق الحلف عام ١٩٥٤ بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيـا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا والباكستان وتايلاند والفيلبـين وكـرد على هذا الحلف من قبل الدول الآسيوية المحايدة وعلى رأسها الهند وبورما وسيلان على قيام حلف "السياتو" بالإضافة إلى تدعيم الهنـد علاقاتها مع الصين الشيوعية في إطار التعايش السـلمي، وكـذلك حلف المعاهدة المركزية (السنتو) وترجع بداية التفكير فـي حلـف بغداد في عام ١٩٥١ حين تقدمت الدول الغربية، بعد الغـاء مصـر معاهدة التحالف والدفاع المشترك مابينها وبين بريطانيا عام ١٩٣٦ بمشروع "القيادة الرباعية" وقد جمد بسبب معارضة مصر لـه، ثـم كان لتطورات الحرب الكورية التي أوضحت قوة التحدي الشـيوعي في آسيا، أثرها في دفع الولايات المتحـدة الأمريكيـة إلـى اعـادة تقييمها لنظم الغرب الدفاعية في منطقة الشرق الأوسـط لمواجهـة تحدي الاتحاد السوفياتي، ومن هنا تبلورت فكرة الحزام الشمالي من قبل حكومة ايزنهاور إلى الدعوة إلى تأسيس حلف جديد في المنطقة الشمالية المتاخمة للاتحاد السوفياتي وبـالأخص تركيـا وباكسـتان وايران والعراق، وكإجراء مبدئي عقدت تركيا والباكسـتان ميثاقـاً دفاعياً ثنائياً بينهما في عام ١٩٥٤، وأعقب ذلـك التوقيـع علـى الميثاق التركي العراقي في ١٩٥٥ وقد تركت المادة الخامسة مـن هذه المعاهدة التركية العراقية الباب مفتوحاً أمام الدول الأخرى التي ترغب في الانضمام إليها والتي يعنيها الدفاع عن السلم والأمن فـي الشرق الأوسط، وتلا عقد هذا الميثاق انضمام بريطانيا اليـه عـام ١٩٥٥ ثم باكستان في عام ١٩٥٥ ثم ايران في ١٩٥٥ وأصبح هذا التحالف معروفاً بحلف بغداد.

وبعد ثورة العراق عام ١٩٥٨ انسحب العـراق مـن الحلـف فأصبح اسمه حلف المعاهدة المركزية "السنتو" وقـد وقفـت مصـر والاتحاد السوفياتي ضد هذا الحلف منـذ البدايـة، أمـا المعاهـدة الأمريكية اليابانية فقد مر التحالف الأميركي اليابـاني عبـر ثلاثـة مراحل مرت كل منها في صيغة معاهدة أمن متبادل بـين الـدولتين وكانت أولى هذه المعاهدات هي معاهدة الأمن بين الـدولتين، وفـي عام ١٩٥١ بعدما وضعت أمريكا قواتها وتحريكها من وإلى اليابـان كجزء من الاستراتيجية الأمريكية الرامية إلى دعم أمن اليابان وأمن منطقة الشرق الأقصى ضد التهديد الشيوعي وقد أنهت هذه المعاهدة رسمياً الاحتلال العسكري الأمريكي لليابان، وفي عام ١٩٥٨ أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على سحب قواتها البريـة مـن اليابـان باعتبار أن اليابان أصبحت تمتلك القدرة على الـدفاع عـن نفسـها بالأسلحة التقليدية، وفي عام ١٩٦٠ وقّعت معاهدة جديدة تحدد فيها اليابان تقديم العون لأمريكا فيما لايتعدى حماية أمنهـا فقـط، وقـد تطورت علاقات اليابان فيما بعد مع كـل مـن الاتحـاد السـوفياتي والصين، وفي عام ١٩٧١ انتهت المفاوضات بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية أعادت بموجبها أمريكا، جزيرة أوكيناوا بعد احتلال دام أكثر من ربع قرن، بقيت مشكلة الأمـن الاقليمـي (المقترحـات السوفياتية) في آسيا: اقترح الاتحاد السوفياتي إلى انشاء نظام عـام للأمن الجماعي في آسيا، وقد تأكد هذا الاقتراح في برنامج السـلام الذي أقره الحزب الشيوعي السوفياتي، وتشمل هذه المقترحات فـي نبذ استخدام القوة في العلاقات المتبادلة، وكـذلك احتـرام السـيادة الاقليمية، والتعهد بعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والعمـل علـى تنمية العلاقات الاقتصادية وغيرها من أشكال التعاون، والإيمان بأن السلم الدولي لايتجزأ وأن السلم في آسيا هو جزء من السـلم فـي العالم، وكانت هناك بعض التحفظات على المقترحـات السـوفياتية، واعتبرت الاقتراحات السوفياتية ليس أكثر من اسـتراتيجية جديـدة

يحاول بها الاتحاد السوفياتي مواجهة الصين في المرحلة المقبلة من خلال اشراك الدول الآسيوية كلها في مسؤولية تنفيذها.

خامساً- السياسات العربية فيما يتعلق بافريقيـا والشـرق الأوسط(٢٦):

أ- المقاطعة العربية: هي من أهم التدابير العربية ضد اسرائيل لتضييق الخناق عليها، ولحرمانها من الفرص والمصادر الاقتصادية التي يعتمد عليها بقاؤها، وهذه المقاطعة كانت تنسـجم مـع عـدم اعتراف الدول العربية بشرعية الكيان الاسرائيلي العنصري الذي قام على اغتصاب فلسطين وطرد شعبها العربي من أراضيه في انتهـاك صريح لكل مبادئ القانون الدولي والشرعية الدولية، وتأتي المقاطعة العربية الرسمية إلى القرار الذي اتخذه مجلس جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ والذي جاء فيه الدعوة إلى حظر دخول السلع والمنتجات اليهودية في فلسطين الى الدول العربية، وكـذلك دعـوة الشـعوب العربية غير الممثلة في مجلس الجامعة أن تتضامن وتتعـاون مـع دول الجامعة في تنفيذ هذا القرار، وكذلك الدعوة إلى تشكيل نخبـة من الدول الممثلة في الجامعة للتنسيق والاشراف على تنفيـذ هـذا القرار، وقد جدد القرار أكثر مـن مـرة فـي ١٩٤٦ - ١٩٤٨ - ١٩٥٤ وإذا ماقارنا الأمس باليوم بعد المبـادرة الأمريكيـة وبعـد الاتفاقات المنفردة مع اسرائيل وسياسة التطبيع التي شملت العديـد من الدول العربية نجد الفارق الكبير بين الأمس واليـوم فالتوسـع الاقتصادي لاسرائيل يسير وفق مخططات اسرائيل التوسعية ولـيس لاسرائيل أي مصلحة بالسلام بدون التطبيع الذي يحقق لها التوسـع المنشود في المنطقة.

ب - الحوار العربي الأوربي: يعتبر الحوار العربي الأوربي أحد النتائج الجانبية لحرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ولأزمة الطاقـة العالمية التي أبرزتها هذه الحرب في أبعادها الحقيقية، ولقـد كانـت دول المجموعة الاقتصادية الأوربية هي أول من أدرك ذلـك بحكـم

ارتباطاتها الواسعة بالعالم العربـي واعتمادهـا عليـه فـي تلبيـة احتياجاتها البترولية، وقد أعلنت عام ١٩٧٣ عن استعدادها للقيـام بدور سياسي واقتصادي جديد في منطقـة الشـرق الأوسـط فـي المساعدة في البحث عن حل سياسي معقـول للصـراع العربـي- الاسرائيلي، والمشاركة في دفع التنميـة الاقتصـادية فـي الـوطن العربي، ومن هنا ولدت فكرة اقامة حوار عربي- أوربي، وقد أكـد بيان القاهرة عام ١٩٧٤ إلى هدف الحوار العربي- الأوربـي هـو إقامة علاقات خاصة بين الدول العربية ودول المجموعة الاقتصادية الأوربية، وتشمل التعاون فـي المجـالات السياسـية والاقتصـادية والثقافية والاجتماعية والتكنولوجية.

وقد أسيء فهم هذا الحوار من الجانبين، فقـد ركـز الجانـب العربي على الأبعاد السياسية له، أما الأوربيين علـى التقليـل مـن اهمية الجوانب السياسـية والتركيـز علـى الجوانـب الاقتصـادية والتكنولوجية، دون أهتمام أو وعي بمسؤولياتهم تجاه المنطقة، وقد كانت هناك صعوبات تنظيمية أيضاً في تركيب اللجنة العامة للحـوار لتوجيهه، وقد فشلت اللجنة في تعميق التفاعل بين الجانبين، وفـي تحول الحوار الجماعي إلى حوار فردي، وهكذا فشـل الحـوار فـي الوصول إلى نتائج إيجابية.

ج - مؤتمر القمة العربي- الافريقي: عقد عام ١٩٧٧ وضـم ملوك ورؤساء الدول والحكومات الأعضـاء فـي منظمـة الوحـدة الافريقية وجامعة الدول العربية، وقد صدر عن المـؤتمر الاعـلان السياسي الذي يحدد مبادئ أساسية لتعزيز التعاون بينهما واعـلان التعاون الاقتصادي والمالي، وفيما يخص الاعلان السياسي فيتضمن الالتزام بمبادئ عدم الانحياز والتعايش السلمي وحرصه على إقامـة نظام اقتصادي دولي عادل، والتأكيد على احترام السـيادة والوحـدة الاقليمية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وعـدم شـرعية ضـم الأراضي بالقوة، وحل الخلافات بالطرق السلمية، وكذلك التأكيد على

الحاجة إلى تعزيز جبهة الشعوب الافريقية والعربية الموحـدة فـي كفاحها للتحرر الوطني وأدان المؤتمر الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية، والتمييز العنصري، ودعا إلى تبادل المعلومات بصـفة منتظمة، كما أدان الاعتداءات العسـكرية المسـتمرة والمنـاورات السياسية والاقتصادية التي تمارسها الامبريالية في جنوب افريقيـا وروديسيا وحلفائهما ضد السيادة وهي انغولا وبتسـوانا وليسـوتو وموزامبيق وزامبيا، بهدف زعزعة الاسـتقرار السياسـي... وأدان السلطات الاسرائيلية، وفي الاعلان الاقتصادي فقد شجع المؤسسات المالية وتدعيم الموارد للمؤسسات المالية الوطنية، وزيادة مـوارد المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا، وتـدعيم العلاقـات التجارية وتنسيق المساعدات المالية المقدمة من الـدول العربيـة، وتشجيع الاستثمارات العربية وتوظيف رؤوس الأموال العربية فـي الدول الافريقية، وأخيراً زيادة المساعدات الثنائية المقدمة عن طريق الصناديق الوطنية إلى الدول الافريقية.

د - وفيما يخص نظرية الامن الاسرائيلي وخـط بـارليف[٢٧]: فيمكننا القول ان النظرية التي بنيت عليها الاسـتراتيجية العسـكرية التي طبقتها اسرائيل منذ قيامها وحتى حرب تشرين ١٩٧٣ وإن أهم عناصر نظرية الأمن الاسرائيلية قبل حرب تشرين التحريرية تمثلـت بالاحتفاظ بمؤسسة عسكرية مدعمة بالتكنولوجيا الحديثة والاحتفـاظ بالقدرة على المبادأة بالهجوم أو مايسمى بالضربة الوقائية، وتأمين المبادأة الاستراتيجية لتحافظ اسرائيل على زمام المبـادرة، وكـذلك التركيز على مبدأ الحرب القصيرة والحاسمة، والعمـل علـى نقـل المعركة لأرض العدو وكذلك احاطة استراتيجيتها العسكرية باطار من المرونة الدبلوماسية التي تتيح لها مجالاً رحباً للحركة الدولية. وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ أنقذ التوسع الهائل الجديد اسرائيل من الشعور بالاختناق، فأصبحت مرتكزاتها في استراتيجيتها تبرز في القدرة على الردع، وبالحدود الآمنة بضم مساحات واسعة من الأراضي والميـاه

العربية والاحتفاظ بالمقدرة على المبادأة، وضمان مؤازرة قوة عظمى لاسرائيل تسارع إلى نجدتها وقت الحرب. وبعد حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ التي أدت إلى تقويض نظرية الأمن الاسرائيلية من أساسها وكان من أبرز معالم التحول الجديد انهيار نظرية الحدود الآمنة، ولم تتمكن اسرائيل من تحقيق أهدافها التي كانت قد رسمتها، وهكذا اهتزت نظرية الحرب الخاطفة لدى اسرائيل نتيجة للحرب ومجرياتها، وثبت لها بعد أن أكّد الخبراء العالميون أن اسرائيل ارتكبت خطأً جسيماً بعد عام ١٩٦٧ عندما اعتمدت على ماأسمته الحدود الآمنة، وعلى الخطوط الدفاعية الثابتة (خط بارليف) متخلية عن استراتيجيتها الأساسية في الحركة المرنة السريعة التي بني جيشها على أساسها، وبعد الحرب الأخيرة أعادت النظر في استراتيجيتها التقليدية بما يتلاءم والظروف الجديدة، وقد تبلورت الخطوط الاستراتيجية على القيام بالهجوم المسبق او الضربة الوقائية لاجهاض الاستعدادات العربية، وكذلك تركيز أكبر حشد من القوات على الجبهة الأخطر والانتهاء منها، ثم التحول إلى الجبهة الثانية -في حال وجود جبهتين- وكذلك القيام بعمليات الاختراق العميق بالاعتماد على مرونة الحركة وسرعة الاندفاع، وأخيراً تأمين التفوق في القوة الجوية لقطع مواصلات القوات العربية، ومن ثم تدمير القوات المتبقية في الجبهة، كما يقترن بهذا التغيير في بعض قواعد الاستراتيجية الاسرائيلية العمل باتجاهات اخرى، كالتركيز على الأسلحة النووية والتلويح بها في وجه العرب وسعي اسرائيل للحصول على صواريخ أرض - أرض بعيدة المدى والتهديد بها في ضرب أي عاصمة عربية، والمماطلة في الاجراءات السلمية بهدف خلق ظروف دولية وعربية يمكن استغلالها لصالحها مع بقاء سيطرتها علىأكبر قدر من الأراضي العربية المحتلة، والعمل على إذكاء حدة الخلافات بين العرب، وأخيراً تدعيم الشعور بالأمن عن

طريق التأكيد على علاقات الارتباط العضوي بين اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

أما فيما يخص خط بارليف- وهو كما نعلم خط الاستحكامات والتحصينات العسكرية القوية الذي بنته اسرائيل على الضفة الشرقية لقناة السويس خلال الفترة التي عاصرت اعلان مصر لما أسمته بحرب الاستنزاف ضد اسرائيل أول عام ١٩٦٩، واستمر هذا الخط يؤدي دوره كاحدى دعامات الاستراتيجية الاسرائيلية لتعويق، بل وتدمير أي هجوم مصري يحدث ضد مواقعها عبر القناة حتى ثبت خطأ التقديرات التي بنيت عليه هذه النظرية بعد أن اقتحمته القوات المصرية في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ ودمرته تماماً، بعد أن كانت أجهزة الدعاية الاسرائيلية قد روجت حول مناعته الأساطير وصدقتها دوائر عسكرية مسؤولة كثيرة في العالم. وقد كلف بناء هذا الخط مايقرب من /٢٥٠/ مليون دولار، ونسب اسمه إلى بارليف رئيس هيئة أركان الحرب الاسرائيلي في ذلك الوقت، وصاحب فكرته.

وقد دفع انشاء هذا الخط وإقامته إلى الفترة التي أعقبت حرب ١٩٦٧، وهي الحرب التي أدت إلى التدمير شبه النهائي لأداة الحرب المصرية، ووصول اسرائيل إلى الضفة الشرقية للقناة التي اعتبرتها اسرائيل الخط الطبيعي الفاصل بينها وبين القوات المصرية الرابضة في مواقعها على الضفة الغربية والتي كان قد أعيد بناءها بعد الحرب.

ومنذ حرب حزيران ١٩٦٧ تم وقف اطلاق النار تحت اشراف الأمم المتحدة، وقد دأبت اسرائيل على خرق وقف اطلاق النار أكثر من مرة في منطقة القناة، في ايلول من نفس العام وجهت المدفعية الاسرائيلية نيرانها إلى مدن القناة وأعقبت ذلك بقصف معامل تكرير البترول في السويس، وخلال شهر تشرين الأول عادت إلى التحرش بالقوات المصرية في بور سعيد واتخذ ذلك شكل ارسال لبعض قطعها

البحرية لاختراق المياه المصرية، مما أدى إلى اطلاق البحرية المصرية صواريخها على المدمرة الاسرائيية "ايلات" واغراقها في المياه الاقليمية المصرية في العام نفسه واعتباراً من هذا الحدث دخل الموقف العسكري بين مصر واسرائيل مرحلة جديدة هي مرحلة المواجهة التي تطورت بين الطرفين.

ففي المرحلة الأولى التي تمتد من ايلول ١٩٦٨ حتى تموز ١٩٦٩ أعلنت مصر عن سياستها الجديدة وسمتها " سياسة الدفاع الوقائي" وقد استندت على عدم السماح لاسرائيل بتحويل خطوط المواجهة إلى خطوط للبقاء، وذلك بتحصينها وحشد القوات فيها وتثبيت أقدامها فوقها.

وتحولت الخطوط المصرية تحت وطأة ضربات المدفعية الاسرائيلية إلى عبء مرهق يتزايد يوماً بعد يوم، مما اضطر مصر لاخلاء مدينتي السويس والاسماعيلية من سكانها نتيجة القصف الاسرائيلي المستمر لهما، ولم يكن أمام اسرائيل في حينها الا اتباع اللجوء إلى شن حرب شاملة جديدة ضد الدول العربية لتحتفظ بقوتها العسكرية وتفوقها الرادع وتوقف النمو المطّرد للقوة العربية، أو الاستمرار في سيطرتها على الأراضي العربية المحتلة، وأن تتحمل التكاليف الباهظة للاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة لمدة طويلة، وقد تبنّت اسرائيل الحل الثاني في ممارسة الردع في نطاق محدود على شكل غارات من الكوماندوس (الوحدات الخاصة) وقد فشلت فيما بعد من تنفيذ مهامها، وبعد أن أعلنت مصر حرب الاستنزاف ضد اسرائيل في ايار ١٩٦٩ بدأت اسرائيل تراجع حساباتها في سياسة الردع المحدود.

وفي المرحلة الثانية من تموز- كانون الأول ١٩٦٩ انتقلت اسرائيل إلى سياسة الردع العنيف بالغارات الجوية لتدمير جهاز الدفاع الجوي المصري. وفي المرحلة التالية من كانون الثاني- آب ١٩٧١ قررت اسرائيل مد غاراتها الجوية إلى عمق الأراضي

المصرية وحتى مشارف القاهرة، وضرب عدد من الأهداف المدنية، مما دفع مصر وبمساعدة الاتحاد السوفياتي، إلى انشاء شبكة الدفاع الجوي الجديدة وتدعيمها بأنواع حديثة مـن الأسـلحة والمعـدات الالكترونية والصواريخ أرض - جو، وقد دفع اسرائيل بعد هذا إلـى القيام باجراءات مضادة حتى آب عام ١٩٧٠ عنـدما قبلـت مصـر بمبادرة "روجرز" التي فرض بمقتضاها وقف اطلاق النار من جديـد من قبل الجانبين حتى كانت حرب تشرين التحريريـة عـام ١٩٧٣ والتي اصبح بعدها خط برليف أثراً بعد عين.

هـ - وفيما يخص الأسلحة الذرية الاسرائيلية[٢٨]: بعـد حـرب السويس وفي عام ١٩٥٧ قررت اسرائيل بناء مفاعل ذري نـووي بقوة ٢٤ميكاوات في ديمونا، وقد تأكد ذلك فـي عـام ١٩٦٨ بعـد امتناع اسرائيل عن التوقيع على اتفاقية حظر الأسلحة النووية والتي صدرت عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في حزيران عـام ١٩٦٨، بحجة أن الأسلحة التقليدية لايمكن أن تؤمن لاسرائيل التفوق علـى الدول العربية، وان امتلاك اسرائيل لهـذا السـلاح يعتبـر أداة ردع وتخويف تضغط فيه على العرب للدخول في اتفاقات سلام معها فـي المستقبل، ومع ذلك فإن امتلاك اسرائيل لهذا السلاح لم يمنع وقـوع حرب تقليدية لاعام ١٩٦٧ ولا عام ١٩٧٣ فيما بعد، وهكذا سـقط خط بارليف، وحلت الأسلحة النووية مكانه في اسرائيل بالإضافة إلى الاستمرار في تطوير الأسلحة التقليدية لدى كل من العرب واسرائيل وقد أصبح لدى اسرائيل مايقارب مئتين رأس نووي كما يقال، بينما لم يمتلك العرب أي سلاح نووي وحتى المفاعل النووي العراقي فقد دمرته اسرائيل نفسها لتبقى المتفردة في امتلاكه في المنطقة وهـذا ماتؤكد عليه أمريكا من خلال استراتيجيتها الجديـدة فـي المنطقـة وخاصة بعد أزمة الخليج في ان امتلاك اسرائيل السلاح النووي دون العرب هي الوسيلة الوحيدة للسلام في المنطقة.

سادساً- بعض الحروب العربية الاسرائيلية[٢٩]:

وسنتحدث عن حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب تشرين التحريرية باختصار- وقد كتب لي الاشتراك فيهما باعتباري كنت في حينها ضابطاً في القوات المسلحة السورية- ونبدأ بحرب حزيران ١٩٦٧، فقبل ذلك كانت الظروف مواتية لاسرائيل لشن الحرب ضد الدول العربية المجاورة، ومن أبرزها اطمئنان اسرائيل الى الدعم السياسي من الولايات المتحدة الأمريكية وبعد أن زودت بالسلاح من قبلها، بينما تدهورت العلاقات العربية الأمريكية، وكانت مؤتمرات القمة العربية قد عكست صورة من التضامن العربي فصورته اسرائيل القوة التي ستدمرها أمام الرأي العام العالمي وخاصة الغربي، لقبول مزاعم اسرائيل بحقها في الدفاع عن نفسها برد العدوان قبل وقوعه، وكانت القوات الاسرائيلية قد أنهت استعداداتها للحرب وشكّلت قوتها الضاربة على أساس شن حرب خاطفة وحاسمة وبوقت واحد على ثلاث جبهات عربية وخلال بضعة أيام، وقد شنت حربها بدءاً من سوريا بحجة تنفيذ مشروعات المياه العربية ولأن المرتفعات السورية ذات المواقع العسكرية المتحكمة بالأراضي الاسرائيلية المنخفضة.. كانت هدفاً من أهداف الحرب، وكذلك بأن سوريا تشجع النشاط المتزايد للمقاومة الفلسطينية داخل الأراضي الاسرائيلية، شنت اسرائيل هجوماً جوياً على سوريا، وكانت مصر قد أخلت قوات الطوارئ الدولية في منطقة شرم الشيخ على الجبهة المصرية بطلب من مصر دعماً للموقف السوري وبدأت الجيوش في حشد قواتها استعداداً لخوض الحرب وجرى توقيع ميثاق مشترك بين الأردن والجمهورية العربية المتحدة، وكما قلت شنت اسرائيل الحرب بضربة جوية وجهتها إلى مصر في ٥ حزيران ١٩٦٧، مما أعطى اسرائيل فرصتها للانقضاض على الجبهة السورية والأردنية بعد اخراج القوات الجوية العربية خارج المعركة، وسميت الحرب بحرب الأيام الستة خسر العرب هذه الحرب الخاطفة، وقد وفّرت هذه الحرب لاسرائيل عمقاً استراتيجياً بعد احتلال ثلاث أضعاف مساحتها

الأصلية ومنها هضبة الجولان وسيناء وأصبحت بذلك قريبة أكثر من المدن والأهداف الاستراتيجية لكل من سوريا ومصر.

أما حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ وهي الحـرب الرابعـة العربية الاسرائيلية بعـد حـرب ١٩٤٨- وحـرب ١٩٥٦ وحـرب حزيران ١٩٦٧ وقد تمثلت هذه الحرب بنتائج عديـدة تتمثـل فـي تأثيرها على الاتجاهات العامة للاستراتيجية الدولية، لقد جاءت حرب تشرين التحريرية لتحسم الأمر وتوجد استراتيجية جديدة ومتطـورة للحرب المحدودة على صيغة الحرب الالكترونية وخاصة في استخدام الصواريخ الموجهة ضد المدرعات والدبابات وشمل كذلك استراتيجية الحرب الجوية برمتها في تأثير الصواريخ أرض- جو على السـلاح الجوي مهما كانت كثافته وقوته، كما اثبت عدم الحاجة إلى استخدام الأسلحة النووية في مثل هذه الحروب، ومن حيث أهميـة الأسـلحة الاقتصادية فقد أكدت الحرب على الأهمية الاقتصادية فـي العلاقـات الاقتصادية الدولية بما لايقل عن التأثير في القوة العسكرية، وخاصة فيما يتعلق بسلاح البترول، وهذا ماأثبت أن الحرب يجب ن لاتقتصر على الأهمية العسكرية أو السياسية فقط وإنما للأسلحة الاقتصـادية دور هام في الحرب، وأما من حيث تأثير حرب تشـرين التحريريـة على العلاقات الأمريكية - الأوربية، فنتيجة الحرب هذه اثبـت ذلـك التطور أن جدار التضامن الأطلنطي أصبح هشـاً، كمـا أن ضـغط الاعتبارات الاقتصادية على دول أوربا الغربية فاق روابط التحـالف، والدول الغربية تهمها مصالحها في المنطقة ولا غير ذلك وسياستها مبنية على هذا الأساس، ولذلك نجدها تعترض على التأهب الـذري لأمريكا بعد الحرب وأن هذا ليس إلا تضخيماً مفتعلاً لتضخيم الأزمة، وهذا ماالمسناه في حرب الخليج من تأهب القوات الأمريكية المفتعـل والغاية منه تضخيم الأزمة للوصول إلى أهدافها المنشودة... والتـي انعكس على المنطقة بعد الحرب، وأخيراً وفيما يتعلق بتأثير الحـرب على اسطورة القوة الاسرائيلية التي لاتُقهر، فقد اسـتطاع العـرب

تدمير هذه الأسطورة وأن باستطاعة العرب استخدام الأسلحة المتطورة والحديثة والالكترونية منها أفضل استخدام، وإذا ما تمكّن العرب من استرجاع ثقلهم المؤثر سياسياً واقتصادياً وبشرياً واستراتيجياً فقد يؤدي إلى حسم الصراع العربي- الاسرائيلي.

أما فيما يتعلق بالسياسات الأوربية الغربية وبعض العلاقات الأمريكية الأوربية والدول الشيوعية وكذلك السياسات والشؤون الآسيوية(٣٠) فسنتكلم عن البعض منها وباختصار مقصود للاطلاع عليها باعتبارها تتعلق بموضوع البحث...

- الوحدة الأوربية: كانت نتيجة الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها، وقد بدأ الاهتمام بها منذ عام ١٩٤٨ من خلال ماسمي بمؤتمر أوربا تمخض عنه عام ١٩٤٩ مجلس أوربا المؤلف من بلجيكا وفرنسا ولوكسمبورغ وايرلندا وايطاليا والنرويج والسويد، وقد سبق هذا حيث قامت كل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكمسبورغ بتكوين رابطة تجمع بينها وتمثل في معاهدة بروكسيل عام ١٩٤٨، وهي المعاهدة التي نصت على مبدأ الأمن الجماعي والدفاع المشترك ضد أي عدوان يقع في أوربا، وعلى التعاون الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وعلى اقامة جهاز استشاري دائم، وقد حاولت انشاء منظمة عسكرية دفاعية في غرب أوربا وكان حلف شمال الأطلنطي ١٩٤٩ واتحاد غرب أوربا ١٩٥٤، وجاءت بعد ذلك مرحلة أخرى مهمة في مشاريع التعاون الاقتصادي الأوربي التي أخذت فيها فرنسا زمام المبادرة مع التوقيع على المعاهدة التي نشأ بموجبها مجمع الفحم والصلب الأوربي في عام ١٩٥١ والتي وقعت عليها كل من فرنسا وألمانيا وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكمسبورغ، وقد رفضت بريطانيا الانضمام إلى هذا المجمع، وفي عام ١٩٥٧ وقّعت الدول الست المذكورة معاهدة انشاء "السوق الأوربية المشتركة " أو الجماعة الاقتصادية الأوربية، التي أصبحت نافذة المفعول في ١٩٥٨، وبنفس الوقت تم التوقيع على المعاهدة

الخاصة بانشاء منظمة الطاقة الذرية الأوربية، التي أكّدت أن هدفها تشجيع الاستخدام السلمي للطاقة الذريـة، أمـا السـوق الأوربيـة المشتركة فقد كان الهدف من انشائها ايجاد سوق للتجـارة الحـرة المشتركة، داخل الدول الأعضاء في هذه الكتلة الاقتصادية الجديـدة، عن طريق الإلغاء التدريجي للرسـوم الجمركيـة علـى الـواردات والصادرات، وقد تجاوزت هذه المرحلة فيما بعد إلـى العمـل علـى ضمان حرية انتقال عنصر العمل ورأس المال والسلع عبر الحـدود القومية لهذه المجموعة من الدول، وكبديل لعدم اشتراك بريطانيا في هذه الكتلة الاقتصادية الأوربية، أقدمت بالاشتراك مع كل من السويد والنرويج والدانمارك وسويسرا والبرتغال فـي عـام ١٩٥٩ علـى انشاء مايسمى بمنطقة التجارة الحرة، غير أن بريطانيا غيرت مـن اتجاهها وتقدمت بطلب عضوية إلى السوق الأوربية المشتركة، ولكن ديغول استخدم سلطة الفيتو في ١٩٦٣ ليقف في وجه هذا الانضمام، وتحرك الموضوع ثانيـة عـام ١٩٦٥ علـى انضـمام بريطانيـا والدانمارك وايرلندا إلى السوق، وأخيراً وبعـد مفاوضـات مضـنية وتمت الموافقة في عام ١٩٧٢ على انضمامهم إلى السوق، وبنفس العام عقد مؤتمر مؤلف من رؤساء الحكومات التسع وصـدر عنـه اعلان بمثابة وثيقة شاملة حددت أهداف ومبادئ ووسائل التعـاون بين دول الجماعة الأوربية في تكوينها الجديد، وخاصة في الميادين التجارية والاقتصادية والنقدية، أما عن مشروع الوحـدة السياسـية الأوربية، فقد تناولت هذه الوثيقة بتقديم وعود وعهود على العمـل على إقامة وحدة أوربية قبل نهاية العقد الحالي.

يعتبر اعلان مؤتمر القمة الأوربي عام ١٩٧٢، والذي تحـدثنا عنه من قبل تكملة لموضوع الوحدة الأوربيـة والسـوق الأوربيـة المشتركة، جاء فيه : لقد حان الوقت لكي تـدرك أوربـا بوضـوح ضرورة تحقيق وحدة مصالحها وفقاً لما لها مـن امكانـات، وبمـا يتناسب مع أهمية المسؤوليات التي تتحملها في المجتمـع الـدولي،

وعلى أوربا أن تكون قادرة على إسماع صوتها في مختلف القضايا العالمية، وعلى تأكيد مفاهيمها الخاصة في العلاقات الدولية وفقاً لرسالتها القائمة على التفتح والتقدم والسلام والتعاون وبهذا تؤكد على رغبتها في اقامة تنمية الجماعة الأوربية على أسس الديمقراطية والحرية في الرأي، وحرية التنقل للأفراد، وحرية الفكر، وعلى اسهام الشعوب بحرية تامة، كما تؤكد عزمها على دعم الجماعة الأوربية وذلك باقامة وحدة اقتصادية ونقدية تعدها خير ضمان للاستقرار، وادراكاً منها للمشكلة التي يطرحها الابقاء على التخلف في العالم تؤكد رغبتها في اطار سياسة شاملة تجاه الدول النامية، في بذل المزيد من الجهود لمعاونة وتنمية الشعوب الأكثر معاناة من غيرها، كما تؤكد على رغبتها بتشجيع وتنمية المبادلات الدولية، وتشمل جميع الدول دون استثناء، وعليه فإنها مستعدة للدخول -وفقاً للإجراءات التي وضعها كل من صندوق النقد الدولي والاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة (الجات) - في مفاوضات قائمة على مبدأ المعاملة، بالمثل، ومراعاة منها لعلاقات حسن الجوار تؤكد عزمها على المضي في سياستها الحالية القائمة على العمل للتخفيف من حدة التوتر، ولاقرار السلام مع دول شرق القارة، وخاصة بمناسبة عقد مؤتمر للأمن الأوربي والعمل على اقامة أسس دائمة لتعاون اقتصادي وانساني أوسع، كما تؤكد الجماعة الأوربية أن البناء الأوربي وفقاً لأهدافه السياسية سيتيح للقارة تأكيد شخصيتها، مع استمرار اخلاصها لصداقاتها التقليدية ولتحالفات الدول الأعضاء في الجماعة الأوربية وعليه فقد أعلن مؤتمر القمة الأوربي عن عدد من الوسائل والاجراءات الرئيسية في انشاء صندوق أوربي للتعاون النقدي، وإلى الدعوة إلى اجراء تنسيق أكثر احكاماً للسياسات الاقتصادية للجماعة الأوربية، وكذلك في الدعوة الى اتخاذ موقف مشترك من اجل اعادة توجيه واصلاح النظام النقدي الدولي، وكذلك الدعوة إلى انشاء صندوق للتنمية الاقليمية مما يتيح اقامة الوحدة

الاقتصادية والنقدية مستقبلاً، والدعوة إلى وضـع بـرامج العمـل الاجتماعي لتحقيق سياسة منسقة فيما يتعلّـق بالعمالـة والتـدريب المهني وتحسين أحوال العمل والحياة، وكذلك الدعوة إلـى القضـاء على العراقيل الفنية في مجال المبادلات، وخاصة الحواجز الضريبية والقانونية، والدعوة إلى انتهاج سياسة تجارية مشتركة تجـاه دول شرق أوربا بهدف إبعاد التوتر عن أوربا، والدعوة أيضاً إلى الاكثار من الاستشارات بين دول الجماعة في أمور السياسـة الخارجيـة، وأخيراً الدعوة إلى تحويل مجموعة العلاقات القائمـة بـين الـدول الأعضاء إلى وحدة أوربية، ومنه نأتي إلى مؤتمر الأمن والتعـاون الأوربي: أخذت الدعوة تشتد إلى عقد مثل هذا المؤتمر للخوف العام والمشترك من الأخطار التدميرية للحروب في كل من الكتلتين الغربية والسوفياتية، وذلك في محاولة للتوصل إلى تسويات عامة ومقبولـة لمشكلة الأمن المعلقة بين الطرفين، وقد قامت دول حلـف وارسـو بدور بارز في الدعوة لهذا المؤتمر الذي انعقد فـي هلنسـكي عـام ١٩٧٣ واستؤنف في جنيف عام ١٩٧٤ بحضور مندوبين من ثلاث وثلاثين دولة من اوربا الشـرقية والغربيـة والولايـات المتحـدة الأمريكية وكندا، وانتهت أعمال المؤتمر بالتوقيع على وثيقة مبـادئ هلنسكي المعروفة عام ١٩٧٥ وقد كمنت الأسباب التي دعت لإقامة مثل هذا المؤتمر لتضاؤل دور الصراع العقائدي في العلاقـات بـين الكتلتين والذي كان مصدراً للتوتر، وفي ظهور نزعات استقلالية في كلا الكتلتين مما هيأت للحوار السياسي بين شطري القارة، وكـذلك لأن الأحلاف العسكرية - مثل حلف الأطلنطي ووارسو -ثبت وأنهـا تهديد للأمن وليست تدعيماً له، وكـذلك لأن مثـل هـذه الترتيبـات الإقليمية للأمن الأوربي تنمي الثقة بين الأطراف، وإن وجـود مثـل هذا الاتفاق يؤدي إلى وجود مناخ سياسي ودي يخـدم الأمـن فـي المنطقة، وفي دعم قضية السلام الدولي، والانفراج في العـالم وقـد ينتج عنه أيضاً تخفيض الأسلحة والقوات في العالم، وفيمـا يتعلـق

بسياسات الانفتاح على الشرق، وهي السياسات التي شرعت حكومة بون في تطبيقها في مواجهة الاتحاد السوفياتي ومجموعة دول شرق أوربا، وقد تمثّلت الأسباب التي دفعت بون إلى انتهـاج مثـل هـذه الاستراتيجية اقتناع ألمانيا أن عضويتها في حلف الأطلنطي، وقبولها بالمخاطر التي تنتج عن الحلف لاتخدم قضية الوحدة الألمانية وهناك أيضاً اقتناع متزايد من جانبها بأن تطويق الأنظمة الشـيوعية فـي منطقة شرق أوربا تؤدي إلى عزلة ألمانيا وكذلك فإن اعتناق الاتحاد السوفياتي واعلانه مبدأ بريجينيف بعد التدخّل العسكري لدول حلـف وارسو في تشيكوسلوفاكيا في ١٩٦٨ واستناداً لكل ماذُكر أخذ فيلي برانت ينتهج سياسة جديدة تعبر عن التحولات الدولية، وعلى هـذا الأساس طرح سياسات الانفتاح على الشرق التـي اسـتهدفت مـد جسور التقارب إلى الاتحاد السوفياتي ودول شرق اوربـا بوسـائل التسوية السياسـية والتفـاوض الدبلوماسـي وتنميـة المصـالح المشتركة، وقد استجابت الدبلوماسـية السـوفياتي لهـذه الخطـوة لرغبتها في تنوع حركتها في القارة الأوربيـة، ولحـرص الاتحـاد السوفياتي على جعل ألمانيا تقبل التوقيع على اتفاقية -معاهدة حظر الانتشار للأسلحة النووية التي وقّعت عام ١٩٦٨، وهو ماكان بالفعل فيما بعد والتوقيع على عدة اتفاقيات أخرى في المنطقة وأدت فيمـا بعد إلى إيجاد روابط اقتصادية وثقافية بين ألمانيا الاتحادية وبـرلين الغربية، وقد تمخّضت الجهود فيما بعد إلى الانضـمام إلـى الأمـم المتحدة وإلى الوحدة الألمانية أخيراً وبذلك تكون ألمانيا قـد حققـت وحدتها من جديد بفضل سياسات الانفتاح على الشرق.

وعن العلاقات الاميركية الأوربية، كاتفاقية ناسـو، ومشـروع القوة الأوربية المتحدة الأطراف، والقوات الاميريكية في أوربا وكذلك جولة كيندي والرقابة النووية في حلف الاطلنطـي وكـذلك تقريـر هارمل عن الناتو والمشاركة الاطلنطية الجديـدة وكـذلك الخفـض

المتوازن للقوات في أوربا، فسأتحدث عن البعض منهـا باختصـار أيضاً.

وفي مايخص اتفاقية ناسو ١٩٦٠ كانت بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية للحصول على صاروخ جو -أرض يمكن تزويـده برأس نووي ووعدت أمريكا بتزويد هذا الصاروخ لبريطانيـا الـذي يضاعف مقدرتها الاستراتيجية الرادعة.

ومقابل ذلك وعدت بريطانيا بمنح قاعدة للغواصات الامريكية في أوربا وخصصت قاعدة "هولي لوك" في اسكتلندة لهذا الغرض، وقـد رفضت فرنسا في عهد ديغول الانضمام لهـذا المشـروع، وحـول مشروع القوى النووية المتعددة الأطراف، فقد اقترحتـه الولايـات المتحدة الامريكية لحل الخلافات بينها وبين الدول الأوربيـة حـول مشكلة الرقابة على استخدام الأسلحة، بعد اقدام فرنسا على تكـوين قوة نووية مستقلة، وعليه فقد اقترحت امريكا انشاء قـوة نوويـة للحلف، وفيما يخص جولة كنيدي، فبعـد قيـام السـوق الأوربيـة المشتركة[٣١] شعرت بالخطر الاقتصادي التي يتهددها من جراء هذا الوضع، ودخلت معها في مفاوضات استمرت مرحلة طويلة تركّـزت على دعوة السوق الأوربية علـى تخفـيض رسـومها الجمركيـة الخارجية على السلع الصناعية الامريكية، والمطالبة بتـوفير سـبل الحماية لصادرات أمريكا الزراعية، ومقابل ذلـك أبـدت الولايـات المتحدة الامريكية استعدادها لتخفـيض الرسـوم الجمركيـة علـى صادرات السوق الاوربية المشتركة إليها، إلا أن المفاوضات تعثّرت، وعليه فقد عدلت حكومة الرئيس كيندي سياستها التجارية، بتقـديم تنازلات أوسع ضماناً لاستئناف المفاوضات بقصد الوصول إلى اتفاق يخدم قضية التعاون الاقتصادي المشترك بينهما.

وبدءاً من عام ١٩٦٤ بدأت جولة كيندي واستمرت حتى عـام ١٩٦٧ حيث أمكن التوصل إلى اتفاق ضخم بـين الاطـراف حـول تخفيض الرسوم الجمركية وإلى تدابير أخرى مشـتركة والمضـادة

لسياسات الإغراق، وفيما يتعلّق بالمشاركة الاطلنطية الجديدة، وهي تتمثل في المبادأة التي أعلنتها الولايات المتحدة الامريكية في عـام ١٩٧٣ واستهدفت من ورائها تنمية إطار جديد للعلاقات الامريكيـة الأوربية يكون أقدر على الاستجابة لتحدي السبعينيات، وخاصـة أن العلاقات كانت تعاني فيه من التوتر، وحاولت حكومـة نيكسـون أن تُجري تقييماً جديداً لاحتياطات الأمن الغربي في نطاق عالم متغيـر، وأن تُحقق تقارباً بين الطرفين فيما يتعلّق برؤيتهما المشتركة لعـالم المستقبل، وفي عام ١٩٧٣ في الخطاب الذي ألقاه وزيـر خارجيـة أمريكا هنري كيسنجر حاول أن ينتقل بالحوار الأطلنطي من مستواه الفني البحث إلى مستوى أعلـى مـن المناقشـة وطـرح الأفكـار والتصورات، وقد حدد فـي خطابـه معـالم التغييـر فـي العـالم، والمؤشرات التي تتحكّم في توازن السياسة الخارجيـة الأمريكيـة، وأكّد على وثيقة جديدة لإعادة صياغة هذه العلاقات، وقد أراد بـذلك أن يبدد الشكوك التي تنتاب هؤلاء الحلفاء حول اتجاه أمريكـا إلـى فرض وجهة نظرها وهيمنتها، وقد حدد كيسنجر في خطابه حقـائق عالمنا المتغير، بالنمو الضخم في قوة أوربا الغربية، أو النجاح الذي حققته في تنفيذ مشاريعها الاقتصادية، وكذلك في التغيير في الميزان العسكري الاستراتيجي بين الشرق والغرب وانتقاله من وضع التفوق الأمريكي إلى التعادل، وكذلك عن اهمية بعض مراكز القوى الدوليـة في العالم، بما في ذلك اليابان.

وحول الاتجاهات في السياسة الأمريكية الخارجية مستقبلاً فقـد أجملها في عدد من المبادئ وهي:

١- علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بحلفائها الأوربيين يجـب أن تكون قائمة على أساس قوي من التعاون والتأييد المتبادل.

٢- في أنها لن تقوم بسحب قواتها من أوربا بقرار منفرد مـن جانبها.

٣- أنها تؤيد علاقتها بالدول الشيوعية في اطار من التفـاوض الحقيقي، ولا تمانع في المشاركة في الحوار وتعميقه بـين الشـرق والغرب.

٤- عدم تجاهل المصالح من قبل الطرفين الأمريكي- الأوربي.

٥- التعاون وعدم التنافس في مواجهة العديد مـن المشـكلات الجديدة وفي مقدمتها مشكلة الطاقة النووية.

٦- أن اليابان يجب أن تأخذ دورها الطبيعي كشـريك رئيسـي للولايات المتحدة وأوربا الغربية.

ومع ذلك فهناك مصاعب وتحديات بين الطـرفين الأمريكـي- وأوربا الغربية بسبب طابع السيولة الجديدة، وكذلك عـدم التطـابق الكلي بين المصالح الأمريكية والأوربية وخاصة فيما يتعلق بالمركز التجاري مع تفاقم أزمة الدولار. وأثار عداءاً ضـد بعـض الـدول الأوربية من قبل أمريكا، وكذلك لعدم استعداد أوربا لتحمـل أعبـاء دفاعية جديدة خارج أوربا، وأخيراً فإن التقلص في قـوة القطبيـة الثنائية أدى إلى بروز نمط مـن الدبلوماسـية الأمريكيـة يتصـف بالمرونة الواضحة، ومع ذلك فيمكن وجود صـعوبات فـي تحقيـق التوافق بينهما، كل ذلك يبين كيف أن تعديل إطار العلاقات الأمريكية الأوربية يجب أن يرتكز على أساس من البحث التفصيلي والمتعمـق لكل الجوانب الأساسية في هذه العلاقة، حتى يمكن بلـورة مفهـوم جديد ومتطور للمشاركة الأطلنطية، وأخيراً وفيما يتعلـق بـالخفض المتوازن للقوات في اوربا، منذ عام ١٩٧٣ وهناك مباحثات جاريـة بين دول حلف الأطلنطي ووارسو لاستطلاع امكانية تحقيق نوع من الخفض المتبادل والمتوازن لقوات الحلفين في منطقة وسط اوربـا، وبرغم تعثّر المفاوضات ودخولها طور التجميـد، بسـبب الخـلاف الناشب حول تصورهما لطبيعة المشكلة، وحـول الإجـراءات التـي يقترحانها بشأن حلّها. ومع ذلك فـإن السـعي لضـمان التـوازن الاستراتيجي هذا في التخفيض المتوازن للقـوات فـي أوربـا، لأن

الحشد الكبير للحلفين أكبر بكثير مما تتطلبه الضرورات لصيانة هذا التوازن الاستراتيجي، وتأمين ذلك يوفر لها القوات ويبعد التـوتر أو يقلله في العالم.

وحول العلاقات الأمريكية بالدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي، ففي لقاء القمة الذي عقد في موسكو عام ١٩٧٢، بـين نيكسون ومستشاره كيسنجر - وبين الزعماء السوفييت بريجينيـف وكوسيجين وبودجورني، وقد حققت هذه القمة عـدداً مـن النتـائج الايجابية منها ممارسة ضبط الـنفس فـي علاقاتهمـا المتبادلـة، والتركيز على أداة التفاوض الدبلوماسي في حل خلافاتهما سـلمياً، كما يؤكد الطرفان على مسؤولياتهما الخاصة باعتبارهما عضـوين دائمين في مجلس الأمن، تجاه قضية السلم الدولي ويؤكد أيضاً على استعدادهما للاستمرار في عملية تبادل وجهات النظر فيمـا بينهمـا والتباحث بشأن المسائل ذات الأهمية المشتركة لهما، كمـا ويتعهـد الطرفان بمواصلة جهودهما نحو تقييد التسـلح علـى المسـتويين الثنائي والجماعي، وإلـى ضـرورة الحـد مـن سـباق الأسـلحة الاستراتيجية، ويعبر الطرفان عن اعتقادهما بـأن تنميـة الـروابط التجارية والاقتصادية تشكل عاملاً مهماً وأساسياً في توثيق العلاقات الثنائية بينهما، كما يؤكدان على تنمية العلاقات الأمريكية السوفياتية ليست موجهة ضد طرف ثالث وكانت الصـين هـي المعنيـة بهـذا التأكيد.

كما أن المؤتمر قد أصدر وثيقة ثانية، بخلاف اعـلان المبـادئ هذه، واشـتملت علـى بيـان مشـترك بالموضـوعات السياسـية والاقتصادية التي يجري بحثها في مؤتمر القمـة، ونقـاط الالتقـاء والخلاف بينهما، ونية الطرفين في القيام بالمزيد من الجهـود مـن أجل تأمين مستقبل سلمي لأوربا، واحتـرام سـيادة جميـع الـدول الأوربية، وايجاد تسوية سلمية لمشكلة الشـرق الأوسـط، وسـجل البيان اختلاف وجهات النظر بالنسبة للقضية الفيتنامية، ولقد كـان

لهذا البيان قيمة إيجابية فيما يتعلق بقضايا الأمن الأوربي الذي تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي الدولتان الرئيسـيتان الضامنتان بحكم تزعمهما حلف الأطلنطي ووارسو، وقد تبلور ذلـك فيما بعد في صورة انعقاد مؤتمر موسع للأمن والتعاون الأوربي في (هلنسكي) حضرته حوالي خمس وثلاثون دولة بما فيهـا الولايـات المتحدة وكندا، وهو المؤتمر الذي صدرت عنه وثيقة مبادئ هلسنكي المعروفة والتي سبق ذكرها، وبالإضافة لكل ماذكر فقد وقّعت بـين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي في عدة اتفاقيات مثل اتفاقية منع تلوث البيئة، واتفاقية التعاون في المجال الطبي والصحة العامة، واتفاقية التعاون في مجال أبحاث الفضاء، واتفاقية التعـاون في المجال العلمي والتكنولوجي، والاتفاقية الخاصة بمنـع تصـادم السفن والطائرات الحربية التابعة للـدولتين فـي أعـالي البحـار، والاتفاقية الخاصة بانشاء لجنة سوفياتية أمريكية لمسـائل التبـادل التجاري، والاتفاقية الأمريكية السوفياتية في مجال استغلال الموارد الطبيعية وانتاج المواد الأولية والمنتجات الأخرى، وتوقيع اتفاقيـة الحد من الأسلحة الاستراتيجية، وهي الأهم، كما أن هـذه الاتفاقيـة اعتُبرت نقطة بداية لابأس بها في مجال تقييد انتاج الـدولتين لهـذا النوع من الأسلحة الذي يثقل كاهلهما معاً مادياً، ويهز أسس التوازن الاستراتيجي بينهما، في هذه المراحل التاريخية العالمية التي لايوجد فيها أي ضوابط تمنع من تفجر الموقف الدولي والاستراتيجي في أي لحظة، وكان اعلان (فلاديفوستك) عام ١٩٧٤ بين الرئيس الأمريكي جيرالد فورد والزعيم الشيوعي ليونيد بريجنيـف، ويتكـون مـن وثيقتين، الأولى عبارة عن تصريح مشترك خاص بموقف الـدولتين من قضية الأسلحة الاستراتيجية والوثيقة الثانية هي عبارة عن بيان مشترك يتناول موقفهما من مختلف القضايا الدولية التي أثيرت فـي المباحثات.

وفيما يتعلق بـالتقارب الأمريكي- الصيني، فهو من اهم احداث السياسة الدولية وأكثرها إثارة وقد بدأ على مسـتوى القمـة بـين الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون وبين الزعماء الصينيين في بكين عام ١٩٧٢ والذي أعقبته لقاءات ومشاورات دبلوماسية على أعلى المستويات، ويمثل المرحلة الأولى من مراحـل انفـراج العلاقـات بينهما، بعد أعوام طويلة من المقاطعة مـن الحـرب الدبلوماسـية والدعائية المتبادلة بين الجانبين، بكل ماتمخّض عنها مـن عواقـب على النطاقين الآسيوي والدولي، فالولايات المتحدة الأمريكية امتنعت عن الاعتراف بها، ووقفت فـي وجـه دخولهـا الأمـم المتحـدة، واحتضنت نظام الحكم في فيرموزا، وأصيبت هذه الاستراتيجية فيما بعد بما يشبه الانتكاسة وانتهت بفشلها وذلـك بفعـل العديـد مـن الأسباب التي تتمثل في عدم التنسيق بين ارتباطاتها المعقدة في إطار يتيح لهذه الاستراتيجية أن تحقق أقصى تأثير لهـا فـي محاصـرة أخطار الوجود الصيني الضخم في منطقة جنوبي شرق آسيا، وكذلك فقد أخفقت استراتيجية الاحتواء الأمريكي في آسيا فـي أن تحقـق آثارها الرادعة على نفس النحو الذي حققته في أوربا وهذا يرجـع إلى تفاوت الأوضاع بينهما، وكان للتدخل الأمريكي لدعم احدى الدول الآسيوية المتحالفة معها أثره ليس في احباط التهديـد الصـيني أو ردعه وإنما في إذكاء حدة الصراعات والانقسامات الآسيوية، وأخيراً فإن لبعض الدول الآسيوية التي لم تنضم إلى المحالفات مع أمريكـا وليس أدل على ذلك من الحرب الكورية وحـرب الحـدود الهنديـة الصينية والحرب الفيتنامية، ولم تفلح الولايات المتحـدة الأمريكيـة للاعتبارات التي أسلفتها في أن تخلق جبهة عريضة ومتماسكة ضد الصين في آسيا، مثلما حدث في أوربا بعد الحرب.

لقد تحولت الصين إلى قوة نووية كبرى منذ عام ١٩٦٤ تهـدد أمن الولايات المتحدة الأمريكية برغم البعد الجغرافي بينهما، وهـذا ماترك تأثيراً نفسياً على حلفاء أمريكا الآسيويين، وقد بـدأ التقـرب

الأمريكي مع الصين، بالتخفيف من اجراءات الحظر على المبـادلات التجارية بين الدولتين، ثم عادت فتوترت في فيرموزا، وضاعف من ذلك تصريح الرئيس نيكسون في ١٩٦٩ الذي أعلن فيـه تصـميم الولايات المتحدة الأمريكية على عدم التورط المباشر مرة أخرى في الحروب الآسيوية.

وتلا ذلك زيارات كيسنجر للصين، التي انتهت بالتمهيد لعقد لقاء القمة الأول في بكين في مطلع عام ١٩٧٢ والذي أدى إلـى دخـول الصين الشيوعية إلى عضوية الأمم المتحدة، واحتلالها مقعداً دائمـاً في مجلس الأمن بدلاً من فرموزا، ثم تبادل العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين.

وهكذا بعد جولتنا المطولة في عالم الاسـتراتيجية مـن خـلال السياسات الدولية، مروراً ببعض المفاهيم الأساسية فـي العلاقـات الدولية، وحقائق القوة والصراع في الاستراتيجية الدولية المعاصرة، وكذلك في الاستراتيجيات الدولية للقوى الكبرى، وبعـض الأحـلاف العسكرية وتدابير الأمن الجماعي، وفي بعض السياسـات الأوربيـة الغربية، وبعض العلاقات الأميركية الأوربية- والشـيوعية وعلـى رأسها الاتحاد السوفياتي، وفي بعض السياسات وشؤون الآسـيوية، وكذلك في بعض السياسات العربية والافريقيـة والشـرق اوسـطية وبعض الحروب المتعلقة في الوطن العربي، لما لهذه المواضيع من أهمية على الساحة الدولية، وليكون القارئ العربي على بينـة مـن الأحداث العالمية المحيطة به ليقارنها بالنتائج التي توصلت إليها في نهاية القرن العشرين ولما يطرأ عليها من متغيرات وتبدلات تخـدم استراتيجية الدول في العالم... لأن المصالح فقط هي التي تتحكم في السياسات الدولية على مر الزمن، وقد تتبدل الاستراتيجيات بتبـدل المصالح في جميع دول العالم الكبرى والصغرى وهذا ماآلت إليه

الفصل الثاني

الحروب الأخيرة في المنطقة

أولاً - الحرب العراقية – الايرانية:

١- الخطة العراقية ومجمل أهدافها[٣٢] :

بدأ التفكير بغزو ايران في آخر حكم الشاه ولم تسمح الظروف السياسية الدولية للعراق أن ينفذ مخططاته، وظلّت الرغبة بالغزو موجودة لدى العراق بسبب تشجيع ايران للحركة الكردية في شمال العراق بل وساهمت فعلياً في الحرب التي دارت رحاها في الشمال منذ عام ١٩٦٩ - ١٩٧٥ والتي انتهت بتوقيع اتفاقية آذار ١٩٧٥ المعروفة باتفاقية الجزائر والتي قدم فيها النظام العراقي تنازلات اقليمية عديدة إلى الشاه لقاء سحب مساندته للأكراد وكان العراق متحفزاً ينتظر الفرصة المناسبة للرد على ايران وإلغاء هذه الاتفاقية، وبعد انتصار الثورة في ايران دخلت عناصر عديدة في موضوع العلاقات العراقية - الايرانية فأصبح المطلوب بالنسبة للعراق رأس الثورة والإطاحة بالنظام الجديد، وقد رافق هذه الأطماع تشجيع من دول الخليج والولايات المتحدة الأمريكية، استهدفت الخطة العراقية عزل منطقة عربستان في جنوب ايران والتي هي مستودع النفط واقتطاعها بشكل نهائي وذلك بمنحها الحكم الذاتي.

ولما كانت منطقة عربستان تسكنها أغلبية عربية وقد بدأ الاتصال بها ومدها بالسلاح والعتاد والأموال عن طريق رؤساء القبائل العربية فيها، وهكذا توجهت الخطة العراقية لهذا الغرض وتم حشد أكثر قطعات الجيش العراقي تجاه منطقة عربستان وكانت الخطة الهجوم بجهد رئيسي وجهود ثانوية لاحتلال المرتفعات الايرانية بعمق ٤٠ كم واتخاذ موقع الدفاع فيما بعد.

وفي صباح ١٩٨٠/٩/٢٢ بدأ الهجوم[٣٣] على ايران بـاحتلال مدينة (المحمرة) ولكن الايرانيين دافعوا عنها بعناد وصمود دام عدة أسابيع ولم تتمكن القوات العراقية من احتلال المدينة بشكل كامل مما اضطرها لإجراء تعديلٍ على خطتها السابقة وتطوير الهجوم باتجـاه مدينة عبادان واصطدمت بمقاومة عنيفة مما اضطرها إلى الانسحاب السريع بعد أن تكبدت خسائر فادحة بالقوات والعتاد.

ونتيجة لذلك اتخذت القوات العراقية مواقع دفاعية فـي شـرق نهر الكارون وادعت أنها تحاصر مدينة عبادان. وفي محور مدينـة بستان استطاعت القوات العراقية التوغّل واحتلت المدينة وعشـرات المدن الأخرى لضعف وجود المقاومة الايرانية في تلك المناطق.

اندفعت أرتال عراقية أخرى باتجاه مدينة الأهواز وتوقفت قبـل الوصول إليها. أما باقي محاور العمليات الأخرى فقد تقدمت حسـب الخطة واستطاعت التوغّل بين ١٠ - ٤٠ كم وأقامت خطوط دفاعية فيها.

ومن الجدير ذكره أن الهجوم العراقي بدأ بهجوم[٣٤] جوي نفذته حوالي /٢٠٠/ طائرة مقاتلة وقاذفة لم تخـرج سـوى ٢٠% مـن القوات الجوية الايرانية بسبب تواجد أكثر الطـائرات فـي ملاجـئ محصنة بدأت ايران تكثف من طلعات الطيران فوق بغـداد وتكبـدت خسائر فادحة بالطيران وهي تنفذ طلعات اسـتراتيجية فـي العمـق وتقصف مراكز الطاقة والمصانع والمصافي داخل العراق، وقد ساعد على نجاح الهجوم العراقي المحدود ضعف القدرات القتالية للقـوات الايرانية وعدم جاهزيتها للقتال وبلغ طول جبهـة القتـال حـوالي /٩٥٠/ كم مما يتطلب نشر قوات كبيرة مما اضطر العـراق لوضـع قطعات من الجيش الشعبي في المواقع الدفاعية وهي قـوات غيـر قادرة على القتال، وبدأت ايران بالرد على الهجوم العراقي بهجمات محدودة تعتمد على المتطوعين والحشد الكبير لهم وبأسلحة فرديـة إلاّ في حالات خاصة فقد أشركت قوات مدرعة بقوام لـواء تقريبـاً

لمهاجمة القوات العراقية ونظراً لضعف امكاناتها دمر أغلبهـا، أمـا الهجوم الثاني فكان بقوام فرقة مدرعة وقد فشلت أيضـاً وأصـيبت بخسائر فادحة انسحبت على اثرها عائدة إلى مواقعها السابقة.

في ١٩٨١/٩/٢٧ قامت القوات الايرانية بهجوم جديد وتمكنـت من خرق الكثير من المواقع العراقية وتدمير مواقع القوات العراقية والعديد من قواته المدرعة.

قامت القوات الايرانية في ١٩٨٢/٣/٢٢ بهجوم جديد بموجات متعاقبة من المشاة تساندها المدفعية والدبابات وحققت بعض التقـدم وعززته بمتابعة تطوير الهجوم وخرقت الـدفاعات العراقيـة لـيلاً ووصلت إلى المقرات الخلفية مما دفع بعض القطعات العراقية إلـى الاستسلام وبلغ عدد الأسرى حوالي /١٥٠٠٠/ جندي وعدد القتلـى مثل هذا العدد أيضاً وسميت هذه المعـارك باسـم معركـة (الفـتح المبين).

استعدت القوات العراقية لصد الهجمات الايرانية التي تهدف إلى تحرير مدينة (المحمرة) من القوات العراقيـة وفـي ١٩٨٢/٤/٣٠ بدأت القوات الايرانية المهاجمة تتقدم لتحرير المدينـة واسـتطاعت القوات الايرانية أسر حوالي /٢٥٠٠/ جندي عراقي.

وفي يوم ١٩٨٢/٥/٢٢ شنت القوات الايرانية هجومها النهائي واستطاعت بعد قتال عنيف أن تخترق الدفاعات العراقية وحاصـرت مدينة المحمرة واستسلمت الوحدات العراقية فيها، وأعلنت الحكومة العراقية أنها ستنسحب من كل الأراضي الايرانية المحتلة.

وفي ١٩٨٢/٧/١٥ بدأت القوات الايرانية هجوماً مفاجئاً باتجاه مدينة البصرة العراقيـة أي داخـل الأراضـي والمواقـع العراقيـة واستمرت المعارك حتى ١٩٨٣/٢/٧ ببدء معركة /الفجر التمهيدية/ من قبل القوات الايرانية التي قوامها العديد من الفـرق المتطوعـة تساندها المدفعية والدبابات ولكن الهجوم فشل أيضاً.

وفي ١٩٨٦/٣/١ قامت القوات الايرانية بهجوم جديـد سـبقه عبور واحتلت القوات الايرانية مدينة /الفاو/ وتابعت بتطوير الهجوم في العمق وصولاً للبحر واقتربت القوات من الحدود الكويتية، أعـد الايرانيون هجوماً جديداً سمي (معركة كربلاء) ولكنه فشـل ومنـي الايرانيين بخسائر فادحة، وتلاه هجوماً آخر بدأ فـي ١٩٨٧/٨/١٧ لم يتوقعه العراقيون للخسائر التي مني بها الجيش الايراني إذ قدرت خسارتهم بـ /٨٠٠٠٠ر٨٠/ جندي ايراني وتبين فيما بعـد أنهـا لـم تتجاوز /٤٠٠٠/ جندي فقط، نجـح الهجـوم المفـاجئ الايرانـي واستمرت المعارك حوالي شهر كامل، كان قوام القـوات العراقيـة حوالي /١٢٠/ لواء أي /٤٠/ فرقة مختلفة، لم يستطع الهجـوم أن يحقق أهدافه في احتلال البصرة وسميت هذه الحرب باسـم معركـة كربلاء الخامسة وتبادل الطرفان القصف الصاروخي البعيـد المـدى على المدن العراقيـة والايرانيـة ومنهـا مدينـة طهـران، وفـي ١٩٨٨/٣/١٦ قامت القوات الايرانية بهجوم جديـد باتجـاه مدينـة (حلبجة) وبعدها بدأت القوات الايرانية بـالتراجع أمـام الهجمـات العراقية.

وجاءت معارك المرصـاد آخـر معـارك الحـرب العراقيـة - الايرانية[٣٥] وقبل ايران قرار مجلس الأمـن رقـم /٥٩٨/ وبـدأت القوات الايرانية تنسحب بضغط عراقي عليها.

دامت الحرب مدة ثمان سنوات وانتهت عنـد الغـزو العراقـي واحتلال الكويت وعادت العراق فوافقت على قبول اتفاقية الجزائـر التي كانت سبباً مباشراً لحربٍ خسر فيها الطرفان حـوالي مليـون مقاتل وهكذا انتهت الحرب العراقية - الايرانية وكأن شيئاً لم يكن.

ثانياً - الغزو الاسرائيلي العسكري والاقتصادي في لبنان:

بدأ الاجتياح الاسرائيلي للبنان في ٦ حزيران ١٩٨٢، وفي ١٧ أيار ١٩٨٣ وقع الاتفاق المعروف بين اسرائيل ولبنان، وقد ألغي في ٥ آذار ١٩٨٤.

وهذه الدراسة قسمت إلى أربعة أقسام[٣٦] :

١- القسم الأول : قراءة للصحافة الاسرائيلية بقصد:

أ- القاء الضوء على سياسة اسرائيل الاقتصـادية إزاء لبنـان وكشف أهدافها القريبة والبعيدة

ب - تقويم تجربة تطبيع العلاقات الاقتصادية بين اقتصاد كيـان فاتح وتوسعي وبين اقتصاد محتل، وفي ظل محاولة فـرض تطبيـع رسمي عبر اتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣ دون إغفال التحليلات والمعلومات التي وردت في المصادر غير العبرية على امتداد مايزيد عن عامين على بدء الاجتياح.

٢- القسم الثاني: ضمن أبرز التحليلات الاسـرائيلية التـي تتنـاول مطامعها الاقتصادية في لبنان والاجراءات التي طبقها الاحتلال لفرض التطبيع الاقتصادي عليه، ومـن خـلال عـدة مقـالات مكشوفة وواضحة لايجهد كاتبوها أنفسهم في تجميـل الهجمـة الصهيونية الاقتصادية على لبنان وقد كتبت المقالات المـذكورة قبل توقيع الاتفاق وبعد الاتفاق صدرت مقالات أخـرى تناولـت المطامع الصهيونية القديمة - الجديدة في مياه لبنان.

٣- القسم الثالث: فيه أهم وقائع الغزو الاقتصادي الاسرائيلي للبنان ومقاومة اللبنانيين له، من المصادر العبرية أساساً وبالاستعانة بالمصادر اللبنانية أحياناً على امتداد حوالي العامين تقريباً.

٤- القسم الرابع: يتضمن مجموعة من الوثائق المهمة التي تتعلـق بأطماع اسرائيل في الجنوب اللبناني ومياهه.

وهكذا نجد أن هذه الدراسة تقدم مساهمتها فـي كشـف أبعـاد الهجمة الصهيونية على مقومات وجود الشعب اللبناني، وفي دعـم صمود المجتمع اللبناني ومقاومته لمحـاولات الاختـراق السياسـي والأمني والاقتصادي. للصهيونية أهداف بعيدة وقريبة في جنـوب لبنان ويمكن تسميتها بالمشروع القديم -الجديد وعلينا أن لاننسـى أن اسرائيل والمنظمة الصهيونية كانت تقدمت بمـذكرة إلـى وزارة

الخارجية البريطانية عام ١٩١٨ طالبت فيها بجعل حـدود الـوطن القومي اليهودي الشمالية على ضفتي نهر الليطاني، وعدلت طلبهـا في المذكرة التي رفعتها فيما بعد إلى مؤتمر السـلام ببـاريس عـام ١٩١٩ بحيث "تبدأ الحدود في الشمال بنقطة تقع على ساحل البحـر الأبيض المتوسط في جوار صيدا، وتتبع مجاري مياه الجبال اللبنانية حتى جسر القرعون ومنها إلى البيرة متّبعة الخـط الفاصـل بـين حوضي وادي القرن ووادي التيم..." وإذا أخذنا بعين الاعتبار أزمـة المياه الجدية التي يعيشها الكيان الصهيوني، والدور الذي قد تلعبـه مياه الجنوب اللبناني في انعاش الاستيطان اليهـودي فـي الجليـل وشمال فلسطين، وحقيقة ان السيطرة علـى الميـاه هـي مـرادف السيطرة على الأرض لأدركنا حجم المخاوف التـي أعـرب عنهـا الخبراء الاقتصاديون في لبنان.

أما من حيث تطبيع العلاقات الاقتصادية فقد كانت مـن جانـب واحد -أي من اسرائيل إلى لبنان- ونظراً لفشل سياسـة التطبيـع الاقتصادي مع مصر فقد بادرت اسرائيل إلى فتح جسور في جنـوب لبنان والتي أثبتت فعاليتها إزاء الأردن بعد حـرب حزيـران ١٩٦٧ حيث أقامت سلام الأمر الواقع هذا بالإضافة إلى التوسع الاقتصـادي في المناطق العربية المحتلة بعد حرب حزيران، وقد جرى كل ذلـك لتأمين الاختراق الاقتصادي السـريع والـذي يخـدم الاسـتراتيجية الصهيونية المرسومة.

وفيما يخص مطامع اسرائيل الاقتصادية في لبنان فلا حاجة هنا للدخول في التفاصيل فهي أطماع تجارية وزراعية وغذائية وأطماع بالأرض والمياه التي هي محور مطامعها وهي تتركز في اسـتغلال فائض المياه اللبنانية للاستفادة منها.

وحول الغزو الاقتصـادي الاسـرائيلي[٢٩] ومقاومتـه مـابين ١٩٨٢/٦/٦ - ١٩٨٤/٣/٥ فيمكن أن نلخصه في التجارة والزراعة وبعض الصادرات الأخرى خلال هذه المرحلة كانت بين جـذر ومـد

وبذلت اسرائيل الجهود لإنجاحها ولكنها اخيراً فشلت في تحقيق الأهداف المنشودة، فقد تراجعت الصادرات الاسرائيلية إلى درجة كبيرة، وعليه فقد ألغي اتفاق ١٩٨٣/٦/١٧. وتعهدت السلطات اللبنانية باتخاذ التدابير الكفيلة بضمان ترتيبات أمنية تحقق سيادتها على أراضيها والاستقرار في الجنوب اللبناني على أن تمنع التسلل من الحدود الجنوبية وانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي اللبنانية في ١٩٨٤/٣/٦.

وأخيراً وبخصوص مايتعلق بأطماع اسرائيل في الجنوب اللبناني[٣٧] ومياهه وبرغم مانوهت من قبل ومن خلال المذكرة التي رفعتها المنظمة الصهيونية إلى وزارة الخارجية البريطانية عام ١٩١٨ والمذكرة الأخرى التي رفعت إلى مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ بشأن حدود "الوطن القومي اليهودي"، في جنوب لبنان، فنضيف إليه أن حدود اسرائيل يجب أن تستمر من جنوب لبنان -كما هو محدد- ثم تتجه جنوباً متبعة الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والغربية لجبل الشيخ حتى جوار بيت جن ثم تتجه شرقاً متبعة الضفة الشمالية لنهر مغنية حتى تحاذي الخط الحديدي الحجازي إلى الغرب منه.

وفي الشرق خط مواز للخط الحديدي وإلى الغرب منه ينتهي في خليج العقبة، وفي الجنوب خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، على أن تسوى التفاصيل الحدودية بواسطة لجنة يمثل فيها اليهود.

هذا ماجاء في مذكرة المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر السلام في باريس ١٩١٩ بالتحديد، وظل يراود الصهاينة حلم توسيع أرض اسرائيل إلى ماحولها بحيث تشمل نهر الأردن والليطاني واليرموك بالإضافة إلى سفوح جبل الشيخ وهذا مايجعل اسرائيل قادرة على التطور الاقتصادي المطلوب، كان ذلك بمثابة خطوط هيكلية للسياسة الصهيونية.

ويتفق الخبراء والمحللون الاقتصاديون الاسرائيليون علـى أن الاقتصاد الاسرائيلي واجه أزمة اقتصادية[٣٨] بعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وذلك بسبب ماأنفقته من استعدادات حربية ويجب أن لايغيب عن أذهاننا أن الاقتصاد الاسرائيلي له وجه آخـر علمـي وتكنولوجي متطور، يستند إلى المساعدات الخارجية وإلى الصناعات المدنية والعسكرية حيث تنتج الطائرات والدبابات ومختلف الأجهـزة الالكترونية -المدنية والعسكرية- وتعتمد في كل ذلك على التخطـيط العلمي الإنمائي والتكنولوجي في بناء اقتصاد حديث يقوم على بنيـة تحتية واسعة ومتشعبة.

فأين تكمن الأزمة الاقتصادية إذن ؟

ولحل رموز هذه المفارقة علينـا أن نعلـم أن طبيعـة الأزمـة الاقتصادية هي من طبيعة المشروع الصهيوني الذي يضـع أهـدافاً تتجاوز كثيراً الامكانات المتوفرة، وأول هذه الأهداف:

انشاء اسرائيل الكبرى على حساب أكبر قدر ممكن مـن الأرض العربية، والسيطرة على ماتيسر لها من الموارد والثروات المائيـة، من مياه ونفط وأراض زراعية وأيد عاملة رخيصة وغير ذلك، وقـد اعتمدت الصهيونية لتحقيق مشروعها على عدة وسائل منها:

١- جلب أكبر عدد ممكن من يهود العالم إلى فلسطين.

٢- توسـيع رقعـة الأرض بـالاحتلال العسـكري وتوسـيع المستعمرات باستمرار.

٣- انشاء نظام سياسي واجتماعي متطور ظـاهره ديمقراطـي وتقدمي ليحظى بشرعية دولية، وباطنه استيطاني عنصري وقمعـي ليضمن النقاء العرقي للمجتمع اليهودي.

٤- انشاء قوة عسكرية ضاربة تعتمد على نسبة انفاق عسكري مرتفع جداً لحماية توسع اسرائيل العسكري وفرض سياسـة الأمـر الواقع على الغرب، والمحافظة علـى مصـالح الولايـات المتحـدة الأمريكية، في المنطقة.

إن المساعدات الأمريكية تقدر بنسبة ٣٥% من الانتاج أو الدخل القومي ومن هنا نجد أن اسرائيل تنفق أكثر مما تنتج وسياستها في المرحلة الراهنة أن تنتج "المدفع بدل الزبدة" على حساب المساعدات الخارجية وتأمل أن تنتج الزبدة بدل المدفع مستقبلاً على حساب ثروات الوطن العربي، وعليه فإن من أسباب الأزمة الاقتصادية الحالية الانفاق العسكري المتزايد مايسمى "الاستهلاك الأمني"، وكذلك عدم التوافق بين موارد الاقتصاد الاسرائيلي المتوفرة وبين متطلبات تحقيق المشروع الصهيوني.

ومن هنا نجد أن الوضع الذي وصلت إليه الصهيونية يضعها أمام خيارين لاثالث لهما:

إما المزيد من الاعتماد على المساعدات الخارجية وهذا يجعلها رهينة الدول التي تقدم لها المساعدات وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وإما مواصلة التوسع الجغرافي كما تخطط له حالياً بالنسبة للضفة الغربية ولجنوب لبنان وفي غزة وهضبة الجولان وكذلك اللجوء إلى "سلام التطبيع " مع الدول العربية الذي يعني بالمفهوم الصهيوني السيطرة الاقتصادية على الوطن العربي عبر "التطبيع الاقتصادي" وبغض النظر عن الخيارين فإن على الأمة العربية التصدي لمواجهة توسع المشروع الصهيوني جغرافياً واقتصادياً وسياسياً قبل فوات الأوان وهذا يحتاج بدوره إلى استراتيجية عربية شاملة بدءاً من التضامن العربي على جميع المستويات وانتهاء بوحدة الأمة العربية.

وحول الاحتمالات الاقتصادية المستقبلية يمكننا القول، هل هناك فرصة أو أمل لتقليص عبء نفقات اسرائيل الأمنية في المستقبل المنظور؟

إن لهذا السؤال انعكاسات[٤٠] بعيدة المدى على احتمالات تطوير الاقتصاد الاسرائيلي بل على درجة الاعتماد على الولايات المتحدة

الأمريكية ومن البديهي أن الإجابة عنه مرتبطة بالتطورات السياسية - الأمنية في الشرق الأوسط.

بالرغم من أن اتفاق السلام مع مصر يبدو مستقراً فإن اجتيـاح جنوب لبنان قد تسبب في توتر العلاقات بين اسرائيل ومصـر وقـد يكون مسار التطبيع بطيئاً في المستقبل لظهور عوامل أخرى ولكـن المخاطر الأمنية المحدقة بإسرائيل ستكون بحالـة اسـتقرار، ولقـد كشف الغزو الصهيوني للبنان ضعف الاتحاد السوفيتي من الناحيـة العسكرية أو السياسية ولم تستطع الضغط علـى سـوريا ومنظمـة التحرير وكذلك ثبت تفوق السلاح الأمريكي على السوفياتي في أرض المعركة ولهذا الأمر انعكاسات بعيدة المدى.

ومن هنا ثبت أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الوحيدة القادرة على دفع مسيرة السلام في الشرق الأوسط وذلك بسـبب علاقاتهـا باسرائيل والدول العربية على حد سواء، ولكن أي سلام ياترى؟ إنه السلام والتطبيع الذي يخدم قضاياها وقضايا الأطماع الصهيونية في المنطقة وهي بذلك تقـدم لهـا المسـاعدة والعـون لتمكنهـا (أي الصهيونية) من تحقيق أهدافها واسـتراتيجيتها فـي التوسـع فـي المنطقة العربية، وقد تحقق لها تنفيذ بعض أهدافها في إقامة السلام والتطبيع للكثير من الأقطار العربية، السلام والتطبيع الـذي يعنـي لاسرائيل التوسع الاستيطاني والاقتصادي على حد سواء.

ولا تزال الاشتباكات في جنوب لبنان قائمة حتـى الآن بسـبب موقف التصدي والصمود والتضامن مابين سوريا ولبنان وبالتعـاون مع بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر للوصول إلى سلام عادل في المنطقة يضمن إعادة كامل الأراضي المحتلة مقابل السلام وهـذا مانلمسه في هذه المرحلة بفضل القيادة الاستراتيجية التـي ينطلـق منها القائد حافظ الأسد في هذه المرحلة، والشـعار الـذي تطرحـه سورية بعد تعثر مباحثات السلام من إعادة طـرح وتجسـيد شـعار

التضـامن العربـي للتصـدي والصـمود لمخطـات الامبرياليـة والصهيونية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل.

ثالثاً - أزمة الخليج : مسبباتها ونتائجها ومنعكساتها:

١- ماقبل الحرب:

في صباح ٢/آب ١٩٩٠ سدد صدام حسين ضـربته المفاجئـة للكويت وقام بغزوه خارقاً[٤١] جميع مبادئ العصر الجديد في الشؤون العالمية فاستهان هذا الديكتاتور بالقـانون الـدولي والـرأي العـام العالمي واحتل دولة عربية مجاورة له.

استيقظ العالم على نبأ أخذ طابع المفاجأة المذهلة، فقد اجتاحت القوات العراقية الكويت واندفعت بقوة ضارية كبيـرة لتصـل إلـى العاصمة في ظرف ساعات قليلة، وليعلن النظام العراقي في الأيـام القليلة التالية انهاء هذه الدولة العربية العضو في الأمـم المتحـدة وضمها إلى العراق واعتبارها المحافظة رقم /١٩/.

إن منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي بالذات بعـد انهيـار التوازنات العالمية وللموقع الاستراتيجي الهام الذي يحتلـه الـوطن العربي تجعل أي عمل عسكري في المنطقة يثير ردود فعل عالميـة مباشرة ومحددة، وأنه إذا كانت بعض المناطق الهامشية في العـالم تستطيع التصرف في حل مشاكلها دون ان تحسب حساب لأي اهتمام من العالم يذكر، فإن منطقتنا العربية، بسبب أهميتها تجسد حقيقة ان كل القضايا القائمة هنا لايمكن أن تسمى بالقضايا الاقليمية فقط وإنما هي قضايا دولية لأنها تثير اهتماماً حاداً للقوى الدولية وتؤثر تأثيراً مباشراً على العلاقات والتوازنات الدولية.

بدأت أزمة العلاقات العراقية - الكويتية في ١٩٩٠/٥/٢٨ فـي مؤتمر القمة العربي المنعقد في بغداد عندما اتهـم صـدام حسـين الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة بأنهما تعملان علـى ابقـاء

سعر النفط منخفضاً عن طريق زيادة الانتاج أكثر مما هو مقرر لهما من قبل منظمة الأوبك مما يلحق الضرر بالعراق.

وفي ١٩٩٠/٧/١٧ أعلن صدام حسـين أن الكويـت ودولـة الامارات العربية المتحدة أقدمتا على تجاوز مستويات الانتاج التـي حددتها منظمة الأوبك وهدد باستخدام القوة لوقف هذا التجاوز، وفي اليوم التالي وجه طارق عزيز مذكرة إلى الجامعة العربيـة تتضـمن اتهام الكويت بسرقة النفط العراقي في حقل الرميلة وطالب بتسـديد ٢ر٤ مليار دولار إلى العراق وهي قيمة النفط مابين عام ١٩٨٠ - ١٩٩٠ ثم حدد خسارته بـ ٦ر١ مليار دولار بسبب انخفاض أسعار النفط الخام، ثم ألغى العراق بعد أن تصاعدت حدة الأزمـة الـديون الكويتية على العراق والبالغة أكثر من عشرة مليارات دولار وأحيى من جديد مطالبته بتعديل الحدود العراقية - الكويتية في منطقة حقل الرميلة ويضم جزيرتي بوبيان ووربة. وقـد رد وزيـر الخارجيـة الكويتية على كل هذه المطالب العراقية، بمذكرة إلى الجامعة العربية في ١٩٩٠/٧/١٩ طُلب فيها تحكيمها في ذلك.

وفي ١٩٩٠/٧/٢٣ حشد العراق /٣٠/ ألف جندي على حدوده مع الكويت وفي اليوم التالي وافق الاجتماع الطارئ لمنظمة " أوبك" على مستويات محددة للانتاج قبل بها جميع الأعضاء، وبدأ الرئيس المصري حسني مبارك بجولة للتوسط في النزاع العراقي- الكـويتي شملت زيارة العراق والكويت والسعودية ضمن أجواء من الاتصالات العربية والدولية المكثفة لتحجيم الأزمة. لكن التطورات اللاحقة أكدت أن الغزو أمر مخطط له مسبقاً ويستهدف السـيطرة علـى الكويـت والتحكم بثرواته النفطية.

ولقد أبدت الولايات المتحدة الأمريكية قلقها من الحشود العراقية فاستدعا صدام حسين يوم ١٩٩٠/٧/٢٥ السفيرة الأمريكية وشـرح لها وجهة نظره وفهم وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك أعرب السفير الأمريكي في الكويت في ١٩٩٠/٧/٢٥ عن قلق بلاده

إزاء نوايا العراق، وصرح مساعد وزير الخارجية الأمريكـي أثنـاء جلسة لمجلس الشيوخ بأنه ليس للولايات المتحـدة التزامـات إزاء الكويت".

وقيل أن صدام حسين -كما تحدث فيما بعد الصـحافة- أبلـغ أمريكا بصورة مباشرة وعبر قنوات مختلفـة أن مصـالحها غيـر مستهدفة ولن تتعرض للخطر مهما كانت النتائج.

وفي ١٩٩٠/٧/٢٦ أعلن الكويـت والامـارات العربيـة عـن التزامهما بعدم تجاوز مستويات الانتاج التي حددتها منظمة الأوبـك، وبعد ذلك ونتيجة للجهود العربية المكثفة وللوسـاطة السـعودية- المصرية والزيارات التي قام بها الرئيس المصري حسـني مبـارك والأمين العام لجامعة الدول العربية الشاذلي القليبـي إلـى الكويـت والعراق والسعودية والتي استهدفت حل الأزمة، وعليه فقد انعقـدت المباحثات العراقية - الكويتية في جدة يومي ٧/٣١ - ١٩٩٠/٨/١ وقد فشلت المباحثات، فقام صدام حسين بابلاغ الملك السعودي فهـد والرئيس المصري حسني مبارك أنه لن يلجأ إلى استخدام القوة ضد الكويت.

وفي صباح ١٩٩٠/٨/٢ احتلت القوات العراقية الكويت ونـتج عنه تشكيل ماسمي "بالحكومة الحرة المؤقتة".

دعت سوريا إلى عقد مؤتمر قمة عربـي[٤٢] طـارئ لمعالجـة الوضع قبل أن تتداخل عوامل خارجية، وفي نفـس اليـوم أصـدر مجلس الأمن القرار رقم /٦٦٠/ الذي يدين الغزو ويطالب العـراق بالانسحاب غير المشروط من الكويت، وجمدت الولايـات المتحـدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا الأرصدة العراقية والكويتية الموجـودة لديها، وأعلن الاتحاد السوفياتي عن وقف تصدير الأسلحة والعتـاد العسكري إلى العراق، وفي نفس اليوم انعقد مجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية وأصدر قراراً يدين العدوان ويطالـب العراق بالانسحاب غير المشروط ويقترح عقد مؤتمر قمة طارئ.

وفي ١٩٩٠/٨/٣ صدر بيان سوفيتي- أمريكي مشترك ندد بالغزو العراقي، وفي نفس اليوم بدأ العراق بحشد قواته على الحدود الكويتية - السعودية، مما استدعا قلق دول الخليج وحذر الرئيس الأمريكي بوش العراق من العدوان على السعودية وأعلن عن ارسال قوات بحرية أمريكية جديدة إلى الخليج. وضمن هذه الأجواء المحمومة أعلن العراق أنه سيبدأ منذ ١٩٩٠/٨/٥ بسحب قواته من الكويت، بشرط عدم التدخل في شؤون الكويت الداخلية بعد تشكيل "الحكومة الحرة المؤقتة". وبدلاً من أن يسحب العراق قواته استقدم مزيداً منها واستدعا الاحتياط وأعاد تشكيل /١٢/ فرقة وفيلقين عسكريين.

وفيما يخص التحالف الدولي وتحرير الكويت عام ١٩٩١ فقد نظّم الرئيس بوش بمهارة فائقة رد العالم على عدوان صدام حسين وبتأييد من مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا وشكل إئتلافاً عالمياً وكسب تأييد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة باستخدام القوة.

عبأت الولايات المتحدة قوات عسكرية كافية لانجاز نصر عسكري سريع وحاسم وربطت باحكام خطة التصدي للعدوان.

وفي ١٩٩٠/٨/٦ أصدر مجلس الأمن القرار رقم /٦٦١/[٤٣] القاضي بفرض الحصار الاقتصادي على العراق والحظر على الواردات النفطية العراقية والكويتية، وفي نفس اليوم أكد صدام حسين في أن قرار العراق لايمكن التراجع عنه.

بدأت دول التحالف بارسال قوات متنوعة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلى السعودية باعتبارها البلد المجاور للكويت والعراق معاً، في ١٩٩٠/٨/٩ اجتمع مجلس الأمن وأصدر القرار رقم /٦٦٢/ الذي يعتبر قرار العراق ضم الكويت قراراً غير قانوني.

وضمن هذه الأجواء انعقد مؤتمر القمة العربـي الطـارئ فـي ١٩٩٠/٨/١٠ في القاهرة طالب العراق بالانسحاب الفوري وكـذلك في الاستجابة لطلب السعودية بارسال قوات عربية.

وبالفعل فقد أرسلت مصر وسوريا قوات عسكرية كـي لاتتـرك الساحة للقوات الأجنبية فقط، وقام العراق بطرح عدة مبادرات فيمـا بعد ومنها قبوله باتفاقية الجزائر ١٩٧٥ بين العراق وايران والتـي كانت سبب الحرب فيما بينهما، وكذلك كان العراق لايـزال يحتجـز بعض الرعايا الأجانب فأصدر مجلس الأمن في ١٩٩٠/٨/١٨ القرار /٦٦٤/ الذي يطالب العراق باطلاق سـراح المحتجـزين الأجانـب ووافق العراق على اطلاق سراحهم ضمن شروط جديدة.

بعدما تُرك موضوع الكويت ليعالجه العرب كشأن عربي ولفترة مديدة، وفي ١٩٩٠/٨/٢٥ صدر القرار رقم /٦٦٥/ عـن مجلـس الأمن يتناول العقوبات الالزامية ضد عمليات الشحن البحـري إلـى العراق، وتابعت الجهود الكثير من الدول العربيـة والأجنبيـة لحـل الأزمة، وباءت بالفشل، وفي ١٩٩٠/٩/٩ وجـه الرئيسـان بـوش وغورباتشوف نـداء إلـى العـراق يطالبانـه بالانسـحاب. وفـي ١٩٩٠/٩/١٣ أصدر مجلس الأمن القرار رقم /٦٦٦/ الـذي يحـدد الاجراءات التي يجب اتخاذها في اطار الحصار الاقتصادي للعـراق، بحيث يسمح بايصال المساعدات الغذائيـة والأدويـة إلـى الشـعب العراقي. وبعد صدور القرار /٦٦٧/ والقرار /٦٦٨/ والقرار /٦٦٨/ والقرار /٦٦٩/ والقرار/٦٧٠/ .

وفي ١٩٩٠/١١/٢٩ أصدر القرار رقم /٦٧٨/[٤٤] الذي يجيـز استخدام القوة العسكرية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن الإحدى عشـر السابقة بدءاً من القرار /٦٦٠/ وأعطي العراق مهلة تنفيذ القرارات إلى ١٩٩١/١/١٥.

في ١٤-١٩٩٠/١٢/١٥ وبعد أن أطلق العراق الرهائن انعقـد مؤتمر قمة دول المجموعة الأوربية في رومـا حيـث أكـد القـادة

الأوربيون تأييدهم لعقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، وتحت رعاية الأمم المتحدة، وأعلنوا أن الشرط الثابت لأية تسوية سلمية لأزمة الخليج هي انسحاب العراق غير المشروط من الكويت.

وخلال الفترة المتبقية لانتهاء موعد الانذار في ١٩٩١/١/١٥ لم يجتمع جيمس بيكر بطارق عزيز وكذلك وزراء خارجية المجموعة الأوربية لم يجتمعوا بطارق عزيز في بغداد، وفي هذه الفترة واصل العراق تعنّته وأعلن العراق في ١٩٩٠/١٢/٢٤ أن اسرائيل ستكون أول الأهداف التي ستتعرض للقصف إذا نشبت الحرب في الخليج.

ولقد شهدت بداية شهر كانون الثاني ١٩٩١ تحركات واسعة وأبرزها انعقاد القمة الرباعي بين رؤساء مصر وسوريا وليبيا والسودان في ١٩٩١/١/٤ لاقناع العراق بالانسحاب غير المشروط، ونتيجة لهذه الجهود بالإضافة للاتصالات السورية - السعودية - المصرية والتحركات الأوربية والأمريكية ودول عدم الانحياز وقد نتج عنهم موعداً لاجتماع وزير الخارجية العراقي والأمريكي في جنيف يوم ١٩٩١/١/٩ وقد انتهى الاجتماع بالفشل مما أدى إلى ظهور شبح الحرب.

وفي هذه الأثناء أعلن الأمين العام للأمم المتحدة مبادرته لزيارة العراق كمحاولة أخيرة لنزع فتيل الحرب، وكذلك جاءت رسالة الرئيس حافظ الأسد يوم ١٩٩١/١/١٢ إلى الرئيس صدام حسين والتي كانت نداء أخوياً صادقاً جاء ليتجاوز جميع الخلافات بين البلدين الشقيقين، وكذلك انتهت محادثات الأمين العام للأمم المتحدة مع صدام حسين بالفشل في ١٩٩١/١/١٣ وفي ١٩٩١/١/١٥ انتهت مبادرة فرنسا بتحديد مهلة للعراق بالفشل بعد رفض أمريكا ومعظم دول الائتلاف الدولي لأي تعديل على موعد الانذار الذي حدده مجلس الأمن.

٢- مرحلة الحرب[٤٥]:

- وفي ليلة ١٦-١٩٩١/١/١٧ بدأت حرب الخليج بضربة جوية قامت بها قوات الائتلاف الدولي استخدمت فيها الطائرات القاذفة والمقاتلة، وصواريخ كروز بهدف:

١- التمهيد للحملة البرية من خلال تدمير شبكة القيادة والتحكم وإدارة العمليات لعرقلة اتصالات القيادة العراقية.

٢- قطع خطوط الامداد والاتصال.٣- تدمير القدرة القتالية لسلاح الجو.

٤- ارباك الجبهة الداخلية العراقية.٥- ضرب قدرة العراق على شن هجمات على أهداف مجاورة للصواريخ.٦- تحقيق التفوق التكتيكي للقوات البرية من خلال قطع خطوط الامداد وضرب مواقع الحرس الجمهوري.

ومنذ اليوم الثاني للحرب بدأ العراق باطلاق صواريخ سكود على اسرائيل بهدف توسيع نطاق الحرب، وقد استفادت اسرائيل من ذلك فحصلت على أسلحة مضادة حديثة ومساعدات مادية تجاوزت ٢٠ مليار دولار استمرت الحرب واستمر العراق بقصف الصواريخ على اسرائيل والسعودية وتم تفجير بعضها بصواريخ (باتريوت) المضادة.

وفي ١٩٩١/١/٢٥ اتهمت أمريكا القوات العراقية بتسريب النفط إلى مياه الخليج ونتج عن ذلك تشكيل بقعة هائلة من النفط بهدف إعاقة الانزالات البرمائية لقوات الائتلاف الدولي، وفي ١٩٩١/١/٣٠ احتلت القوات العراقية مدينة الخفجي التي تبعد ٢٠ كم عن الحدود السعودية - الكويتية. ولكن بعد معارك استمرت ٣٦ ساعة تم استعادة البلدة وأسر ٤٠٠ جندي عراقي، وفي بداية شهر شباط ١٩٩١ عبر عدد من الجنود العراقيين الحدود السعودية ليستسلموا لقوات الائتلاف بعد اسبوعين من القصف الجوي المتواصل لمواقعهم وكان ذلك من بوادر الانهيار للقوات العراقية.

استمر القصف الجوي على العراق وفي ١٩٩١/٢/١٥ أعلـن نظام العراق عن مبادرة تتضمن استعداده للتعامل مع القرار /٦٦٠/ وقد رفضت أمريكا المبادرة، وإثر ذلك طـرح الاتحـاد السـوفياتي مبادرة سلمية جديدة بتحديد جدول زمني للانسحاب وتبادل الأسـرى ورفع الحصار الاقتصادي ورفضت أمريكا المبـادرة أيضـاً ووجـه الرئيس بوش انذاراً للعراق بسحب قواته من الكويت خلال أسـبوع بدءاً من ١٩٩١/٢/٢٣ معلناً أن رفض العراق سـيؤدي إلـى بـدء العمليات البرية.

- بدأت العمليات البرية لقوات الائتلاف الدولي بهجوم شنته من الغرب وتمكنت منذ اليوم الأول من الالتفاف على القوات العراقية في الكويت وقطع خطوط الامداد عنها، وتلا ذلك استسلام العديـد مـن القوات العراقية، وفي ١٩٩١/٢/٢٥ أعلان صدام حسين عن قبولـه بالقرار /٦٦٠/ وأمر قواته بالانسحاب من الكويت.

وتم وقف اطلاق النار اعتباراً من ١٩٩١/٢/٢٨ وصدر القرار /٦٨٦/ بتاريخ ١٩٩١/٣/٢ حيث حددت الشروط الواجـب توفرهـا لوقف اطلاق النار، ووافق العراق على ذلك وبدأ بـاطلاق الأسـرى وألغى قرار ضم الكويت، وقدم معلومات عن اماكن الألغام في الكويت .. الخ.

ومن الجدير ذكره أن قوات الائتلاف بقيـادة أمريكـا اعتبـرت الحرب الجوية والقصف الصاروخي هما الوسيلة الأساسـية لشـل قدرات وامكانيات القوات العراقية كما وضحت من قبل وقد اعتمـدت هذا الأسلوب لتقليل خسائر القوات البرية وتأمين نجاح العمليات فيما بعد وهذا بحد ذاته يستند إلى استراتيجية خاصة اعتمدتها الولايـات المتحدة الأمريكية وقد تتبعها في أي حرب مقبلة في المنطقة.

وقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عدم التدخل في الشؤون الداخلية للعراق لأن المعارضة تحركت بوقت سابق لأوانه، وضـمن هذه الظروف وافق مجلس الأمن في ١٩٩١/٤/٣ على قرار جديـد

لشروط تثبيت وقف اطلاق النار بشكل نهائي، ويلزم هذا القرار العراق بإبادة أسلحة التدمير الشامل والأسلحة البيولوجية والكيمياوية والبلاستيكية والصاروخية التي تبلغ مداها اكثر من /١٥٠/ كم وتخصيص جانب من عائدات النفط لدفع تعويضات الحرب للدول المتضررة وكذلك ترسيم الحدود بين العراق والكويت كما يقضي القرار بنشر مراقبين من الأمم المتحدة على الحدود العراقية - الكويتية والامتناع عن ممارسة الارهاب أو دعمه، وقد وافق العراق على هذا القرار بالطبع رغم قساوته، وهكذا انتهت أزمة الخليج ولم تنته النتائج التي خلفتها على المنطقة وقد كان بسبب الطيش والخطأ الذي ارتكبه صدام حسين، فلقد ركب رأسه بعند واصرار وتحدى العالم في تنفيذ أهوائه، ولم يقبل بالوساطات والحلول المختلفة، ولم يحكم عقله في أي منها، وظن البعض وخاصة على المستوى الشعبي في الوطن العربي أنه يخفي مفاجآت قد تمكنه من تحقيق أهدافه المرسومه وإلا فما سبب هذا التعنّت في رأيه وعدم الاستجابة للاخوة والأصدقاء قبل بدء الحرب.

لقد أشيع الكثير حول الخيانات ضمن قياداته وخاصة في الدفاعات الجوية مما أدى إلى عدم صموده في وجه قوات الائتلاف، وهذا غير مبرر وغير مقبول فيجب أن يضع كل شيء في حسبانه فالقيادة التي تتخذ قراراً بالحرب عليها أن تكون جديرة بمثل هذا القرار.

كما تسربت معلومات حول دور المخابرات الأمريكية[٤٦] في تشجيع صدام حسين على احتلال الكويت وأن الولايات المتحدة لاتعارض ذلك على أن تحتفظ بمصالحها كما هي، وحتى إذا كان مثل هذا الأمر فيكون قد وقع فريسة المخططات الأمريكية بجهله وتسرعه وتفرده بمثل هذا القرار دون أي مشاركة أو أخذ موافقة عربية تبرر له أطماعه.

ومهما يكن فإن المتغيرات الجديدة في المنطقـة بشـكل عـام والخليج بشكل خاص أعطت الولايات المتحدة الأمريكية حق الوصاية على منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي باكمله، وانفردت في حل الصراع العربي - الصهيوني بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتي الذي يأخذ دوراً غير فعال للظروف التي يمر بها وتحت اشراف هيئة الأمم المتحدة لفرض سياسة الاستسلام والتطبيع التي تخـدم الصـهيونية وتؤمن لها تحقيق توسعها في المنطقة، وقـد لمسـنا اسـتراتيجية الهيمنة والتفرد في المنطقة باعتبارها الوصي الحالي على المنطقـة بعد حرب الخليج وما آلت إليه وما خلّفته من نتائج وقد توضح هـذا الأمر بما لايترك مجالاً للشك من الاعتراض على التدخل الأوربي في دفع عمليات السلام في المنطقة من خلال زيـارة وزيـر الخارجيـة الفرنسية وزيارة الرئيس الفرنسي جاك شيراك لكـل مـن سـوريا ولبنان واسرائيل وتقديم المقترحات للمشاركة في دفع عملية السلام إلى الأمام.

الفصل الثالث

فلسطين من الجذور حتى القرن التاسع عشر[٤٧]

- تقع فلسطين بين أفريقيا وآسيا وأوربا، ولهذا السبب وجدت نفسها في موقع استراتيجي، وشكلت ممراً حيوياً سلكته وطمعت فيه الامبراطوريات الكبرى لمصر والشرق الأوسط، وفي الوقت نفسه ملتقى الطرق التجارية الآتية من مصر وبلاد مابين النهرين وبحر إيجة.

- لهذا طمعت الدول الكبرى بفلسطين منذ القدم، ولنفس السبب غدت فلسطين مسرحاً للحروب طوراً وطوراً ساحة سلام تتجاور فوقها ثقافات وأديان وحضارات مختلفة.

- شجع على التفتّح الاقتصادي لفلسطين - المكان المتميز للتبادل والحوار بين حضارات متعددة، وعليه فالكنعانيون كانوا أول من اخترع الكتابة الأبجدية التي هي النتيجة الطبيعية لتطور الكتابة السومرية والمصرية.

- بالإضافة للعامل التاريخي فقد كان لفلسطين العامل الجغرافي الذي تميزت به بمناخات متعددة وبأراض متنوعة (جبال- سهول- أودية- صحراء) وعليه فقد اتّخذت لنفسها نظام البقاء الذاتي (نظام المدن المستقلة).

وكانت القدس (أورشليم) النموذج المثالي للمدن المستقلة، شيدتها قرابة الألف الثالث قبل الميلاد الآلهة عناة إكراماً لشليم الإله الكنعاني الرديف لنجمة السماء (فينوس) حسب الأساطير الفلسطينية، (أورو تعني مدينة في اللغة الكنعانية).

- عرفت فلسطين على مدى التاريخ الطويل بالغزوات الخارجية والاحتلالات ومعارك الفاتحين الكبار تحوتمس الثالث،

ونخاو، وسرجون الثاني، ونبوخـذ نصـر، وقمبيـز، والاسـكندر، وانطيوخوس، وبومبيوس، ومسيسيانُس، وتيطس، وابـن الوليـد، وابن العاص، وريتشارد قلب الأسد، وصلاح الدين، وقطز، وهولاكو، ونابليون، وابراهيم باشا واللنبي... الخ.

- ومهما يكن فإن موقع فلسطين جعلها مكان التقاء لحضارات الديانات الثلاث الإلهية، ودعوة دائمـة إلـى التعدديـة والتسـامح والسلام، كما أعدها لهذه الدعوات النبيلة والكريمة، وجعـل منهـا أرض انبثاق الرسالة الموجهة إلى الإنسانية.

إن أول أثر للنشاط الفلسطيني عثر عليه في فلسـطين، كتـب فرنسيس هاوزر:" إن أول مظهر للنشاط الإنساني في الشرق الأدنى يعود إلى حوالي المليون سنة، والشهادة الأهم موجودة فـي غـور الأردن والعبيدية حيث تعود إلى العصر الأشوليني القديم".

ويضيف في مكان آخر "شهدت نهاية العصر الحجري الوسيط ظهور الإنسان العاقل، في القفزة (جبل الناصرة)، وشـهد النصـف الثاني من النظام المصري الأخير، ابتداء مـن الألـف الرابـع ق.م تطوراً لأدوات جديدة مع العصر الحجري الحديث وانتشـار نمـوذج بشري شبيه بإنساننا ".

* الكنعانيون :- حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م انتشرت الحضـارة الكنعانية في فلسطين، وكانت متحضرة وزراعيـة، وكانـت تصـدر المنتج الزراعي إلى جيرانها، وكانت فيها أقليات مـن الأمـوريين، والآراميين والنبطيين والعبرانيين أو الشعوب الهندو- آرية، ومـن الحوريين أو الشعوب البحرية كالفلسطينيين.

- حوالي ٢٠٠٠ ق.م بدأت مصر تمارس نفوذها على فلسطين بعد أفول حضارة الكنعانيين، رغم أنهـم كـانوا بالإضـافة لكـونهم مزارعين ومربي مواشي، متحضرين، تجاراً ورجال سياسة لعبوا دوراً في تبادل الثقافات والإكتشافات الأثرية شاهدة علـى ذلـك. تميـزوا بابداعهم وعبقريتهم العملية: إنهم مخترعـو الأبجديـة

وناشروها، منتجو عربات الحـرب ومصـدروها، بنـاة القـلاع الحصينة، والقنوات المائية تحت الأرض.

- نحو عام ١٥٠٠ ق.م وصل فاتحون جدد، آريون إلـى فلسـطين وهم الحوريون الذين عززوا النظام الاقطاعي وفرضوا سـيادتهم "ولكن هيمنتهم كانت قصيرة، فالفرعون تحوتمس الثالث زحـف إلى غزة وهزم الفلسطينيين وأصبحت فلسطين مقاطعة من مصر.
- نحو ١٣٧٠ ق.م نجح ملك الحثيين (سوريا) في استغلال الخلافات بين الأمراء الفلسطينيين لكي يخاف الرعاية المصرية.
- في نهاية القرن الثالث عشر ق.م، تسال العبرانيون إلى فلسـطين انطلاقاً من صحاري جزيرة العرب، ونجود الشرق.
- في ١٢٨٦ ق.م حاول رعمسيس الثاني استعادة السـيطرة علـى فلسطين والصلح الذي عقده مع الحثيين ألزمهم بتحييد فلسطين.
- في بداية القرن الثـاني عشـر ق.م نزلـت الشـعوب البحريـة (الفلسطينيون) على الشاطئ واحتلت غرب البلاد.

* العبرانيون : من قـراءة النصـوص التوراتيـة تظهـر أن العبرانيين وفدوا من مصر حوالي ١٣٠٠ ق.م بقيادة يشوع، إما عن طريق التسال وإما عبر الغزو المدمر.

- حوالي ١٠٠٠ ق.م استطاع داوود المنحدر من قبيلة يهوذا، على رأس بعض الفلسطينيين احتلال مدينة القدس الكنعانية المعتبرة أرضاً محايدة وبمعزل عن الخصـومات بـين القبائـل الإسـرائيلية المتمركزة في شمالي شرقي فلسطين والمنتظمة في مدن مسـتقلة، وسمح موقع القدس الاستراتيجي لداوود بالهيمنة على هذه القبائل، وكانت الشعوب الكنعانية لاتزال مقيمة فيها.

بدأ داوود بتوحيد هاتين الدولتين مـع إثنيـات أخـرى غيـر العبرانيين، وشيد مملكته على هذا النحو، راعـوت جدتـه، كانـت مؤابية، وأنجب من امرأة حثية ابنه سليمان الذي خلفه ا العرش. بعد وفاة سليمان حوالي ٩٢٦ - ٩٢٥ ق.م، انهارت مملكـة داوود

التي لم تدم إلا ثلاث وسبعين عاماً لتجد نفسها في مرحلـة ماقبـل داوود.

بنى العبرانيون دولتهم اسرائيل في الشمال الشرقي ويهوذا في الجنوب الشرقي، وحين قرر ملك اسـرائيل أن يقـدم ولاءه لمصـر وليس للآشوريين رفض دفع الضريبة للآشوريين وأقـام علاقـات تبعية مع مصر، عندها احتجز الجيش الآشوري سنة ٧٢٢ ق.م ملك اسرائيل، ولم تعد المدن المستقلة موجودة، أما دولة يهـوذا فبقيـت دافعة الضريبة إلى الملك الآشوري.

اجتاح الفرعون نخاو (٦٠٩ - ٥٩٣) ق.م فلسطين في بدايـة عهده، لكن الهيمنة المصرية لم تعمر طويلاً فقد هـزم ملـك بابـل الفرعون سنة ٦٠٥ ق.م، واقترف سيديشياس، ملك يهـوذا الخطـأ نفسه الذي اقترفه ملك اسرائيل حيث أبدل سيده معتقـداً أن مصـر أقوى من الآشوريين.

عندئذ احتل جيش نبوخذ نصر اسرائيل عام ٥٨٧ ق.م ودمرها ودمر هيكل سليمان الذي كان مثال المعابد الكنعانية، أرسـل حيـرام الأول المعدات والمهندسين الضروريين لبناء هذا الهيكل، واختفـت دولة يهوذا بدورها ونفي وجهاء قومها إلى بابـل، إلـى ان احتـل قورش ملك الفرس بابل وأذن لليهود بالعودة إلى فلسطين.

- في القرن الثاني ق.م شكل المكابيون سلالة حشمونية للملوك التابعين للرومان، وفي سـنة ٦٣ ق.م اسـتولى بومبيـوس علـى فلسطين التي أصبحت مملكة تابعة للرومان.

إن حياة يسوع ومن ثم تأسيس الكنيسة جعـلا مـن فلسـطين الأرض المقدسة للمسيحيين، والدولة اليهوديـة المقتطعـة دمرهـا تيطس عام ٧٠ م وسحقت ثورة باركوشيا عام ١٣٥م وانطلاقاً مـن هذا التاريخ فقد اليهود استقلالهم الذاتي، فتحول قسـم مـنهم إلـى طائفة دينية يهودية في فلسطين، واعتنق قسم آخر المسيحية كمـا بقية السكان.

ومنذ القرن الثاني أصبحت فلسطين مقاطعة رومانية منفصلة عن سوريا وأصبحت مسيحية تدريجياً. برغم أن قصة العبرانيين مستندة إلى التوراة فقط فلا يوجد حتى اليوم أي معطى أثري أو وثائق يعطي هذه القصة مصداقية تاريخية.

* الفلسطينيون : وفدوا في بداية القرن الثاني عشر ق.م من إيجيه واليونان وآسيا الصغرى وكريت وتمكنوا من الاستقرار في السهل الساحلي الغني والخصب الممتد بين غزة وجبل الكرمل (تسميتهم كانت (الشعوب البحرية أو الفلسطينية).

من اسمهم استمد الرومان اسم المكان "فلسطين" وتعلمنا التوراة أن العبرانيين والفلسطينيين تنازعوا لقرون عديدة المنطقة التي يمر عبرها خط الهدنة ١٩٤٩ بين اسرائيل والمناطق الفلسطينية المحتلة.

في القرنين التاسع عشر والعشرين ق. م انقسمت التنقيبات في فلسطين إلى أثرية ولاهوتية وسياسية وهناك ضرورة أن يدرج المتخصصون هذا الهدف في أعمالهم المقبلة.

* فلسطين في العهد الاغريقي - الروماني- ثم الإسلامي:

شهدت الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والسادس ق.م أفول الامبراطوريتين المصرية والآشورية اللتين ستخليان المكان للامبراطوريتين الفارسية واليونانية.

ومرة أخرى شهد هذا الموقع الجغرافي- السياسي لفلسطين إغراء لهذه الامبراطوريات الجديدة بغية الوصول إلى مصر عبر هذا الممر المثالي والاستراتيجي.

امتدت السيطرة الفارسية على فلسطين من ٥٣٩- ٥٣٣ ق.م.

وفي سنة ٣٣٢- ٣٣١ ق.م احتل الاسكندر الكبير فلسطين فانتقلت إلى السيطرةاليونانية، ثم تنازع خلفاء الاسكندر وبطالسة مصر وسلوقيو سوريا على فلسطين، إلا أن الملك السلوقي

أنطيوخس الرابع ابيفانس (١٧٥ - ١٦٣) ق.م جعل فلسطين هلّينية.

في سنة ٦٣ ق.م احتل بومبيوس فلسطين جاعلاً منها مقاطعة رومانية في القرن الرابع م

قسم الرومانيون فلسطين إلى اربع مقاطعات، وحين اعتنقت الامبراطورية الرومانية المسيحية بعد ثلاثة قرون من صعود المسيح (بالنسبة للمسلمين) ومن الصلب (بالنسبة للمسيحيين) أخذت فلسطين في ظل الهيمنة البيزنطية، تجذب الحجاج وتشهد ازدهار حياة نسكية، تكاثرت الكنائس وشيد قسطنطين كنيسة القيامة في القدس، وبنت هلينا امه بدورها كنائس على جبل الزيتون وفي بيت لحم.

في عام ٦١٤ م احتل الفرس فلسطين للمرة الثالثة.

وفي سنة ٦٢٩م استعاد الامبراطور البيزنطي فلسطين، واستمرت الاضطهادات ضد هؤلاء الذين رفضوا التسليم بالعقيدة المسيحية، إن تعصب الأباطرة البيزنطيين ووجود العرب منذ ماقبل العهد المسيحي في فلسطين (الأنباط والغساسنة وغيرهم) من جهة والتشابه بين الاسلام واليهودية والمسيحية الفلسطينية من جهة أخرى، كل هذا جعل الدخول الاسلامي إلى فلسطين فتحاً سهلاً، وظهر للشعب على أنه من أشكال "التحرير".

في عام ٦٣٨م فُتحتْ فلسطين في عهد الخليفة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) على يد العرب. أو بالأحرى على يد المسلمين الذي هو تتويج لليهودية والمسيحية المنزلتين سابقاً في فلسطين.

قال ا تعالى للنبي محمد في القرآن { قولوا آمنا بـا ومـا ُأنزل إلينا وما ُأنزل إلى ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب، والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون } (سورة البقرة : ١٣٦، سورة آل عمران ١٤).

هذه الديانة الجديدة التي حملت إلى فلسطين السلام والازدهار لقرون عديدة.

وهكذا أصبحت القدس مدينة مقدسة للمسلمين واليهود والمسيحيين على حد سواء، انتقل النبي محمد من مكة إلى القدس ومن الصخرة في ساحة المسجد الأقصى رفع إلى السماء، هذا الصعود الليلي للرسول الكريم، والمسجد الأقصى مذكور بالاسم في القرآن في الآية الأولى "من سورة الاسراء" {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} صدق ا العظيم، حتى أن المسلمين خلال الهجرة كانوا يصلون كاليهود وجوههم متّجهة إلى القدس.

وفي سنة ٦٦٠ أعلن معاوية نفسه خليفة للأمويين وفي سنة ٦٩١ بنى الخليفة عبدالملك قبة الصخرة وهي رمز لوحدة الايمان الابراهيمي واستمراريته أي الايمان اليهودي والمسيحي والاسلامي، وبنى ابن عبدالملك المسجد الأقصى واعتنق أغلبية اليهود والمسيحيين الاسلام. تمتّع الذين بقوا على دينهم منذ الفتح الاسلامي وبأمر من الخليفة عمر بن الخطاب بنظام متسامح جداً.

وشارك الفلسطينيون والمتعربون والمتأسلمون في أغلبيتهم في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والدينية في العهدين الأموي والعباسي، والعديدون من الحكام والوزراء والعلماء والشعراء والمؤلفين والمهندسين والأطباء والفقهاء كانوا من أصل فلسطيني.

هذا السلام والازدهار اللذين عرفتهما فلسطين إبان الفتح الإسلامي الممتد من القرن السابع إلى القرن العاشر، تحطّما على أيدي الغزاة وبالترافق مع أفول الامبراطورية الإسلامية.

- مصدر الغزو سنة ٩٥٠ كان بيزنطياً، ثم من سنة ١٠٧١-١٠٩٦ السلاجقة الذين احتلوا فلسطين.

- الغزو الثالث كان غزو الصليبيين الذين حولوا فلسطين مسرحاً لحروب متواصلة ابتداء من عام ١٠٩٦، فلقد احتل (إغود فروادي بويون) القدس وأقام فيها مملكة مسيحية وجعل الصليبيون من القدس حصناً متقدماً للغرب فارضين هيمنتهم بالقتال والأموال التي جمعتها الكنيسة من أوربا.

- بعد قرنين من الاحتلال (١٠٩٦- ١٢٩١) ميزتهما حروب متواصلة ضد الفلسطنيين العرب ثم طرد الصليبيين وأُجلي آخرهم من فلسطين عام ١٢٩١ عن طريق البحر، عبر مرفأ عكا.

حدثان سرعا رفع يد الصليبيين عن فلسطين: أولهما تخلّي أوربا عنهما، وثانيهما معركة حطين عام ١١٨٧ التي سجلت انتصار الفاتح صلاح الدين الأيوبي.

- كما أن المماليك الذين استفادوا من هزيمة الصليبيين بعد انتصار السلطان المملوك قطز وقائد جيشه بيبرس في معركة عين جالوت ١٢٥٩- ١٢٦٠ التي وضعت حداً للاجتياح المغولي لفلسطين.

- وبعد نهاية الحكم الأيوبي، خضعت فلسطين لسيطرة المماليك البحريين من ١٢٥٠- ١٣٨٣ ثم خلفهم المماليك البرجيون من ١٣٨٣ - ١٥١٦ وهو التاريخ الذي اجتاح فيه العثمانيون فلسطين.

في ظل المماليك عاشت فلسطين عصرها الثقافي الذهبي الذي بدأ مع الأيوبيين (١١٨٧- ١٢٤٧) ففي أيامهم انتشرت المدارس وازدهر العمران والزراعة والحرف والتجارة، وعرفت القدس وفوداً من الحجاج من الأديان التوحيدية الثلاثة، وأصبحت القدس مركزاً للاشعاع الثقافي، والعلوم الدينية والأدبية وسواها، بدءاً من شرح القرآن والحديث وقراءات القرآن والفقه والعلوم الروحانية، مروراً بالقواعد والبلاغة والأدب والشعر وانتهاء بالتاريخ والرياضيات والمنطق وكانت تدرس في فلسطين وخصوصاً في مدارس متخصصة في القدس يزيد عددها عن الأربعين. كما تضاعفت

الانجازات العلمية والثقافية وأحاطها السلاطين والملوك الأيوبيـون والمماليك برعايتهم.

- يخصص الحنبلي قسماً كبيراً في كتابه " أنس الجليل" لأعمال الترميم والزخرفة والبناء الهادفة إلـى تجميـل المدينـة وتوسـيع الصخرة والمسجد الأقصى، ويذكر الأضرحة والزوايـا والمـدارس والقلاع وغيرها من الصروح التي بنيت في القـدس خـلال عهـد المماليك، وكتب الحنبلي سـيرة أكثـر مـن /٤٤٠/ عالمـاً بيـنهم المشرعون والقضاة، والواعظون والكتّاب في مدينة القـدس، مـع لائحة تضم أعمالاً مهمة كُتبت في فلسطين خلال تلك الحقبـة مـن الزمن.

* فلسطين العثمانية : شهدت نهاية عهـد المماليـك انحطاطـاً وبدأت سطلتهم تتفكك، أخذوا يفرضون ضرائب أكثر ارهاقاً، لم يعـد في استطاعة الفلسطينيين تحملها،والقمع الذي مارسوه ضد الشـعب والطاعون الذي أباد قسماً كبيراً من الشعب عـام ١٥١٣ زاد فـي الوضع سوءاً، مما يفسر عجز الفلسطينيين الكامل عن الوقوف فـي وجه الاحتلال العثماني عام ١٥١٦م.

وفي عام ١٥١٧ ضم سـليم الأول فلسـطين إلـى السـلطنة العثمانية، فصارت مقاطعة مقسومة إلى منـاطق عديـدة، وعرفـت فلسطين قروناً من السلام والازدهار، خصوصاً في ظل حكم سليمان القانوني الذي بنى أسوار القدس، وهذا السلطان منح فرنسـوا الأول حق حماية المسيحيين اللاتين في فلسـطين. وفـي كـل السـلطنة العثمانية، فضلاً عن سماحه للأرثوذكس الاغريق بالانتشار خصوصاً في القدس. وحصلت روسيا بموجب معاهدة كوجك فينـارجي علـى حق رعاية الارثوذكس في فلسطين وكل السلطنة، وحازت في عـام ١٨٠٨ حق رعاية الأماكن المسيحية في القدس.

- اعترض نابليون الثالث على امتياز روسيا وطالب بأن يكون له الحق نفسه في رعاية الأماكن المسيحية المقدسة في فلسـطين.

وضعت حرب القرم (١٨٥٤- ١٨٥٥) التي أسفرت عـن معاهـدة باريس حداً للصراع بين اللاتين والاغريق وكرست حالـة الوضـع السابق في شأن الأماكن المقدسة، كما أكّد مؤتمر برلين عام ١٨٧١ على هذا الوضع.

وبفضل موقعها الجغرافي، عرفت فلسطين في القرنين السادس عشر والسابع عشر اقتصاداً قوياً ونشاطاً تجارياً ديناميكياً، وأخـذت فرنسا ابتداء من القرن السابع عشر تُرسي فـي فلسـطين قواعـد اقتصادية صلبة جداً. عاد العداء بين الدول الأوربية العظمى يعـزز الصراع بين مسيحيي فلسطين وهذا العامل سيبرر التدخّل الأوربـي في القرن التاسع عشر الذي أدى إلى خلق المسـتعمرات التجاريـة والقنصليات.

- ثار الشعب الفلسطيني على الضرائب والفرائض الباهظة التي أثقلت كاهلهم وبدأت الاضطرابات والتمرد على الهيمنـة العثمانيـة ومن هذه الثورات ثورة الأمير اللبناني فخر الدين المعني الثاني الذي كان يحكم بالإضافة للبنان مقاطعات صفد ونابلس وعجلون والقسـم الشمالي من فلسطين وقد أعدمه السلطان مراد الرابع عـام ١٦٣٤ فيما بعد.

- عام ١٧٤٩ أنشأ الأمير الفلسـطيني ضـاهر عمـر إمـارة فلسطينية عاصمتها صفد، تضم الجليل بكاملـه وعجلـون والسـهل الساحلي حتى غزة، لكن أحمد باشا الجزار فتك به عام ١٧٧٩ ممثلاً للمهمة التي أوكله إياها السلطان العثماني والتي تضع حداً لاستقلال فلسطين.

- استقر الجزار في عكا وحكم لمدة عشرين عاماً الشمال كلـه ووسط فلسطين حكمـاً اسـتبدادياً، محتفظـاً بعلاقـات طيبـة مـع العثمانيين، وحين هاجم بونابرت فلسطين في ١٧٩٩ قاومه الجـزار وأبعده بمساعدة الأسطول البريطاني، وهكذا فشـل بونـابرت أمـام أسوار عكا، مما وضع حداً لمغامرته الشرقية.

- في النصف الأول من القرن التاسع عشر أرسل محمد علـي باشا المصري ابنه ابراهيم باشا لاحتلال المقـاطعتين المجـاورتين للسلطنة العثمانية وهما سوريا وفلسطين في صيف ١٨٣٢، ودفعت انكلترا السلطان العثماني إلى مواجهة محمد علي من أجل استرجاع سوريا وفلسطين، على رغم الدعم الذي قدمته فرنسا لـه تحالفـت الدول الأوربية الكبرى ضد محمد علي يساندها الأسطول الانكليـزي فامتثل محمد علي وأعاد سوريا للسـلطان العثمـاني عـام ١٨٤٠ وفلسطين عام ١٨٤١.

- شجعت حكومة تركيا -الفتاة التي كانت تضـم فـي عـدادها بعض اليهود على الهجرة إلى فلسطين ففي عام ١٨٨٠ يقدر عـدد اليهود في فلسطين بـ /٢٠٠٠٠ر٢٠/ شـخص. وفـي عـام ١٩٠٠ /٥٠٠٠٠ر٥٠/ شخص و /٨٠٠٠٠ر٨٠/ في عام ١٩١٤ قـام الانقـلاب العسكري من رجال تركيا الفتاة عام ١٩٠٨ فتخلوا عن تحالفهم مع العرب وتوجهوا إلى الغرب.

- وكانت فلسطين مزدهرة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وزراعياً في ظل الحكم العثماني حتى أنه في عام ١٨٨٩ تم تصـدير بعـض الفاكهة إلى أوربا.

هذه البانوراما المختصـرة للتـاريخ السياسـي والاقتصـادي والاجتماعي والثقافي لفلسطين، هذا التاريخ ياللغرابة يشبه رقّـاص الساعة شرقاً من الألف الرابع حتى القـرن الرابـع ق.م موجـات كنعانية وأمورية وغيرها أتت من بلاد مابين النهرين غربـاً ومـن بداية القـرن الثـاني عشـر ق.م ، موجـات الشـعوب البحريـة والفلسطينية وابتداء من القرن الرابع غزاة يونانيون وروميـان ثـم بيزنطيون.

وبعد ألف عام يستعيد الرقّاص (العقرب) حركته من الشرق إلى الغرب مع الفتوحات العربية في بداية القرن السابع م. وهلّم جرى.

- الفلسطينيون إذاً هم أحفاد الكنعانيين سكان البلاد الأصـليين، والذين شكلوا الأكثرية، وأحفاد الأموريين والأمـونيين والأدوميـين والمؤابيين والآراميين الذين عاشوا في البلاد قبل خمسة آلاف سنة على الأقل والعبرانيين والفلسطينيين، لكنهم أيضـاً أحفـاد الغـزاة المحتلين الذين هيمنوا على فلسطين كالبابليين والحثيين والمصريين والفرس واليونانيين الرومان والصليبيين والأتراك.

- وهكذا تحولت الصهيونية الدينية في فلسطين إلى صـهيونية سياسية، ومؤسس الصهيونية العالمية بالنسبة لليهود هو تيـودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) مؤلف الدولة اليهودية وقد بدأ تطبيقهـا في المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في بال عام ١٨٩٧ م. حيـث استبدلت القومية باليهودية وأدخلت أفكار "شعب ا المختـار" وقـد بذلت محاولات عديدة للتعاون مع النازيين والفاشيين واللاسـاميين بغية تحقيق حلمهم ليبنوا "اسرائيل الكبرى" معتبرين أن الغاية تبـرر الواسطة.

وعليه فإن مرحلة جديدة من الصهيونية الناشطة بعـد انعقـاد المؤتمر اليهودي العالمي الذي وضع نصب عينيه تحقيـق "هـدف الصهيونية في خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه الحق العام، وتقترح الوصول إلى هذا الهدف من خـلال الوسـائل التـي ستتبعها فيما بعد، وهو تكملة للموضوع نفسه في دراسـة جديـدة تنتهي بنهاية القرن العشرين.

الفصل الرابع

أولاً- الصهيونية الناشطة ورد الفعل الفلسطيني[48]

أثناء عقد المؤتمر اليهودي العالمي، اكتشفت الحركة الصهيونية أن تجسيد حلمها، أي خلق وطن يهودي في فلسطين، يمـر حتمـاً بالقيام بمساعٍ لدى الحكومات الأوربية ونيل دعمها. وأمام أعضـاء المؤتمر الصهيوني الأول في بال عام ١٨٩٧ صرح ماكس نوردو : "هدف الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه الحق العام، ويقترح الوصول إلى هذا الهدف خلال القيام بـالخطوات التمهيدية اللازمة للحصول علـى موافقـة الـدول لتحقيـق هـدف الصهيونية ".

في البدء فشلت جميع المساعي التي قام بها تيودور هرتزل مع ألمانيا وانكلترا والسلطان العثماني وروسيا ومع البابابيوس فتخلّـى عن مشروعه بفلسطين واتجه نحو إقامة دولة يهودية في قبرص أو الأرجنتين أو أي دولة أخرى.

وفي عام ١٩٠٣ منح هرتزل فرصة إقامة دولة يهوديـة فـي أوغندا وبعد عرضه على المؤتمر حظي بأغلبية الموافقة ولكنه شكل انقساماً في صفوف الحركة الصهيونية.

توفي هرتزل عام ١٩٠٤ وبوفاته ماتت الفكرة حتى عام ١٩١٧ أعلن فيه أرثر جيمس بلفور وزير خارجية انكلترا وعده فـي شـكل رسالة موجهة إلى اللورد ولتر روتشيلد وهو نائب المنظمـة التـي تمثل اليهود الانكليز وهكذا أعطت بريطانيا مـالا تملـك إلـى مـن لايستحق.

وفي عام ١٩١٨ تم تقسيم الوطن العربي، فاستأثرت فرنسا بسوريا ولبنان وشمالي فلسطين وبريطانيا العظمى أخذت العراق والأردن وباقي فلسطين (اتفاقية سايكس - بيكو).

- عام ١٩٢٠ عين الأمير فيصل ملكاً على سوريا ولبنان وفلسطين حيث حصلت تطورات خطيرة بين العرب واليهود في القدس، وقد اخذ مصير فلسطين وشعبها يتغير بعد الحرب العالمية الأولى وبدأ اليهود بالهجرة إليها وقاموا بشراء الأراضي بشتّى الوسائل، وقد فتحت بريطانيا أبواب فلسطين على مصراعيه للهجرة اليهودية بعد أن أصبحت تحت انتدابها.

من عام ١٩٢٠ - ١٩٢٧ ارتفع عدد اليهود من ٨٤٠٠٠ إلى ٤١٥٠٠٠ وازدادت مساحة الأراضي المشتراة من ٧٩ هكتار إلى ٢٠٠ر٠٠٠ هكتار.

تحرك الفلسطينيون بعد أن اكتشفوا المؤامرة عليهم في ثورة منتظمة بقيادة عز الدين القسام الذي لقي مصرعه في معركة ضد الانكليز عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٣٩ عمت فلسطين الانتفاضة الشاملة.

جاءت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وكان من أمر هذه الحرب ماكان من انعكاسات على المنطقة، وابتداء من عام ١٩٤٣ بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل مباشرة في المسألة الفلسطينية وقد سهل هذا التدخّل الكونغرس الأمريكي الذي أبدى تعاطفاً مع الحركة الصهيونية.

في عام ١٩٤٧ طلبت الحكومة البريطانية من الأمين العام للأمم المتحدة الدعوة إلى دورة استثنائية للجمعية العمومية ووضع القضية الفلسطينية على جدول أعمالها، وتشكلت لجنة مهمتها الاستقصاء بغية تقديم اقتراحات إلى القضية الفلسطينية وقد قاطعها الفلسطينيون، وقدمت البعثة تقريرها وطالبت بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية في وحدة اقتصادية وإقامة نظام دولي خاص

لإدارة القدس، وعليه منحت الدولة اليهودية ٥٦ر٤٧% من مجمـل مساحة فلسطين أو ٤٢ر٨٨% أما القدس فجرى تدويلها، مساحتها ١٦٧ كم٢، ٦٥ر٠% من كامل المساحة وتضم ١٠٥ر٠٠٠ عربي و ١١٠ر٠٠٠ يهودي. وتبعاً لخطة التقسيم هذه تغطي الدولة ١١٦٠٠ كم٢ ويبلغ عدد سكانها ٧٢٥ر٠٠٠ عربي و ١٠ر٠٠٠ يهـودي وتبلغ مساحة الدولة اليهودية ١٥١١٠ كم٢ وتحـوي ٤٩٨ر٠٠٠ يهودي و ٤٠٧ر٠٠٠ عربي.

وافق الصهاينة ورفض الفلسطينيون والعـرب هـذا التقسـيم، تظاهر العرب في فلسطين وعم الاضطراب وحصلت صدامات عنيفـة بين العرب واليهود.

واعتباراً من عام ١٩٤٨ احتدم الصراع بين العـرب واليهـود داخل فلسطين وبدأ اليهود يهاجمون المدن والقرى الفلسطينية بقوات مدربة ومسلحة من الهاغانا وغيرها وارتكبت المجازر ومنها مجزرة دير الياسين ونظراً لضعف امكانيات الفلسطينيين والضغط عليهم من قبل اليهود بدأوا الهجرة إلى الدول العربية وعجزت قـوات الجهـاد المقدس المسلحة التابعة للحسيني وجيش الانقاذ التابع للقاوقجي من الدفاع عن الشعب الفلسطيني واحتلت القوات المسلحة الصـهيونية طبرية وحيفا وصفد ويافا إضافة إلى مدن وقرى أخـرى فـي عـام ١٩٤٨.

- الحرب الاسرائيلية - العربية الأولى[٤٩]:

رفضت الجامعة العربية قرار التقسيم وقرر مجلـس الجامعـة العربية عـام ١٩٤٧ مسـاعدة الفلسـطينيين بارسـال الأسـلحة والمتطوعين وانشاء لجنة عسكرية عليا عربية.

وقد كانت بريطانيا حضرت كل شيء لتقسيم فلسطين بين اليهود والأردن عام ١٩٤٨ على أن لاتكون هناك دولة فلسطينية عربيـة، وفي نفس العام رحل المفوض السامي البريطـاني مـن فلسـطين،

واجتازت القوات العربية الحدود الفلسطينية بقرار من مجلس الجامعة العربية.

وبعد انسحاب القوات المسلحة البريطانية من فلسطين في ١٤ ايار ١٩٤٨ أعلن المجلس الوطني للدولة اليهودية تأسيس دولة جديدة في تل أبيب، ودخلت القوات المسلحة العربية المجاورة (عدا لبنان) لفلسطين كما بعث الملك عبدا قواته لانقاذ مدينة القدس القديمة.

جرت معارك بين القوات العربية والقوات الصهيونية وخاصة القوات المصرية والعراقية والأردنية ومشاركة محدودة من سوريا.

أول مرحلة من الحرب الاسرائيلية (١٥ ايار - ١١ حزيران ١٩٤٨) شهدت تدخّل الجيوش النظامية لست دول عربية (اليمن الدولة السابعة)، وكانت القوات على الشكل التالي: ١٠٠٠٠ مصري-٤٥٠٠ أردني- ٣٠٠٠ سوري- ٣٠٠٠ عراقي- ٣٠٠٠ لبناني- ٣٠٠ سعودي - ١٥٠٠٠ مقاتل فلسطيني. مقابل ذلك جهزت اسرائيل ٣٠,٠٠٠ جندي اسرائيلي.

وخلال الهدنة التي انتهت في ٨ تموز ١٩٤٨ ضاعف الاسرائيليون قواتهم من٣٠,٠٠٠-٧٠,٠٠٠ جندي وأغلبهم متطوعين يهود من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وأفارقة أيضاً، حتى أنه ظهرت طائرات مقاتلة لديهم، مقابل من ٢٤٠٠٠ - ٣٥٠٠٠ جندي ومقاتل ومتطوع مع بضعة آلاف مجاهد غير نظامي.

خلال المرحلة الثانية من الحرب احتل الاسرائيليون المزيد من الأراضي وطرد السكان من بيوتهم عن طريق ممر واحد يقود إلى الأردن.

وفي المرحلة الثالثة من الحرب الاسرائيلية - العربية التي بدأت في ١٥تشرين الأول ١٩٤٨ هاجم الجيش الاسرائيلي الجيش المصري وقاوم عبدالناصر في الفالوجا ببطولة ووسع الاسرائيليون الهجوم باتجاه الشمال لاحتلال ماتبقّى من الجليل وحتى سيناء.

- توقفت المعارك في ١٩٤٩/١/٧ بفضل ضغوط انكلترا على اسرائيل لمنع دخول جيشها إلى الأراضي المصرية، تفاوضت مصر مع اسرائيل حسب صيغة رودس عام ١٩٤٩، بعدها وقعت لبنان واسرائيل اتفاقاً مماثلاً، ثم وقّعت الأردن اتفاق هدنة بعدها، وكانت سورية آخر دولة وقعت على اتفاق هدنة أما السعودية والعراق واليمن فرفضت توقيع الاتفاق.

- بعدها انتهكت اسرائيل الهدنة مع مصر واحتلت النقب حتى خليج العقبة على البحر الأحمر.

وفي عام ١٩٤٨ عقدت اللجنة العربية العليا مؤتمراً في غزة شكلت حكومة فلسطينية في المنفى وانتخب أحمد باشا رئيساً لهذه الحكومة وانتهت الحكومة بوفاته.

في عام ١٩٦٣ أصبح أحمد الشقيري ممثل فلسطين في الجامعة العربية، أما اللجنة العربية العليا فقد لاقت المصير نفسه بوفاة رئيسها الحاج أمين الحسيني عام ١٩٦٤.

وفي عام ١٩٥٦ كان العدوان الثلاثي على مصر واحتلت القوات الاسرائيلية غزة، وفي عام ١٩٥٨ - ١٩٦١ تمت الوحدة بين سوريا ومصر وانهارت، واستقلت الجزائر عام ١٩٦٢ .

في نهاية ١٩٦٣ حولت اسرائيل مجرى نهر الأردن نحو النقب.

في عام ١٩٦٤ دعا عبدالناصر إلى مؤتمر عربي وكان من قراراته إيجاد منظمة التحرير الفلسطينية مهمتها العمل على تحرير فلسطين على أن تكون موضوعة تحت راية الجامعة العربية.

في نفس العام عقد الشقيري اول مؤتمر وطني فلسطيني وأسس على ضوئه فيما بعد جيش التحرير الفلسطيني، وبعدها ظهرت منظمات مقاومة فلسطينية سرية على الساحة السياسية.

في عام ١٩٦٧ كانت حرب حزيران.

في عام ١٩٦٩ انتخب ياسر عرفات رئيساً للجنة التنفيذية.

خلال عام ١٩٦٨ - ١٩٧٠ المواجهات الدامية في الأردن وفي لبنان (١٩٦٩- ١٩٧٣).

في عام ١٩٧٣ كانت حرب تشرين التحريرية.

في عام ١٩٧٨ هاجمت اسرائيل جنوب لبنان واحتلت جزءاً منه وسلّمته إلى أحد عملائها.

في عام ١٩٨٢ شنت اسرائيل حرباً شاملة جواً وبحراً وبراً ضد قواعد الفلسطينيين في لبنان واجتاحت الأراضي اللبنانية.

في عام ١٩٩١ انتهى الصراع الخفي بين القوات الفلسطينية والجيش اللبناني بتسليم أسلحتهم الثقيلة للجيش اللبناني ليسمحوا له بالانتشار في جنوب لبنان تطبيقاً لاتفاق الطائف.

في عام ١٩٨٨ اعلان المجلس الوطني الفلسطيني دولة فلسطين.

ثانياً - الحركة الصهيونية ومراحل الغزو الصهيوني لفلسطين(٥٠)

١ - الحركة الصهيونية :

إن التاريخ اليهودي يجري في واد من الدماء والدموع منذ فرعون إلى آشور وبابل إلى اليونان والرومان فالبيزنطيين، فالمسيحيين، فالمسلمين، وعلى العالم المعاصر أن يعرف أن الصهيونية ليست إلا حركة استعمارية استيطانية غير إنسانية، تهدف إلى تشريد أمة بأسرها من وطنها الأصلي، واحتلال جماعات أخرى متفرقة من مختلف دول العالم، مختلفة في العادات والتقاليد ونظم الحياة، بل باللغة وعمق العلاقات الدينية فضلاً عن الفكر والثقافة المتنوعة أيضاً.

ولو رجعنا إلى أئمة الصهيونية الحديثة ابن غوريون- وجابوتنسكي، وقبلهما تيودور هرتزل وغيرهم من القادة والزعماء لظهر لنا بوضوح عدم عمق علاقتهم بالعقيدة اليهودية، وبدا لنا أن

كل نشاطهم كان أساسه سياسياً وعنصرياً واستعمارياً حقيقياً وليس دينياً كما يدعون.

أما في الغرب فقد كان أمر التجمعات اليهودية أسوأ، ففي غرب أوربا كانوا أوكاراً للربا والزنا واخفاء المسروقات والايقاع بالبسطاء حتى كان انتقال اليهود من مدينة إلى أخرى يحتاج إلى كثيـر مـن الشروط منها أن يزود بشهادة تعريف وشهادة إذن بالانتقال وبيـان اسم الشخص الذي يقصده ومكانه، كما يحتاج إلـى شـهادة كفيـل وخاصة أن عليه أن يعلّق على صدره حلقة خشبية تدل علـى أنـه يهودي.. إلى ماهنالك، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على سـوء أخلاقهم وهمجيتهم وتسيبهم، وقد فتك بهم الكثير مـن القـادة فـي هجمات عليهم مثل القوزاق بمساعدة المسيحيين في حزيران عـام ١٦٤٨ في الأراضي البولونية - الروسية وكذلك ماكان مـن أمـر الجنرال "بيلور" في اوكرانيا حيث أباد منهم عشرات الآلاف لسـوء سلوكهم، ثم جاءت اللاسامية الألمانية والايطالية ففتكت بهم ايضـاً لنفس الأسباب.

ورد ذكر اليهود في القرآن الكريم وما نعرفه عن النبي ابراهيم وأولاده اسماعيل ويعقوب وأمهما هاجر وسارة، وكذلك هجرتهما إلى مكة مع ولدهما اسماعيل حيث بنيا الكعبة وكيف ولدت سارة اسحق ابن ابراهيم في الكبر (واسحق هو جد اليهـود سـابقاً) وكيـف أن اسحق خلف العديد من الأولاد بينهم يوسف وأخيه بنيامين واسرائيل حيث جاءت منه تسمية قبيلة اسرائيل، وورد أيضاً في بعث سـيدنا موسى عليه السلام نبياً حيث كانوا يسمون "بني اسرائيل" وبعد تولّى حكمهم داوود الذي ينحدر من سبط "يهوذا " من يعقوب وخلفه ابنـه سليمان.

كما أن التاريخ القديم يذكر أن النبي سـليمان عليـه السـلام جـاء فقسمهم إلى مملكتين متعاديتين متحاربتين، الأولى السامرة شـمال فلسطين، والثانية يهوذا جنوبهـــــــا، وبعدها قام الامبراطور

الآشوري "سلمانصر" وأتم هذا الفتح خليفته "سرجون" الثاني الـذي أجلى السامرة من أهل مملكـة اسـرائيل وكـان آخـرهم " أشـعيا وهوشع"، وتقول الأساطير اليهودية أن الذين شردهم الآشوريون فقد كانوا عشر قبائل من مجموع اثنتي عشرة هم كل أسباط بني اسرائيل وهذه القبائل العشرة تشتتت في جميع أنحاء العالم واختلطت بشعوب الأرض.

ثم حاول الأباطرة الآشوريون اسقاط مملكة "يهوذا " الجنوبيـة التي تعاقب عليها ملوك مـن سـلالة سـليمان بـن داوود ومـنهم "يوشياهو بن أمون" الذي توج ملكاً على "أورشليم" عـام ٦٤١ق.م وحكم اليهود أكثر من ثلاثين سنة إلى أن هاجمـه فرعـون مصـر "نخاو" وقتله عام ٦١٠ق.م. بعـدها حاصـر أورشـليم "الكلـداني" بختنصر" بجيش كبير بقيادة " بنو زردان" القائد المشـهور حينـذاك وكانت القوة المصرية التي وجهها "نخاو" إلى أورشليم قبل ذلك قـد أضعفت من معنويات اليهود.

حاول النبي "إرميا " حل الأزمة مع بختنصر سلمياً وكان الملـك "يوشياهو" قد قتل في معركة مع فرعون مصر "نخاو" فخلفه "يواقيم" حيث تم في أيامه اقتحام الجيش الكلداني لأورشليم والقـبض عليـه وأسره مع بقية اليهود في فلسطين وتوجيههم إلى بابل" تـل أبيـب" حالياً حيث جاءت هذه التسمية عام "١٩٢٩" وبموت النبي " إرميا " الذي اتهمه اليهود بولائه للكلدانيين بعد أن لجأ إلـى مصـر حيـث اغتاله اليهود في دلتا النيل، وبذلك انتهت آخر أسرة حاكمة يهودية في فلسطين أسسها "داوود وابنه سليمان".

ولقد وجدت ضرورة سرد هذه المقدمة عن اليهود قبل الـدخول في صلب موضوع الحركة الصهيونية والذي اعتبر بدايتها منذ عـام ١٦٢١ م وأبدأ بتعريف الصهيونية فهي كما ذكـرت فـي المقدمـة حركة سياسية عنصرية استيطانية الغاية منها طرد الشعب العربـي الفلسطيني من أرضه واحتلال مكانه، وقد ظهرت عبارة الصـهيونية

لأول مرة في التاريخ في كتاب المفكر الألماني اليهودي الصـهيوني "ناتان بيريناوم".

والصهيونية[51] كما نعلم أول من دعا إليها "فـورهس" مؤلـف كتاب "روما والقدس" عام ١٨٦٢م دعا فيه إلى غزو فلسطين، بعدها جاء المفكر "ليونسكر" مؤلف كتاب "التحرر الـذاتي" عـام ١٨٨٢ م وهو يهودي روسي شهد مرحلة الإنتقـال والـدعوة إلـى الحركـة الصهيونية. بعد ذلك جاء المفكر الألماني اليهودي مؤلـف "البعـث الثقافي إلى الشعب اليهـودي" عـام ١٨٩٣م وقـد ظهـرت أولـى المجموعات الصهيونية- أحباء صهيون عام ١٨٨٢م، بيلـو عـام ١٨٨٢م. أما المؤتمرات اليهودية فكانت على الشكل التالي:

١- المؤتمر اليهودي الأول ١٨٨٤ م عقد في بولونيا.

٢- المؤتمر اليهودي الثاني ١٨٨٧م

٣- المؤتمر اليهودي الثالث ١٨٨٩م.

٤- المؤتمر اليهودي الرابع ١٨٩٠م وقد برزت فيه التيـارات التالية:

أ- تيار الروح الثقافي في أوربا الشرقية.

ب- التيار العملي.

ج - التيار الديني، وجميع هذه التيارات ظهـرت فـي أوربـا الشرقية اما في اوربا الغربية فقد تأخر تأسيس الجمعيات حوالي عقد وكان بودنهايمر" أول المفكرين عـام ١٨٩١م "صـهيونيي العـالم اتحدوا".

وأما من حيث أنواع الصهيونية فيمكن أن نقسمها إلـى عـدة أقسام:

١- الصهيونية البريطانيـة مـابين عـام ١٦٢١ - ١٧٩٥م "كروموبل" سمح لليهود بالعودة إلى الجزر البريطانية للاستفادة من أموال اليهود في المصالح التجارية البحرية.

٢- الصهيونية الفرنسية مابين عام ١٧٩٩- ١٨٠٠م "نابليون" دعا اليهود للقتال معه لاحتلال القدس وتأسيس مملكة يهودية لخدمة أغراضه العسكرية والاقتصادية والسياسية وبعدها تجددت الـدعوة مرتين:

الأولى - عام ١٨٧١ في عهد محمد علي باشا.

والثانية في عهد ارنيست لاهـان لإقامـة دولـة فـي سـوريا وفلسطين.

٣- الصهيونية الألمانية من عام ١٨٩٣ - ١٨٩٦م، كمـا أن ايطاليا "موسوليني" دعا إلى التعجيل بايجاد دولة في فلسطين، وكذلك في روسيا فقد أكده "يـوري ايفـانوف" علـى تـرابط الامبرياليـة واسرائيل.

وعن ولادة الصهيونية السياسية فقد ولدت في زحمة الصراعات بين فرنسا وألمانيا وبريطانيا على سورية وفلسطين، ضـمن هـذه الزحمة في الصراعات ولدت الصهيونية السياسية عام ١٨٨٩م وفي عام ١٨٩٧ م أصبحت منظمة سياسية عالمية وعقدت أول مـؤتمر صهيوني عام ١٨٩٧م في سويسرا.

وحول المؤتمرات الصهيونية :

١- المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م عقد في سويسـرا برئاسة "هرتزل" وكان ذو ثلاثة اتجاهات: أ- اتجاه سياسـي، ب- اتجاه عملي، ج- اتجاه روحي ثقافي.

٢- المؤتمر الصهيوني الثاني عقد عام ١٨٩٨ م وقد ظهـرت فيه معارضة الاتجاهين العملي والروحي للاتجاه السياسي.

٣- المؤتمر الصهيوني الثالث عقد عام ١٨٩٩م وقد برز فيـه معارضة "هرتزل" وعارضت تركيا إعطائه البراءة لدخول فلسـطين وفشل مع المانيا لتحقيق هذه الغاية أيضاً.

٤- المؤتمر الصهيوني الرابع عقد عام ١٩٠٠م في لندن حيث حاول "هرتزل" مع بريطانيا واستدراجها للسماح بالاستيطان في فلسطين.

٥- المؤتمر الصهيوني الخامس عقد عام ١٩٠١م وقد أصبح "هرتزل" موضع انتقاد لفشله في تحقيق أهدافه، وطُلب منه اعطاء تفصيلات عن نشاطاته.

٦- المؤتمر الصهيوني السادس عقد عام ١٩٠٣م تميزت هذه المرحلة بسمات رئيسية على الصعيد الدولي والصهيوني، فعلى الصعيد الدولي كان التوسع الامبريالي:

أ- فرنسا وبريطانيا ثُبتتا أقدامهما في الدولة العثمانية.

ب - ايطاليا وألمانيا تحاولان تثبيت أقدامهما في الدولة العثمانية أيضاً.

ج - الاتحاد السوفياتي مشغول عن الوطن العربي.

وعلى الصعيد الصهيوني فقد أعلنت أربع دول عطفها على اليهود، فألمانيا اعتبرتها وسيلة لوراثة العثمانيين، وبريطانيا حسبت أن تكون حليفاً لها في المستقبل، أما الولايات المتحدة الأمريكية فطمعاً بالنفط في المنطقة، وأخيراً فقد اعتبرت روسيا أن هذه الخطوة تفيدها في ابعاد اليهود عن الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية عندها.

وقد برز دور بريطانيا بتبنّي اليهود بشكل ظاهر وملموس، أما باقي الدول فقد أظهرت أو أبدت عطفها فقط، وقد برز ذلك من قبل وزير المستعمرات "بورد تشمبرلن" ووزير الخارجية، "لانستون" حيث قدما عرضاً لاستعمار العريش صهيونياً، ولكن المحاولة فشلت نتيجة مقاومة مصر لها.

كما أنهم فكروا باستعمار قبرص، موزامبيق، والكونغو، وأوغندا، وفي المؤتمر السادس رفض الجميع قبول أوغندا وحصل

الشقاق بينهم وقد قام هرتزل بحـل هـذا الشـقاق بتشـكيل لجنـة استقصاء إلى أوغندا لدراسة الأوضاع فيها.

٧- في المؤتمر الصهيوني السابع الذي عقد عام ١٩٠٥ مـات هرتزل عام ١٩٠٤ وخاف ثلاثة بدلاً عنه وقد قرر المؤتمر:

أ- رفض استعمار اوغندا والاصرار على فلسطين.

ب - تعديل ميثاق صندوق الإئتمان ليشمل (فلسطين- سوريا- سيناء- العريش وقبرص وقسم من تركيا الآسيوية).

ج - التوفيق بين التيارات المتناقضة داخل المنظمة الصهيونية وقد تدفّق اليهود من بولونيا وروسيا إلى فلسطين عام ١٨٨٢م حيث تأسست خمس مستعمرات.

- العلاقات العربية اليهودية في فلسطين :

بدأ اليهود بالسيطرة على البنوك والشركات والمصارف وبـدأوا بشراء الأراضي وفي عام ١٨٩١م وقف العرب فـي فلسـطين أول موقف حازم تجاه اليهود وشعروا بخطر الهجرة.

٨- في المؤتمر الصهيوني الثامن الذي عقد عام ١٩٠٧م حيث عقد في هولندا وكان قد هاجر لفلسطين منذ عـام ١٩٠٤- ١٩١٤م (٤٠ الف يهودي) وقد ظهرت المقاومة العربية مابين عام ١٨٩٨- ١٩١٤م في الاجتماعات والمظاهرات والهجوم علـى المسـتوطنات وصدرت المنشورات والصحف والكتب وبلغـت الضـغوط العربيـة ذروتها عندما استطاع النواب العرب في مجلس المبعوثان العثمـاني إرغام الصدر الأعظم على الاعلان عام ١٩٠٩م عن عـدم السـماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وفي عام ١٩١١م أعلـن العثمـانيون المعارضة للأهداف الصهيونية وفي عـام ١٩١٤م حيـث تأسسـت فروع الجمعيات والأحزاب لمكافحة الصهيونية وتحت ثالوث (وقـف الهجرة اليهودية- خطـر بيـع الأراضـي للصـهيونية- اسـتقلال فلسطين).

٩- المؤتمر الصهيوني التاسع عام ١٩٠٩م.

١٠- المؤتمر الصهيوني العاشر الذي عقد عام ١٩١١م وقـد نجح الاتجاه العملي في قيادة المنظمة كما حاول الاتجـاه الاقليمـي الحصول على بقعة ارض في برقة (ليبيا) وفي أنغولا أيضاً.

١١- المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي انعقد عام ١٩١٣م قرروا الالتزام الحيادي في الحرب العالمية الأولى بعد ظهور اتجاهين كل منهما يرغب في وقوف الصهيونية في اتجاه، الأول تجاه الدولة العثمانية - ألمانيا، والثاني اتجاه مـع الـدول الغربيـة (فرنسـا- بريطانيا- الولايات المتحدة الأمريكية). وفـي عـام ١٩١٥م أبـدت ألمانيا العطف على اليهود، وفي عام ١٩١٦م مارست ألمانيا الضغط على العثمانيين للتوصل لاتفاق مع اليهود ووافـق الأتـراك علـى تأسيس شركة يهودية للإشراف على اليهود في فلسـطين ومـنحهم الحكم الذاتي، وتم اعطاء الوعود بادراج هذا الاتفـاق فـي شـروط مؤتمر الصلح بعد نهاية الحرب، وبنفس العام وقف العـرب موقـف العداء من الأتراك للمذابح والمجاعات في الدول العربية وتحالفوا مع بريطانيا والحلفاء وقد استغلّت بريطانيا هذا الموقف فدفعت مفوضها السامي "مكماهون" على التفاوض مع شريف مكة "الملـك حسـين" وبعد تبادل خمس رسائل بينهما توصل الطرفان إلـى إقامـة دولـة عربية مستقلة عن الأتـراك "اتفاقيـة الحسـين- مكمـاهون" فـي ٢٤/١٠/١٩١٥م.

- وفي ٥ حزيران عام ١٩١٦ وفى العرب بوعـدهم وأعلنـوا الثورة ضد الحكم التركي، أما المعسكر الغربي "روسيا- بريطانيـا- فرنسا" فقد اتفقوا على تقسيم الوطن العربي إلى ثلاث منـاطق فـي "اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٥م" وفي عام ١٩١٧م كان تصـريح "وعد بلفور" بعد تشـكيل وزارة حربيـة برئاسـة "لويـد جـورج" والمشاورات مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن منح اليهود وطنـاً قومياً في فلسطين وفي عام ١٩١٨م وافقت فرنسا أيضـاً، وبـذلك أعطت بريطانيا مالا تملكه "فلسطين" لليهود.

ثانياً- مراحل الغزو الصهيوني لفلسطين(٥٢):

- المرحلة الأولى: الغزو التدريجي في ظل الانتداب البريطاني:

بعد فترة اعداد استمرت عشرين عاماً بدأت بانعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧م اخذت الصهيونية العالمية في تنفيذ برنامج طويل الأمد أعد بعناية تامة لغزو فسطين، والقضاء على الشعب العربي الفلسطيني وإنشاء قاعدة استعمارية في قلب الوطن العربي، وقد نفذ هذا البرنامج فعلاً بالتعاون مع القوى الاستعمارية في مراحل ثلاثة:

الأولى- مرحلة الغزو التدريجي خلال فترة الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧).

والثانية - مرحلة قرار التقسيم (١٩٤٧).

والثالثة - مرحلة الغزو العسكري وقيام اسرائيل عام (١٩٤٨).

- و عد بلفور ودعوى الالتزامات المزدوجة :

يشكل وعد بلفور الفصل الأول من الخطة الصهيونية الاستعمارية في مرحلة الغزو التدريجي لفلسطين، وقد صدر هذا الوعد بتاريخ ٢/تشرين الثاني عام ١٩١٧م في صورة كتاب موجه من وزير خارجية بريطانيا آنذاك "بلفور" إلى الزعيم الصهيوني "روتشيلد" وقد جاء في هذا الكتاب مايلي: "إن حكومة بريطانيا تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لايجوز عمل أي شيء قد يضر الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين" وقامت بريطانيا خلال الثلاثين سنة التي حكمت فيها فلسطين بوصفها دولة منتدبة عليها (١٩١٨-١٩٤٨) م بمهمتها في تسهيل الغزو الصهيوني التدريجي للبلاد على أكمل وجه، وتعاونت مع الصهيونية العالمية إلى أبعد الحدود فوضعت البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي لليهودي، واعتبرت الجمعية الصهيونية وكالة يهودية

تشارك في إدارة البلاد وتهيئتها للانتقال إلى دولةيهودية، وسـهلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وأوجدت الأحوال الملائمة لها، ومنحت الأراضي العائدة إلى الدولة لليهود فقط، وعينت الزعيم الصـهيوني البريطاني "هربرت صموئيل" أول مندوب سامي للبلاد، وجعلت اللغة العبرية مع اللغتين العربية والانكليزية من اللغات الرسمية لفلسطين.

- موقف العرب: كان موقف العرب في فلسـطين مـن الغـزو الصهيوني الاستعماري لبلادهم واضحاً منذ اللحظـة الأولـى، فقـد رفضوا وعد بلفور والانتداب البريطاني وفعلوا كـل مايسـتطيعونه لاحباط المؤامرات الصهيونية، الاستعمارية وبذلوا قصارى جهـدهم في المجالات السياسية والاقتصادية والثورية دفاعـاً عـن وطـنهم وحاولوا بوسائلهم المحدودة ان يحافظوا على حقـوقهم ووجـودهم وكيانهم، ففي المجال السياسي عقدوا المؤتمرات الوطنية المتواليـة وبعثوا بالوفود المتعددة إلى أنحاء العالمين العربي- الإسلامي وإلى بريطانيا نفسها، وألفوا اللجان القومية التي كانت تتمثّل فيها وحدتهم الوطنية.

وفي المجال الاقتصادي قاطعوا المنتوجات اليهودية وقاوموا بيع الأراضي بمختلف الوسائل وظلوا متفوقين على اليهود من الناحيـة الزراعية حتى اللحظة الأخيرة.

- أما في المجال الثوري : فقد تعددت ثوراتهم وتتابعت وسـقط منهم ألوف الضحايا والشهداء وقد بدأت هذه الثورات عـام ١٩٢٠م عندما هاجم العرب اليهود في موسم النبي موسى في منطقة القدس واندلعت ثورة يافا التي استمرت /١٥/ يوماً وفي عام ١٩٢١م قامت اضطرابات شديدة في القدس والخليل وصفد عندما حـاول اليهـود تجاوز حقوقهم في حائط المبكى في آب عـام ١٩٢٩ وفـي عـام ١٩٣٦م قامت في البلاد ثورة عارمة استمرت ثلاث سنوات ورافـق هذه الثورة عصيان مدني واضراب عام استمر ستة أشـهر وكـان القتال بين المجاهـدين العـرب والغـزاة الصـهيونيين وحمـاتهم

البريطانيين ولم يلق العرب سلاحهم إلا بعد وساطة الملـوك العـرب وحكامهم إذ توجهوا بنداء إلى عرب فلسطين داعين إياهم للخلود إلى السكينة واعدين إياهم ببذل العون لمساعدتهم وقد زاد عدد الشهداء لهذه الثورة وحدها مايزيد على ألف شهيد، وكان في المعتقلات نيف وثلاثة آلاف عربي، وذاق العرب خلالهـا أشـد أنـواع الاضـطهاد والتعذيب والتنكيل من قوات الجيش البريطاني المرابط فـي الـبلاد لحماية الغزو الصهيوني الاستعماري ويقدر عدد الذين استشهدوا من عرب فلسطين في الدفاع عن وطنهم خلال فترة الانتـداب ١٩١٨ - ١٩٤٨م بثلاثين ألف شهيد، وهكذا حققت ثـورة ١٩٣٦- ١٩٣٩ م بعض اهدافها، غير أن الحوادث التي تلت وما قام به الانكليز خـلال الحرب العالمية الثانية من التغاضـي عـن هجـرة اليهـود غيـر المشروعة ومن مساعدتهم في إقامة جسر سري بينهمـا أثبـت أن سياسة الكتاب الأبيض لم تكن إلا اجـراءات مؤقتـة لجـأت إليهـا بريطانيا لخداع العرب والحفاظ على مصالحها الحيوية في المشـرق العربي في مرحلة تصارعها مع القوى النازية التي كانت تهدد كيانها ووجودها.

- التطورات الجديدة : - دور أمريكـا : هـاجم الصـهيونيون الكتاب الأبيض وأخذوا يقومون بأعمال الارهاب لإرغام الانكليز على التراجع عنه فاعتدوا على المخـافر والمطـارات ودوائـر الهجـرة واغتالوا اللورد "موين" وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسـط بمصر وخطفوا الضباط البريطـانيين وشـنقوا بعضـهم وجلـدوهم وأمعنوا فـي إذلال السـلطات البريطانيـة واتجهـوا إلـى امريكـا لمساعدتهم وكان رئيسها "ترومان" متحيزاً لهم مهتماً بتأمين أصوات الناخبين اليهود في امريكا له ولحزبه، فأخذ يضغط علـى بريطانيـا بصدد السماح باستئناف الهجرة اليهوديـة إلـى فلسـطين خلافـاً لنصوص الكتاب الأبيض واستجابت بريطانيا للمسـاعي الأمريكيـة

ودعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية للتعاون معها في تـأليف لجنة تحقيق (أنغلو - امريكية) مشتركة لمعالجة قضية فلسطين.

- تخلّي بريطانيا عن قضية فلسطين للأمم المتحدة :

أرسلت بريطانيا في أول نيسان عام ١٩٤٧ مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تطلب منه أن يعرض القضية الفلسـطينية فـي دورة خاصة وكان هذا التدبير جزءاً من خطة مبيتة بين بريطانيا من جهة والصهيونية العالمية من جهة اخرى لتتمكّن بريطانيا مـن أن تلقي على غيرها تبعة ماحدث فـي فلسـطين ومسـؤولية النتـائج الجسيمة المترتبة على قيام اسرائيل فيما بعد. دعيت الأمم المتحـدة إلى دورة خاصة لبحث قضية فلسطين في ٢٨ نيسان من نفس العام وتألفت لجنة من ممثلين عن احدى عشر دولة هي: استراليا - كندا - تشيكوسلوفاكيا- يوغسلافيا- غواتيمـالا- الهنـد - هولنـدا - ايران- بيرو- السويد اورغواي- وقد عهد إلى هذه اللجنة المسماة "اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين" بمهمة التحقيـق فـي الشؤون المتعلقة بالمشكلة الفلسطينية وتقديم مقترحات لحلها.

جاءت اللجنة إلى فلسطين بعد أن قرر العـرب مقاطعتهـا لأن مهمتها لاتتضمن الاقرار بمبدأ استقلال فلسطين ككل، وتقدم ممثلـوا الدول العربية إلى اللجنة بمذكرة استنكروا فيها إعادة التحقيق فـي قضية سبق أن أشبعت تحقيقاً ولجاناً، ورافق أعمال هذه اللجنة قيام الإرهابيين اليهود بأعمال الثـورة والعنـف ومهاجمـة السـلطات البريطانية رغم أن الأمور كانت تسير في الاتجاه المؤيد لهم، وفـي ايلول عام ١٩٤٧م رفعت اللجنة إلى الأمم المتحدة تقريراً انقسـمت فيه إلى أكثرية قدمت مشروعاً آخر، ويقضـي مشـروع الأكثريـة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وتصبح هاتان الدولتيان مستقلتين بعد مرحلة انتقال تدوم سنتين، وتوضع منطقة القدس تحت نظام الوصاية الدولية، أما مشروع الأقلية "الهند وايران ويوغسلافيا"

فقد اقترح أن يقوم في فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالاً ذاتيـاً، وتتألف كل منها من دولة اتحادية مستقلة عاصمتها القدس.

- المرحلة الثانية إقرار التقسيم الجائر(٥٣):

بذلت الصهيونية العالمية وقوى الاستعمار أقصى جهودها لاقرار مشروع تقسيم فلسطين المقدم من أكثرية أعضاء اللجنـة الخاصـة واستعملت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، كافة وسائل الضـغط السياسي والاقتصادي والعسكري للحصول على الأكثريـة اللازمـة لاقراره.

وكان هذا الضغط على الدول الصغيرة لتأييد المشـروع سـافراً وشديدا بحيث وضعه وزير الدفاع الامريكي "فورستال" بأنه "يقـارب الفضيحة" وأقرت الأمم المتحدة المشروع في ٢٧ تشرين الثاني من عام ١٩٤٧م وصوتت إلى جانبـه الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وروسيا، أما بريطانيا فتظاهرت بالحياد وامتنعـت عـن التصـويت ولكنها شجعت معظم دول "الكومونويلـف" البريطـاني علـى تأييـد المشروع، ولا أدل على اجحاف قرار التقسيم بحقوق العرب مـن أن اليهود في عام ١٩٤٧م لم يكونوا يملكون أكثـر مـن (٦%) مـن أراضي فلسطين وكان عددهم لايزيـد عـن (٣٢%) مـن مجمـوع السكان، ومع هذا فقد خصص قرار التقسيم لدولتهم المقترحة ٥٤% من أراضي اليهود، ومن ناحيـة توزيـع السـكان فـي الـدولتين المقترحتين جعل المشروع "الدولة اليهودية" المقترحة تشتمل علـى /٧٢٥/ ألف من العرب و /١٠/ آلاف من اليهود.

يضاف إلى هذا أن المشروع خصص لليهـود بـــ ٨٤% مـن الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة وأبقى للعرب الـتلال الصـخرية الجرداء ومع كل هذا يتضح أن قرار التقسيم الذي اتخذته الجمعيـة العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧ والذي تستند إليـه اسـرائيل فـي شرعية وجودها يخالف مبادئ الديمقراطية والعدالة وحقوق الانسان وميثاق الأمم المتحدة، وحق تقرير المصير، وأنه اتخذ عن طريـق

الضغط والتهديد والاكراه من قبل الدول الاستعمارية الكبرى وأنـه لايعبر عن إرادة الشعوب في العالم، والواقع أن هذا القرار هو جزء من المؤامرات الصهيونية الاستعمارية الرامية إلـى إقامـة قاعـدة استعمارية، عدوانية في قلب الوطن العربي لتأخير وحدته واشـغاله عن تحقيق أهدافه الاجتماعية والقومية.

- المرحلة الثالثة: الغزو العسكري وقيام اسرائيل:

ثورة العرب على قرار التقسيم(٥٤):

أثار قرار التقسيم الجائر ثائرة الأمة العربية وقامت الاضطرابات والتظاهرات في كل مكان ونشبت اصطدامات دموية في فلسطين بين العرب واليهود وقررت الدولة العربية اتخاذ التدابير الكفيلة باحبـاط مشروع التقسيم فوزعت الأسلحة واعتمدت الأموال للانفـاق علـى حركة المتطوعين وتنظيم وسائل الدفاع، وفي كـانون الثـاني عـام ١٩٤٨م دخل فسطين أول فوج من جيش الإنقاذ الـذي أعـد فـي سورية من المتطـوعين العـرب الـذين اشـتركوا مـع اخـوانهم الفلسطينيين في القتال ضد الغزو الصهيوني، ودارت معارك قوية في الأشهر الخمسة التي تلت قرار التقسيم ورافقت القتال اعمال نسـف عظيمة قام بها الفدائيون العرب خسر فيها الصهاينة مئات الضـحايا كما نشبت معارك ضارية في القدس ويافا والقسطل واللد والرملـة، وبلغت قوة المقاومة العربية في المعارك والتدمير حداً حمل اليهـود على الشكوى إلى مجلس الأمن مطالبين بتنفيذ قرار التقسيم بالقوة.

- الاستعمار يمهد لقيام اسرائيل:

شعر الاستعمار بالتطور الجديد وبدأ بتنفيذ خطته لتمكين حلفائه الصهاينة من غزو البلاد، وأعلن الانكليز عزمهم على سحب قواتهم من فلسطين وتصفية انتدابهم عليها في ١٥ أيار ثم أخذوا بـالجلاء عن تل أبيب والمناطق اليهودية، ومكنوا اليهـود مـن تـولّي إدارة الحكم والاستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية، في حين ظلوا محتلين المناطق العربية وقابضين بزمام الإدارة فيها، وظلوا يعملون

على عرقلة تسليح العرب وتموينهم، كما باعوا مخلفاتهم العسكرية إلى اليهود، وأخذوا يحمون اليهود من أي هجوم عليهم، وبدأ اليهود مجازرهم الرهيبة الدموية في اماكن عديدة من البلاد كدير ياسين ونفذوا هذه المجازر تحت سمع وبصر سلطات الانتداب.

ثم اخلت هذه السلطات مدينة حيفا وسلّمتها للجيش اليهودي الذي سبق لها أن ساهمت في إنشائه وتدريبه، ثم جلت القوات البريطانية عن طبريا ويافا في ١٥ أيار حتى كانت المنطقة المخصصة لليهود في قرار التقسيم مع قسم كبير من المنطقة المخصصة للعرب قد سلّمت لليهود بتآمر مقصود من السلطات البريطانية، وأخذ الرأي العام العربي يطالب حكوماته بالتدخل العسكري لانقاذ فلسطين وأهلها من التآمر الاستعماري الصهيوني الذي يهددها. واستمرت بريطانيا في تسليم فلسطين إلى القوات اليهودية، وفي /١٥/ أيار دخلت جيوش الدول العربية فلسطين، ودخلت معها نوايا حسنة ونوايا سيئة وخيانات ومؤامرات، وتبع هذا خروج بريطانيا من فلسطين وقيام اسرائيل واعتراف الرئيس الأمريكي "ترومان" بقيامها في حال اعلانه، مع ان القضية كانت ماتزال معروضة على هيئة الأمم المتحدة وأحرزت القوات العربية نجاحاً ملحوظاً، وسيطرت على قسم كبير من فلسطين وأوشكت أن تطيح بتل ابيب، وتجاه هذا الموقف أسرع اليهود يحثّون أنصارهم الأمريكيين على التدخّل لانقاذهم، فأسرع هؤلاء إلى مجلس الأمن وقدموا اقتراحاً بأن الحالة في فلسطين تهدد السلم العالمي تمهيداً لمنع القتال بالقوة وتطبيق العقوبات، فأقر المجلس هدنة أربع أسابيع قبل بها العرب واليهود، وكارثة العرب أنهم وثقوا بموقف الأمم المتحدة، واستغل اليهود الهدنة وعززوا موقفهم العسكري، وساعدتهم المنظمات الصهيونية في أمريكا وغيرها في بلاد العالم، وهربت لهم الأسلحة وأرسلت المتطوعين والذخائر.

وفي أثناء الهدنة سلم الانكليز ميناء حيفا رسمياً إلى السلطات الصهيونية.

- الهدنة والكارثة : عينت الأمم المتحدة "الكونت برنادوت" وسيطاً دولياً في فلسطين فاتصل بالجانبين واقترح تأليف اتحاد عربي يهودي في فلسطين : يشمل شرقي الأردن واعادة فكرة التقسيم مع تعديلات اعتبرها اليهود منصفة للعرب، ورفض الجانبان هذه المقترحات ورفض العرب تمديد الهدنة واستؤنف القتال في ٩ تموز، وتقدم العرب في معظم الجبهات واستبسل المجاهدون الفلسطينيون في القتال في كل مكان.

ولكن القوة الأردنية مالبثت أن انسحبت من منطقة اللد والرملة فاحتلها اليهود وشردوا أهل المنطقة من العرب بعد مذابح وحشية اقترفها اليهود وأدى سقوط اللد والرملة إلى انسحاب القوة العراقية من رأس العين ومن مرج ابن عامر وانسحب جيش الانقاذ من الجليل الغربي، واستولى اليهود على صفد والناصرة وشفا عمرو وأصدر مجلس الأمن قراراً ثانياً بوقف القتال حتى تسوى القضية الفلسطينية وقبل الجانبان بالقرار، واغتال اليهود الوسيط الدولي في القدس المحتلة، وبدأوا عمليات خرق الهدنة في القدس والنقب وأماكن أخرى، واستولوا على مايعادل ٨٠% من مساحة فلسطين، ثم احتل اليهود منطقة النقب بكاملها وتعددت المؤامرات وانتهى الأمر بعقد الهدن الأربع بين اسرائيل من جانب والأردن ومصر ولبنان وسورية من جانب آخر في عام ١٩٤٩م ولكن حالة الحرب ماتزال قائمة بين الدول العربية واسرائيل إلى وقتنا الحاضر.

الفصل الخامس

الاستراتيجية السياسية والعسكرية الاسرائيلية حتى نهاية القرن العشرين

تعتبر استراتيجية الحركة الصهيونية واسرائيل[55] تجاه المنطقة العربية والشرق الأوسط، استراتيجية العدوان والتوسـع باعتبارهـا جزء لايتجزأ من الاستراتيجية العامة للامبرياليـة الأمريكيـة فـي المنطقة وهي بحد ذاتها تجسد الأطماع التوسعية والنزعة العدوانيـة والطبيعة العنصرية للحركة الصهيونية وكأنها أداة لتنفيـذ أغـراض الامبريالية ومخططاتها في منطقتنا.

لقد فبركت الايديولوجية الصـهيونية لتكـون بمثابـة غطـاء "عقائدي" للتمويه على الجوهر الاستعماري للمشـروع الصـهيوني واظهار دوره في خدمة الامبريالية بدءاً من تضليل اليهود وانتزاعهم من مجتمعاتهم وتهجيرهم إلى فلسطين وتعبئـتهم تعبئـة عدوانيـة وسوقهم للتصدي لحركة التحرر الوطني العربية.

فالايديولوجية الصهيونية بما تتضمنه مـن أكاذيـب ومفـاهيم وأفكار عنصرية رجعية ومقولات مضللة تنطوي على كل المبـررات العدوانية باسم "الحق الديني أو التاريخي والـذرائع الأمنيـة" وقـد عملت الامبريالية وعلى رأسها أمريكا التي تقـف وراء المشـروع الصهيوني وتعتبره رصيداً استراتيجياً لهـا والضـمانة الأساسـية لمصالحها في الشرق الأوسط منذ عـام ١٩٤٨ علـى مـد الكيـان الصهيوني بكل اسباب الحياة والقوة والقدرة على الاستمرار وحولته إلى معسكر وأمدته بأحدث أسلحة الفتك والـدمار، وتبلـورت لـدى الأوساط الامبريالية الأمريكية باعتبارها إحدى المكونات الأساسـية

للاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بسياسة مايسمى بالتوازن الاقليمي بين الكيان الصهيوني والـدول العربيـة مجتمعـة. وهـي السياسة التي تقضي بالحفاظ على اسرائيل قوية ومتفوقـة بشـكل مطلق من الناحية العسكرية وتكون أيضاً القوة المركزية القادرة على فرض هيمنتها وإرادتها في المنطقة.

ومع أن الحركة الصهيونية والقوى الامبريالية اضطرت لظروف موضوعية خارجة عن إرادتها إلى اتباع سياسة ذرائعية براغماتيـة فعملت على تنفيذ الاستراتيجية الصهيونية تجاه المنطقة العربية على مراحل، وكذلك فقد عملت على تكريس حالة اللاسلم واللاحرب بعـد عدوان ١٩٦٧، وهذه الحالة تمثل الحالة النموذجية " التـي يمكـن للصهيونية في اطارها أن تتحرش بالبلدان العربية وتعتـدي عليهـا وبذلك تكون قد نفذت مخططاتها الاستعمارية التوسعية، في فـرض سلام الأمر الواقع في كل مرحلة من المراحل المتتالية وذلك بحكـم اختلال موازين القوى لصالح الكيان الصهيوني وبحكم قـوة الـردع التي يمتلكها هذا الكيان.

والاستراتيجية الاسرائيلية في نهاية القرن العشرين[٥٦] تعتبـر مرحلة نوعية في ظل مواقع القوة الأمريكية ومـا يسـمى بالخطـة الأمنية الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشـرق الأوسـط وهـي الخطة التي تعتبر الشرق الأوسط بكامله مجـالاً حيويـاً لمصـالحها (أمريكا)، وتستهدف على هذا الأساس وتحت ستار مقاومة "التوسع السوفياتي" المزعوم في الشرق الأوسط فرض الوصـاية الأمريكيـة على منطقتنا وكبح عملية التغيير الثوري ومحاولة السـيطرة علـى اتجاهات الأحداث في المنطقة واحتوائها عن طريق تغطية المنطقـة بشبكة من القواعد العسكرية لقوات التدخّل السريع الأمريكية وتكثيف الوجود العسكري الأمريكي فيهـا وإقامـة سلسـلة مـن الأحـلاف والاتفاقات الثنائية العسكرية في نطاق مايسمى بالاجماع الاستراتيجي الذي يمتد من باكستان شرقاً حتى المغرب غرباً والذي يشكل حلـف

كامب ديفيد واسرائيل بشكل خاص قوته الضاربة الأساسية وكـذلك من خلال التدخل الأمريكي المباشر في شؤون بلدان المنطقة والنزوع المتزايد للعودة إلى ممارسة دبلوماسية التهديـد بالأسـاطيل ودور الشرطي ضد هذه البلدان وحركات التحرر الوطني فيها.

وفي هذه المرحلة النوعية الجديدة تكشّفت وسوف تتكشّف أكثر فأكثر الامبريالية الأمريكية لتوظيف الصراع العربـي - الاسـرائيلي والتحرك الأمريكي باسم تسوية هذا الصراع من أجل تأجيج الحـرب الباردة وتصعيد التوتر في المنطقـة ومحاولـة تحقيـق الأهـداف الرئيسية للاستراتيجية الأمريكيـة فـي الشـرق الأوسـط وتنفيـذ المخططات الرامية إلى إعادة وترتيب الأوضاع في المنطقة العربيـة وفقاً للمعادلات الأمريكية الصهيونية وإلى فرض الاستسـلام علـى المنطقة واخضاعها للهيمنة السياسية والعسكرية.

وفي هذا الاطار جاء اتفاق التعـاون الاسـتراتيجي الأمريكـي والاسرائيلي ليشكل بداية مرحلة جديدة في العلاقات "الخاصة" بـين طرفي التحالف بعد أن تخلّت الامبرياليـة الامريكيـة نهائيـاً عـن محاولات تمويه علاقاتها بالكيان الصهيوني ووقوفها وراء مغامراته العدوانية وقررت الخروج بالتحالف والتنسيق إلى دائـرة السـفور بحيث يتجاوز دول المواجهة العربية إلى المنطقة العربيـة بأسـرها تحت ستار المشاركة في مجابهة "التوسع السوفياتي" المزعوم -كما أسلفت- وتحويل الكيان الصهيوني إلى قاعـدة عسـكرية أمريكيـة ونقطة تمركز أساسية لقوات التدخل السريع ومسـتودع احتيـاطي ضخم للأسلحة الأمريكية في الشرق الأوسـط أي أن هـذا التعـاون لايستهدف فقط اطالة امد حالة اللاسـلم واللاحـرب فـي المنطقـة باعتبارها الركيزة الأساسية لسياسة الحرب الباردة وتكريس الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية المحتلة وتسريع الهجـوم ضـد قـوى الصمود والتصدي وحركة التحرر الوطني العربية وضرب أي خطوة على طريق الوحدة والتقدم الاجتماعي والاقتصادي وكـذلك تشـديد

وتوسيع هجوم سياسة كامب ديفيد على المنطقة العربيـة بأسـرها واطلاق العنان للنزعات التوسعية والعربدات العدوانيـة الصـهيونية بدعم مكشوف ومباشر من الامبرياليـة الامريكيـة أي أن التعـاون الاستراتيجي الامريكي والاسرائيلي يعني تعديلاً أساسياً وخطيراً على المعادلة السياسية في الشرق الأوسط.

وعلى هذا الأساس وضمن هذا النطاق يمكن رصـد الاتجاهـات الأساسية للاستراتيجية الاسرائيلية في نهاية القرن العشرين والتـي ستكون استمراراً للقواعد الرئيسية في الاسـتراتيجية الاسـرائيلية، ويروج بعض المنظرين الصـهاينة أن جـوهر الصـراع العربـي-الاسرائيلي هو رفض البلدان العربية الاعتراف باسرائيل وحقها فـي الحياة والوجود واظهار الكيان الصهيوني وكأنه مهدد أمنياً وتحـت هذا الادعاء يحاولون تمرير مخططاتهم العدوانية التوسعية.

والاستراتيجية الاسرائيلية في نهاية هذا القرن[٥٧] مبنية علـى أساس أنه لن تكون في الامكان خلال المرحلة القادمة ايجـاد حـل للصراع العربـي - الاسـرائيلي وأن تحقيـق "السـلام" بـالمفهوم الاسرائيلي (الصهيوني) الذي يعني حسب كتابات وأفكار قادة منظّري الكيان الصهيوني "التحقيق الكامل والمطلق للصهيونية"، أي فـرض السيطرة الصهيونية على المنطقة التي تعتبرها اسرائيل مجالاً لأمنها -الحيوي- أمر غير محتمل في نهاية هذا القرن، ويروج المنظرون والمخططون الاستراتيجيون الصهاينة ان الفترة الحالية التي بـدأت في أعقاب استسلام النظام المصري وخروجه من حلبـة المواجهـة العربية وانتقاله إلى خندق حلف كامب ديفيد هي مرحلة انتقالية مما يسمونه عصر الرفض المطلق لاسرائيل من قبل الدولة العربية إلـى عصر السلام بالمفهوم الأمريكي والصهيوني وهم يتوقعون أن تكون هذه الفترة طويلة كثيرة المراحل وقد تكون مشحونة بالمخاطر التي تتمثل في نظر القادة الصـهيونيين فـي عمليـة التغيـر الثـوري المتصاعدة في المنطقة العربية والتي يتحسبون من أن يجتاح نظـام

الخيانة والاستسلام المصري مايسـمونه بالأنظمـة المعتدلـة فـي المنطقة، وكذلك في ميل موازين القوى المطّرد على الصعيد العالمي لغير صالح الامبريالية التي تترنح تحت وطأة تناقضاتها المتفاقمـة وأزمتها العامة.

ويخلص الخبراء والمنظرين الصهاينة للإسـتنتاج بـأن عـدم الاستقرار هذا والتقدير السائد حول امكانية استمرار النزاع العربـي - الاسرائيلي يفرض على اسرائيل بذل كافة الجهود لدفع المسـيرة السياسية للأمام. يقول الكاتب الصهيوني "حجاي ايشد" أنه بعد حرب تشرين التحريرية تكونت استراتيجية اسرائيلية يسميها اسـتراتيجية المرحلة الانتقالية الطويلة الكثيرة المراحل من حالة الحرب إلى حالة "السلام" وأن هذه الاستراتيجية تعتمد على ثلاثة افتراضات لازالـت تملك مقومات الاستمرار حتى الآن وهي:

١- الخلافات والنزاعات الداخلية والحروب في الوطن العربـي مما يؤدي إلى تزعزع أسس أي سلام في المنطقة مع اسرائيل.

٢- املاءات النفط العربية قوية وقطعية لدرجة أن أي انسحاب اسرائيلي لايمكن أن يقلل من حجم التوقعات الفسـطينية والعربيـة لاستمرارية العمل لاضعاف اسرائيل.

٣- ميزان القوى العالمي في المنطقة يميـل لصـالح الاتحـاد السوفييتي وهذا مايؤثر على اسرائيل مستقبلاً، وفي تقريـر طـرح على المؤتمر الدولي الذي نظمه مركز الدراسات الاستراتيجية فـي جامعة تل أبيب قال" آرييل شارون" وزير الحرب الصهيوني" تعـود أهم مشاكلنا الأمنية في الثمانينات إلى مخاطر خارجية تتعرض لهـا اسرائيل وهي تأتي من مصدرين هما المواجهة العربية - التوسـع السوفياتي الذي يزود هذه المواجهة بالأدوات السياسية والعسكرية".

وعلى هذا يجب توسـيع المصـلحة الاسـتراتيجية والأمنيـة الاسرائيلية بشكل يتجاوز الدول العربية كأن يشمل تركيـا وايـران والباكستان ومناطق الخليج وافريقيا.

وبموجب هذه الاستراتيجية تضع أوساط المؤسسة الصـهيونية ماتسميه صمامات الأمن الاسرائيلي والخطوط الحمراء والذي يعتبر تجاوز أي منها من جانب الدول العربيـة ذريعـة للقيـام بعـدوان اسرائيلي جديد تحت حجة الحرب الوقائية وهي:

١- المحافظة على الوضع الراهن في البلدان العربية المحيطـة بالكيان الصهيوني.

٢- منع نشاط المقاومة الفلسطينية في لبنان.

٣- الحفاظ على تجريد سيناء من السلاح.

٤- منع دول المواجهة من الحصول على سلاح نووي.

وكذلك فقد حددت الاستراتيجية الصهيونية صمامات الأمن على جميع الجبهات الشرقية- الشمالية- المصرية) على ضوء الخطـوط الحمراء، ففيما يتعلّق بالجبهة الشمالية إرباك سورية وشل فعاليتهـا وتنفيذ الاستراتيجية المرحلية للصهاينة في النهاية من تقييد لحريـة منظمة التحرير الفلسطينية ومنع اقامة بنية تحتيـة هجوميـة ضـد اسرائيل في لبنان واخلاء منطقة جنوب لبنان من الفدائيين والجيش اللبناني، أما فيما يتعلق بباقي الجبهات فيقتضـي المحافظـة علـى اتفاقية الكامب ماأمكن وشل امكانية الجبهة الشرقية وتطويقها.

ويعتقد بعض القادة الصهاينة ان المعركة مع سـورية قادمـة لامحالة ومن الأفضل خوض هذه المعركة قبل ان تسـتكمل سـورية استعداداتها وخطواتها لتحقيق التوازن الاستراتيجي معها. ومع ذلك يبدو أن التحالف الأمريكي- الصهيوني سوف يتردد وسوف يضـطر لأن يحسب ألف حساب قبل الاقدام على مغامرة عدوانية جديدة على الجبهة السورية - الفلسطينية - اللبنانية لأن فشل هـذه المغـامرة سوف تكون باهظة التكاليف.

إن الأمر المرجح هو أن التحالف الأمريكي- الصهيوني سـوف يواصل سياسة دبلوماسية التلويح بالعدوان الاسرائيلي في المرحلـة القادمة وعليهم التمسك بالمفاهيم الاستراتيجية التي تعتبـر أساسـاً

للعقيدة الأمنية التقليدية وهي الحفاظ على اسرائيل قوية ومتفوقة وخاصة من الناحية التكنولوجية والتمتع بقوة ردع قوية من خلال المحافظة على التفوق العسكري في مجال الأسلحة التقليدية وغير التقليدية مثل تبني استراتيجية ردع ذري سافر واحتكار السلاح النووي في المنطقة بعد قصف المفاعل النووي في العراق".

وهكذا نجد أن الاستراتيجية الاسرائيلية في نهاية القرن العشرين[٥٩] تميط اللثام بشكل فاضح ومكشوف عن مخططاتها تجاه المنطقة العربية بحيث تترسخ الحقيقة التي أكدتها تطورات الأحداث في المنطقة وهي أنه لامحالة للتسوية في الصراع العربي - الاسرائيلي وأن الخيار الوحيد لحل هذا الصراع حلاً ثورياً صحيحاً لمصلحة الجماهير العربية ومستقبلها هو مواصلة النضال وتصعيده حتى يتم اسقاط كافة مخططات التحالف الصهيوني الأمريكي والحاق الهزيمة النهائية بالمعتدين الصهاينة وعلى رأسهم الامبريالية الأمريكية.

وقد أكدت الأحداث التي جاءت من خلال الحرب العراقية الايرانية والغزو الاسرائيلي للبنان وحرب الخليج صحة المقولة السابقة وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتفتته والتفرد بالقوة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية ليس في منطقة الشرق الأوسط فحسب وإنما في العالم، هذه المجريات التي جاءت في نهاية القرن الحالي كشفت النقاب بشكل سافر عن استراتيجية أمريكا واسرائيل في المنطقة حيث صرحت الولايات المتحدة الأمريكية أن اسرائيل يجب أن تظل الأقوى في المنطقة وعليها أن تمتلك السلاح النووي وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تساعدها في امتلاكه، ولن تسمح لأي دولة مهما كانت في المنطقة بكاملها بامتلاك مثل هذا السلاح ولو استخدمت القوة العسكرية في منع تحقيق ذلك، باعتبار أن امتلاك اسرائيل لمثل هذا السلاح هو الضمانة الوحيدة لأمنها واستقرارها في المنطقة حيث من المفروض أن تمتلك التفوق

العسكري والذري على جميع الدول، وقد طرحت الولايات المتحـدة الأمريكية خطة السلام من وجهة نظر تحقق الأهداف المرسومة لها ولشريكتها اسرائيل وتفردت في هذا وإن كان هناك مشاركة للاتحاد السوفياتي وهيئة الأمم المتحدة فهي مما لاشك فيه مشـاركة غيـر فعالة بدليل السياسة التي تحاول أن تفرضها على المنطقـة حاليـاً ليكون السلام يعني الاستسلام للدول العربية وخاصة دول المواجهة، وقد أقامت العديد من الاتفاقات والتطبيع في المنطقة مع الكثير مـن الدول العربية، لأن اسرائيل في هذه المرحلة بالذات ليس أمامهـا إلا أحد الخيارين اللذين لاخروج عنهما في الوقت الحاضر وحتـى فـي بداية القرن الواحد والعشرن، فهي إما ستسـتمر بالاعتمـاد علـى المساعدات الأمريكية والألمانية وبعض المسـاعدات الأخـرى مـن بعض الدول الأوربية وهذا سيشكل خطراً عليها في المستقبل لأن أي تغير في السياسات الدولية مستقبلاً يعني نهايتها حتماً، أما الخيـار الثاني فهو الاستمرار فـي التوسـع الاسـتيطاني داخـل فلسـطين والأراضي المحتلة في اقامـة المسـتعمرات الصـهيونية، وكـذلك بالتوسع الاقتصادي في المنطقة من خلال السـلام والتطبيـع الـذي يحقق لها مثل هذه الغاية التي تسعى إليها باستمرار وتعتبرها مـن صلب سياستها واستراتيجيتها المستقبلية وهذا الخيار -كما أسلفت- يحقق لها الغاية التي تنشدها في المرحلـة المقبلـة، لأن توسـعها الاقتصادي يعني استمراريتها وهذا يحتاج إلى الدعم الأمريكي والقوة العسكرية التي يجب أن تتحقق في ذاتها.

وعليه نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل ترفض أي تدخّل في منطقة الشرق الأوسط وتعتبر نفسها هي الوصية الوحيـدة عليه ضماناً لحماية مصالحها في الخليج والمنطقة بكاملها حتى أنها تتقاضى حالياً من الدول الأوربية وغير الأوربية أموالاً طائلة تحـت اسم حماية مصالح هذه الدول في المنطقة وخاصة البترول (أقصـد الدول التي لها مصالح في الخليج).

إن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت وبكل صراحة أنهـا لـن تسمح لأي كان بالتدخل في المنطقة وأنها ستحقق السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط، وقد برز ذلك بشكل جلي من خلال محاولـة الدول الأوربية وعلى رأسها فرنسا بالتدخل في الوساطة الدولية بين العرب واسرائيل في دفع قضية السلام بعد الركود والجمـود الـذي أصابها ولضعف الدور الروسي في هذه المرحلة لانشـغال روسـيا بقضاياها ومشاكلها الداخلية والخارجية وخاصة الحرب الشيشانية - الروسية والوضع الاقتصادي السيء الذي تمر به والخلافات الداخلية في سياستها الغير مستقرة.

لقد تفردت الولايات المتحدة بالقوة العسكرية في العالم وهي ضد التعددية القطبية حالياً لأن سياسة أو اسـتراتيجية القطـب الواحـد تجعلها المهيمنة على العالم وخاصة أن الاقتصاد هو المسيطر علـى السياسات العالمية في الوقت الحاضر فقد ارتبطت السياسة بالاقتصاد ارتباطاً وثيقاً في المرحلة الماضية، حتى أن الاستراتيجية الاقتصادية أصبحت هي بالدرجة الأولى الغاية المنشودة من قبـل جميـع دول العالم وحتى أن كافة الاستراتيجيات أصبحت في خدمتها وتعمل فـي منحاها.

وبرغم ماتوصلت إليه اسـرائيل مـن تحقيـق لاسـتراتيجيتها المرسومة في المنطقة حالياً إلا أنها لازالت قلقـة علـى مصـيرها وتوسعها الاقتصادي في منطقتنا بسبب تصميم سوريا في أن لابديل عن الأرض مقابل السلام وأنها لن تتخلى عـن شـبر واحـد مـن الأراضي المحتلة، وأمام هذا الصمود والتصدي الذي تعتمده سـوريا بقيادة رئيسها القائد حافظ الأسد في عدم التفريط كـذلك بـالحقوق المغتصبة للشعب العربي الفلسطيني برغم الحكم الذاتي الذي توصلت إليه اسرائيل مع منظمة التحرير الفلسطينية مؤخراً، فإن القائد حافظ الأسد في استراتيجيته وفكـره ونظرتـه البعيـدة المـدى والرؤيـا المستقبلية التي يملكها والجرأة على اتخـاذ القـرارات الصـحيحة

والصمود والتصدي للمخططات الصهيونية - الأمريكية في المنطقـة سيظل الشوكة في حلق مخططاتهم الاسـتعمارية والتوسـعية ولـن يسمح لهم بالهيمنة على المنطقة مهما كلفه ذلـك مـن تضـحيات وخاصة وإن الشعب العربي من المحيط إلى الخليج يقف خلفه ولـن يساوم على شبر واحد من الأراضي المحتلة مهما كان الثمن.

وعليه نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل بدأت فـي اتباع سياسات جديدة تطويقية ومناورات مكشوفة بتضييق الـدائرة على سوريا لزعزعة صمودها من خلال الاتفاقات الثنائية والثلاثيـة مع تركيا والمناورات المشتركة التي تنفذ في المنطقة بعـد وصـول عملية السلام إلى طريق شبه مسدود بسـبب التعنّـت الاسـرائيلي والغرور الذي أصابها بعد اندحار الاتحاد السوفياتي والوضع الـذي آلت إليه الدول العربية في المنطقة نتيجة اقامـة اتفاقيـات سـلام وتطبيع مع بعض الدول العربية التي أضعفت التضامن العربي فـي هذه المرحلة بقصد تطويق سوريا وجعلها منعزلة عن باقي الـدول العربية وهو أمر لايمكن تحقيقه لأن الأمة العربية من المحيط إلـى الخليج والشعب العربي فيها يقف إلـى جانـب السياسـة السـليمة والقومية لسوريا في وقوفها في وجـه المخططـات الأمريكيـة - الاسرائيلية ويقف القطر اللبناني الشقيق إلى جانبنا في هذه المرحلة ويرفض أي مباحثات منفردة مع اسرائيل، وكـذلك موقـف القيـادة السياسية المصرية والمملكة العربية السـعودية ودول اخـرى فـي المنطقة بالإضافة إلى الدور الأوربي وعلى رأسـه فرنسـا وكـذلك وقوف العديد من الدول في العالم مثل الصين واليابان وغيرها إلـى جانب قضيتنا لأنها قضية الحق والحرية.

وأخيراً فإن الاستراتيجية الأمريكية - الاسرائيلية مهما تعاونت وتضافرت فهي لن تتمكن من فرض إرادتها على الأمة العربية بدون السلام العادل واعادة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، ولا بد من استمرار الدول الكبرى في العالم في التنسـيق والتعـاون

فيما بينها لإيجاد التعددية القطبية لأنـه الطريـق الوحيـد لتحقيـق التوازن الاستراتيجي وبغير ذلك ستبقى مصالح العالم بأسره مهـددة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي ستفرض هيمنتها الاقتصادية لاعلى منطقتنا فحسب، وإنما على العالم بأسره.

وعليه فإن استراتيجية اسرائيل[٥٨] إذا لم تتبـدل وتتغيـر فـي المستقبل فستظل المنطقة تقـف علـى كـف عفريـت لأن أطمـاع الصهيونية ليس لها نهاية، طالما هي قائمة أساساً على الاسـتعمار والسيطرة السياسية الاقتصادية والتوسع الاستيطاني والاقتصادي في المنطقة وبغير ذلك لايمكنها الاستمرار، أما فيما يخص الاستراتيجية الصهيونية العامة في اقامة دولتها اليهودية في فلسطين منذ بدايـة مؤتمرها الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م والذي عقد بزعامة هرتزل، وكيف اتُفق على إقامة وطن يهودي في فلسـطين العربيـة مـروراً بالحرب العالمية الأولى والثانية والهجرة اليهوديـة إلـى فلسـطين وتعاون اليهود في بعض الدول الاستعمارية بعد فشلهم في الضـغط على السلطات العثمانية وقتئذٍ مروراً باستراتيجية اسرائيل العسكرية والسياسية حتى عام ١٩٤٨[٦٠] مروراً بحرب ١٩٤٨ التي مكّنـت اسرائيل من تحقيق أهدافها المرسومة وسياستها في فلسطين وكذلك ماجرى في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ واتباع اسـرائيل سياسة هجومية واستراتيجية اسرائيل قبل حـرب حزيـران ١٩٦٧ وخلال الحرب واحتلالها أراضي جديدة بعد تحقيـق النصـر علـى الجيوش العربية على طول الجبهات الثلاث وهذه الأراضـي تعـادل ماكانت تحتله قبل الحرب بثلاثة أمثال، معتمدة على الدعم الأمريكـي الامبريالي، وكذلك ماقبل حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ وخلال الحرب برغم المفاجأة التي حققها العرب فقد تمكنت اسرائيل بهجوم مضاد جوي وبري بعد ان كادت تفقد السيطرة على نفسها وتصـاب بالهستريا المرعبة، تمكنت كما قلت من تنفيذ استراتيجيتها بهـدوء معتمدة على الجسر الجوي الأمريكي وعلى دعم الامبريالية المـادي

والمعنوي وكذلك على قواتها المدربة تدريباً جيداً بحيث تمكنت من تحقيق الخرق في الدفرسوار على الجبهة المصرية، وتوسيعه حتى شمل تطويق القوات المصرية، وكذلك صعدت الهجوم على القوات السورية وتمكنت من اعادة الوضع إلى ماكان عليه قبل الحرب وهددت بعض المحاور في عمق الأراضي السورية، - كل ماذكرته آنفاً- جاء في كتابي "تاريخ الحرب والاستراتيجية وملامحها العربية" وبشكل مفصل يمكن العودة إليه عند الحاجة أو الضرورة في الباب الثاني "مراحل الغزو الصهيوني لفلسطين" وكذلك في الباب الثالث "الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ".

الفصل السادس

استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط والعالم حتى نهاية القرن العشرين

أولاً - المقدمـــة :

الاستراتيجية هي برمجة مدروسة وتنبؤ نظري للمستقبل يضعه القادة السياسيين بمعرفة الخبراء والمفكـرين والعلمـاء أصـحاب الاختصاص يستند إلى المخططات والأهداف المنشـودة مـن خـلال أرضية (سياسية - عسكرية - اقتصادية ..)، الغاية منها الوصـول إلى الأهداف التي تخدم إرادة الجهة صاحبة العلاقة وهي غير ثابتـة ".

واستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية فـي منطقـة الشـرق الأوسط والعالم حتى نهاية القرن العشرين تشمل عدة مراحل:

- مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية وحتـى اتفاقيـة كامـب ديفيد: وتشمل استراتيجيتها منذ الحرب العالمية الثانية وحتى اتفاقية كامب ديفيد، برزت بظهور عملاقين نتيجة الحرب العالميـة الثانيـة هما الولايات المتحدة الأمريكية - والاتحـاد السـوفياتي وتحقيـق السيطرة الأمريكية على الدول الأوربية التي خرجت منهمكـة مـن الحرب على عكس الولايات المتحدة الأمريكية التي خرجـت قويـة اقتصادياً وعسكرياً.

تحدثت من خلال المرحلة على تطور الاستراتيجية الأمريكية[٦١] من قبل وفي هذه المرحلة وعن الاستراتيجية بشكل عام والتسـابق النووي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي.

وتم شرح التطورات منذ عام ١٩١٩ حيث بدأت تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية في القضية الفلسطينية والمنطقة العربية مروراً بحرب ١٩٥٦ (حملة السويس)، وحتى حرب حزيران ١٩٦٧، ومنها إلى حرب تشرين ١٩٧٣، والدور الأمريكي في المنطقة بعد الحرب وحتى عام ١٩٧٧ حيث اتفاقية الكامب.

- ثم جاءت مرحلة مابعد اتفاقية كامب ديفيد التي وقعت عام ١٩٧٩ وما بعدها مروراً بالمبادرات الأمريكية لاحلال السلام في المنطقة والوصول إلى اتفاقات سلمية من خلال مؤتمر جنيف ١٩٨٣ وكذلك عام ١٩٨٧ لإقامة مؤتمر دولي للسلام، ودورها في مبادرة السلام بين اسرائيل والفلسطينيين وبين اسرائيل وبعض الدول العربية الأخرى (سوريا- الأردن - لبنان). ودورها في مبادرة السلام التي طرحتها عام ١٩٩١ التي انعقدت في مدريد، وحتى الاعتراف المتبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير عام ١٩٩٣ وطرح قضايا التطبيع في المنطقة.

وأخيراً استراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط والعالم حتى نهاية القرن العشرين على لسان قادتها السياسيين بعد التفرد بالقوة العسكرية في العالم بعد تفتت الاتحاد السوفياتي مروراً بحرب الخليج ونتائجها والغزو الاسرائيلي للبنان في المنطقة وآفاق استراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط والعالم وحتى نهاية القرن العشرين (من وجهة نظرها فقط).

استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية[٦٢]:

خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الأولى والثانية بالقوات والعتاد بأقل خسائر ولم تتعرض لأهوال الحرب وكوارثها مقارنة بأغلب الدول الأوربية التي تكبدت خسائر فادحة في الحربين العالميتين وعليه فقد حققت الولايات المتحدة الأمريكية

سيطرتها الاقتصادية والمالية على دول أوربا الغربية واحتلت معظم أسواقها العالمية.

بعد الحرب العالمية الثانيـة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ بـرز عملاقـين عالميين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي ودفعـت عجلة الانتاج والتقدم الاقتصاديين وزادت من سرعة البحث العلمـي (ذرة - فضاء) وقد استغلت الولايات المتحـدة الأمريكيـة خـروج الحلفاء من الحرب وهم بحاجة للسـلاح والمسـاعدات الاقتصـادية والمالية فحققت سيطرتها على دول أوربا الغربية - كما ذكرت -.

ولقد تطورت العلاقة مابين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي وتوترت حتى أصبحت قريبـة مـن المجابهـة الذريـة، وأصبحت مشاكل الحرب والسلام تحتل المكـان الأول مـن اهتمـام العالم.

وعليه فإن الاتحاد السوفياتي يحاول الخروج من هذا الموقـف عن طريق التحليل الماركسي في نظرية الحرب الشاملة ذات الطـابع الاجتماعي والتي قد لاتستطيع الصمود أمام التقدم التقني بينما يندفع الأمريكيون تحت لواء كلاوزفيتز بكل حمية وحماس في حل سلسـلة من المشكلات التقنية بدوافع تكتيكية ومع تطور الأسـلحة الحديثـة تبدو الحاجة أكثر لبعث الاستراتيجية من جديد.

وتتبع الاستراتيجية الأمريكية أسلوب الـردع المتـدرج "الـرد المرن" وهذا يعني بوساطة ردود متحولة أي عدم توسـيع النـزاع وتحديده من الرد على الخصم بنفس نوعية قواته فإذا لـم يرتـدع يمكن وقتها استخدام أسلحة أكبر، وقد وضع هذه النظرية الجنـرال "مكسويل تايلر" رئيس هيئة أركان حرب القوات الأمريكية مفصـلاً، كما تبناها الرئيس كيندي وشرحها ليدل هارت في كتابه "الـدفاع أم الهجوم الرادع"، وكذلك وضع ماهان وهو ضـابط بحـري امريكـي نظريته المشهورة المبنية على امكانية الحصول على نتيجة حاسـمة

بفضل السيطرة البحرية، وكذلك "ماكينـدر" وهـو جغرافـي يـؤمن بالتفوق الغربي لتحقيق السيطرة العالمية.

أما من حيث نوعية الاستراتيجية، فيمكن أن نعتبرهـا مباشـرة وغير مباشرة، أما المباشرة فتعتمد في جوهرها على فكرة البحـث عن النتيجة الحاسمة، أو الردع باستخدام قوة عسكرية، وهي نابعـة من استخدام كلاوز فيتز وهذا ماكان مصدر الهام القادة العسـكريين في الحربين العالميتين.

أما الاستراتيجية الغير المباشرة فهي تبحث عن الحل بوسـائل غيرمباشرة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية تتخللهـا المفاوضـات وهي معقدة ومبهمة ودورها يكون في الحرب الباردة وقد برز بعـد ظهور الأسلحة النووية حديثاً، وتتبدل هذه الاستراتيجية في درجـة تنوعها حسب الامكانات في كل زمان ومكان طبقاً لتطـور الأسـلحة الحديثة، ومن هنا فإنه من الضروري متابعة الاستعلام والدراسـات والتوقع لمتابعة الأحداث وتوجيه المناورات حسب تطور القوى فـي الوضع الراهن.

وننتقل بدورنا إلى الاستراتيجية العسكرية التقليدية (المتطـورة) فقد كانت الحرب العسكرية التقليدية كما نعلم دائماً جزءاً من الحرب الشاملة وكانت هناك عوامل اقتصادية ومالية وسياسـية وتقليديـة "حياد - تحالف" وسياسية ذو صفة "ايديولوجية ".

لقد كان دور الجيوش متنوعاً وهاماً ولكنه لم يكن حاسماً إلا في بعض المراحل، ويتعلق ذلك بالقادة والامكانات العسكرية وقواتهـا، واضطرت الاستراتيجية الشاملة في كل عصر إلى استخدام الوسـائل الاقتصادية والدبلوماسية والسياسية والعسكرية ولهـذا لـم تلعـب القوات المسلحة الدور الأكبر إلا عندما تكون قادرة على الوصول إلى نتائج حاسمة.

ولقد تنوعت القدرات للقوات المسلحة على الحسم مـن خـلال التاريخ حسب الامكانات التعبوية التي تعتمد على التسليح والجاهزية

وأساليب الحرب والتموين لدى الطرفين ولكن هـذا نـادراً ماكـان يحسب كما يجب وكان التطور غالباً مايفاجئ الخصمين فـي أكثـر الأحيان فيخل التوازن ويحسم المعركة سواء أكـان هـذا التطـور بالأفكار أو الخطط أو بالأسلحة الجديدة، ويعود التوازن من جديد مع الزمن بعد أن يتعلم العدو ماكان يجهله مـن قبـل وهكـذا تنوعـت الحروب بين "قصيرة حاسمة" و "طويلة منهكة" و "عقيمة غير قادرة على الوصول إلى نتيجة هامة".

واستمرت القوانين التي كانوا يعتمدون عليها في التغير فجـأة وحلول قوانين جديدة محلّها وحتى الجديدة لم تكن بـالواقع سـوى قوانين مؤقتة وإن معرفة هذه الحقيقة تؤدي إلى فهم مراحل تطـور الصفة الحاسمة للقوات المسلحة باعتبـاره مفتـاح "الاسـتراتيجية العسكرية الرئيسة". كما برزت الاستراتيجية الذرية وأحدثت آثارهـا انقلابات هامة في مفهوم استخدام القوى للحرب أو للحفـاظ علـى السلام حيث أن مفعول قنبلة ذرية واحدة يعادل صلية ملايين المـدافع وكذلك حال القنابل الذرية (الحرارية الهيدروجينيـة) حيـث يعـادل مفعول قنبلة واحدة منها صلية مئات الملايين من المدافع، وكذلك من حيث مدى الصواريخ حاملة الرؤوس النووية إذ يبلغ مدى الـبعض منها نصف محيط الكرة الأرضية وهذا يعتبر بدوره ثورة في عـالم الحرب.

ومع ذلك فإن حصول أكثر من دولة على الأسلحة النووية يؤدي بدوره إلى التوازن الذري الذي يؤدي إلى العدم الـذري لأن خـوف الخصمين من ارتكاب حماقة تؤدي إلى الانتحار المتبادل مما يجعـل وجود السلاح الذري كعدمه، ولكن الخوف والخطورة تكمن في فقدان هذا التوازن بين الكتل والمعسكرات سيؤدي حتماً إلى اندلاع حـرب ذرية يشنها المتفوق لإبادة خصمه وهذا مالم يحصل في يـوم مـن الأيام من خلال مراحل سباق التسلح بين الـدول الكبـرى وخاصـة الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية مما يبقـي اسـتخدام

هذه الأسلحة بعيدة المنال والاحتمال ويقلل من خطورتهـا، إلا فـي حالة الجنون السياسي، ومع ذلك فإن تطور الاسـتراتيجية الذريـة يمكن اجماله بعدة مراحل: الأول منها اعتماد الاتحاد السوفياتي على قوات جوية - برية بفضـل اسـتراتيجيتها العملياتيـة العسـكرية والنووية تجعله قادراً على اجتياح أوربا، وعليه فقد جابهـت ذلـك أمريكا التي كانت لاتملك في تلك المرحلة سوى قـوة جويـة ذريـة باستراتيجية الردع وأن توجد بين اعادة بناء أوربا واعادة تسليحها التقليدي "منظمة حلف الأطلسي - خطة لشبونة" بهدف دفاعي مـع توفير قوة جوية ذرية هجومية تمهد بالانتقام الشامل.

أما المرحلة الثانية حيث رد الاتحـاد السـوفياتي علـى ذلـك باستراتيجية دفاعية للردع[٦٤] متعاونة مع هجوم مضاد في ميـدان الاستراتيجية غير المباشرة (كوريا - الهند الصـينية) وبعـد ذلـك تتمكن من الحصول على الأسلحة الذرية وتتمكن مـن تـأمين قـوة جوية - ذرية، ثم ازدادت قوة الردع بظهور الأسلحة الهيدروجينيـة لدى أمريكا.

حقق الأمريكان في المرحلة الثالثة تفوقاً في عام ١٩٥٤، على الاتحاد السوفياتي مما أوقف الاندفاع السـوفياتي، ولكـنهم لحقـوا بالأمريكان في مجال الردع بعد أن حصلوا على القنبلة الهيدروجينية أيضاً. واستطاع الاتحاد السوفياتي في المرحلة الرابعـة أن يحقـق تفوقاً من جديد على الولايات المتحدة الأمريكية في برنامج القـذائف الصاروخية العابرة للقارات والأقمـار الصـناعية وظهـرت بعـض التحديات لأمريكا كما كان في كوبا والكونغو. ولكن أمريكا في عهد كنيدي عام ١٩٦١ بعد أن تخلّت عن استراتيجية الانتقـام الشـامل" وحافظت علـى "اسـتراتيجية الـردع" باسـتبدالها "بالاسـتراتيجية المتدرجة"، أو "استراتيجية الردع المتدرج" وتهدف إلى التعاون فـي جميع الميادين مع الاتحاد السوفياتي والاجتهاد في حالة الفراغ إلـى "الرد المرن" ومن مجال قوة الهجوم الذري إلى "قوة الضرب" التـي

أضحت دفاعية "درعاً" أكثر من كونها "سيفاً" قـوة هجوميـة وقـد ظهرت مؤخراً الاستعدادات لمرحلة خامسة في مجال الفضاء من قبل الاتحاد السوفياتي استناداً لسياستهم التفوقية، ومما يجدر ذكره إلـى أن الاستراتيجية، في الفترة الأخيرة أصبحت سريعة التبدل إلى الحد من الأسلحة، لأن السلام لايمكن أن يتوفر إلى الأبد بمثل هذا التسابق.

وكذلك من حيث الاستراتيجية غير المباشرة فقـد طـور ليـدل هارت نظرية "التقرب غير المباشر" وتتضمن هذه الاستراتيجية "عدم اخذ الثور من قرنيه" أي عدم مجابهة العدو في اختبار مباشر للقـوة وهي بمعناها المبسط تلك التي تنتظر حلول الحسـم بوسـائط غيـر وسائل الانتصار العسكري، وقد ثبت أن حرية العمل مع كل ذلك فقد بقيت كما أثبتتها النزعات المحدودة المتعددة التي حدثت بعـد عـام ١٩٥٠ (كوريا - الهند الصينية - شـمال افريقيـا - اسـرائيل - السويس - الكونغو - كوبا - برلين ...الخ" فكلما ضـاقت حريـة العمل أصبح استثمارها هاماً ودقيقاً، ثبت أنهـا أكبـر مـن نتـائج الحروب الكبرى كما رأينا في حرمان الغرب من الصين، ومن جنوب شرقي آسيا واضطراب الشرق الأوسط، وثـارت افريقيـا وانتشـر التذمر في أمريكا الوسطى والجنوبية، وهذا كله ليس نتيجة التطـور التاريخي فحسب وإنما نتيجة الاستخدام البارع لمناورات محسـوبة أسميناها الاستراتيجية الغير المباشرة، وهذا ماسمي "بالعدم الذري".

وهكذا تتطور الاستراتيجية الأمريكية يوماً بعـد يـوم لخدمـة مصالحها الحيوية في العالم، إذا أردنا تعريف الاستراتيجية العسكرية بشكل عام يمكننا القول "هو الوصول إلى الأهـداف التـي تحـددها السياسة سواء أكانت هجومية أو دفاعية أو مجتمعة بكافـة أنـواع الأسلحة (التقليدية - الذرية...الخ) لإكراه الخصم للخضـوع لإرادة الجهة المحددة في حوار الإرادات.".

وهناك استراتيجية مباشرة وغير مباشرة كما أسلفت، ومن حيث علاقتها بالسياسة فيمكن اعتبارها وسيلة من وسائل الحرب، ومـن

حيث علاقتها بالاقتصاد فهي ترابط الاقتصاد بالسياسة ، ولها علاقة بالأرض، والوضع الدولي كونها مرتبطة بتوازن القـوى للأحـلاف المؤيدة والمعارضة وقد تطـورت فـي الآونـة الأخيـرة لتشـمل اسـتراتيجية التسـلح واسـتراتيجية الحـرب المحـدودة وكـذلك الاستراتيجية الذرية والاستراتيجية العليا... الخ.

والسياسة بشكل عام هي التي توجه الاستراتيجية وهي واحـدة في كل أمة، أما التخطيط لها فيعتمد على دراسات ترتبط بالسياسـة البعيدة المدى والتنبؤات المستقبلية التي تحول النظريات إلى واقـع تطبيقي يشارك فيها عادة خبراء ومفكرين وعلماء مختصين، وهـي أيضاً غير ثابتة ومتغيرة ويمكن أن تتطور وتتبدل حسـب المواقـف الطارئة والتغيرات العالمية والمستجدات وعلى الدولة أو الأمة التي تضع استراتيجية لها أن تضع باعتبارهـا المتبـدلات والمتغيـرات الدولية والقدرة على مواكبتها مع المحافظة على خطها الاستراتيجي المرسوم، ومن الصعب وضع استراتيجيات للأمم والـدول الضـعيفة التي تكثر فيها التبدلات والتغيرات ولا تستطيع إلا التأثر بهـا نظـراً لاعتبارها خاضعة لقوى أكبر مسيطرة عليهـا ولـو بشـكل نسـبي سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً... الـخ. وسـننتقل بحـديثنا إلـى المستجدات على أرض الواقع وما طرأ على منطقتنا من بداية القرن العشرين ونبدأ بمحور السلام في المنطقة ودور الولايـات المتحـدة الأمريكية.

- موقف الولايات المتحدة الأمريكية قبل اتفاقية كامب ديفيد[٦٥]:

بعد اعلان وعد بلفور ١٩١٧، ومنذ عام ١٩١٩ بدأت الولايات المتحدة تتدخل في الشؤون الفلسطينية عندما طلب الرئيس ويلسون من الحلفاء المجتمعين في مؤتمر السلام في فرساي ارسـال لجنـة تحقيق (كينغ - كراى) التي اقترحت تغييراً للمشـروع الصـهيوني لصالح الشعب الفلسطيني ثم في الأربعينيات حيث شـجعت الهجـرة اليهودية إلى فلسطين.

أما موقف الولايات المتحدة داخل لجنة المصالحة المكلفة من قبل الأمم المتحدة، فيظهر واضحاً ضمن رسالة سلمها السفير جيمس ماكدونالد في ١٩٤٩/٥/٢٩ إلى الحكومة الاسرائيلية يعرب فيها الرئيس ترومان عن أسفه للموقف الاسرائيلي المتصلب في لوزان، واصفاً الرفض الاسرائيلي لكل تسوية اقليمية ولكل حل لقضية اللاجئين على أساس القرارين ١٨١ و ١٩٤ بأنه تصرف يهدد السلام في الشرق الأوسط، لكن ترومان لم يتخذ اجراءات ملموسة لاجبار الاسرائيليين على احترام هذين القرارين.

الرئيس ايزنهاور كان أول من مارس ضغوطاً على اسرائيل، وعقب الاعتداء الفرنسي - الانكليزي - الاسرائيلي على مصر عبدالناصر عام ١٩٥٦ (حملة السويس) طالب الرئيس الأمريكي من اسرائيل، في خطاب عبر التلفزيون في ١٩٥٧/٢/٢٠، الانسحاب من الأراضي المحتلة- سيناء وقطاع غزة- تحت طائلة العقوبة. وقد شدد ايزنهاور في هذا الخطاب الرنان على دور الولايات المتحدة الأمريكية في تثبيت العدالة المستندة على احترام القانون الدولي، معتبراً أن "السلام والعدالة" هما وجهان لعملة واحدة، ومن جهة أخرى أكّد على التزامه بايجاد حلول لمشاكل المنطقة منسجمة مع العدالة والقانون الدولي.

نتيجة أزمة السويس خلقت عداء بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، وظهر منعطف السياسة الأمريكية حيال النزاع الاسرائيلي- العربي بدأ أواسط الستينات في ظل إدارة الرئيس ليندون جونسون، الزعيم السابق للوبي اليهودي في الكونغرس، مع تقديم العون المالي والعسكري والتعاون الاستراتيجي وحقوق النقض الأمريكية في مجلس الأمن لصالح اسرائيل والتصويت الدائم لاسرائيل في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وباختصار أصبحت اسرائيل بشكل ما الولاية الأمريكية الحادية والخمسين، والقاعدة المتقدمة للولايات المتحدة ضد الاتحاد

السوفياتي حليف العرب هذه السياسة الأمريكية التـي بـدأت مـع جونسون استمرت وتعززت في ظل ادارة الرؤساء نيكسون وفـورد وكارتر لتصل إلى الذروة مع رونالد ريغان. منذ ذلك الحين، سـاهم انتهاء الحرب الباردة وانهيار الكتلة الشـرقية فـي تلطيـف هـذه السياسة وقادت سياسة بوش شيئاً فشيئاً إلى سياسة أكثـر توازنـاً مستلهمة ربما سياسة ايزنهاور.

في ظل هذا الوضع الجديد الذي رسمته تبعات حـرب الخلـيج، تقدمت أهمية الموقع الاستراتيجي لاسرائيل على ضـرورة الحفـاظ على المصالح النفطية في هذه المنطقة وتأسيس توازن سياسي يمر حتماً بحل عادل للقضية الفلسطينية.

ثم جاءت الفترة من ١٩٥٧ - ١٩٦٧ تميزت بغياب كل مبـادرة لحل النزاع الاسرائيلي- العربي باستثناء مبادرة الرئيس التونسـي الحبيب بورقيبة الذي نادى عام ١٩٦٥ بتقسيم فلسطين إلى دولتـين بموجب القرار الصادر عام ١٩٤٧، هذه المبادرة التي رفضت مـن جميع الأطراف، ولم يتدخل مجلس الأمن إلا بعد حرب ١٩٦٧ ليعتمد في ١٩٦٧/١١/٢٢ القرار ٢٤٢ الذي ينص على "انسحاب الجيوش الاسرائيلية من الأراضي المحتلة ".

في ١٩٦٩/١٢/٩ أعلن وزير الخارجية الأمريكي ويليم روجرز مشروع حل من طرفين:

الطرف الأول اسرائيلي- مصري يقوم على الانسحاب من سيناء وانشاء مناطق مجردة من السلاح وسلام حقيقي بين البلدين.

الطرف الثاني اسرائيلي - اردني يقوم علـى الانسـحاب مـن الضفة الغربية لتصبح منطقة مجردة من السلاح تماماً.

رفضت اسرائيل المشروع بسبب مـايتعلق بـالطرف الأردنـي ووافقت مصر عليها كأساس للمفاوضات وفي ١٩٧٠/٦/١٩ اقترح روجرز خطة ثانية لايقاف دوامة حرب الاستنزاف؛ وهي وقف اطلاق النار لثلاثة أشهر وقبول جميع الأطراف للقـرار ٢٤٢ واسـتئناف

مهمة جارينغ، وافق عليها جميع الأطراف، وقد استأنف جارينغ وساطته في ايلول ١٩٧٠ فرفض الفلسطينيون الخطة وكان السبب لفشل الخطة حدثان خطيران هما الحرب الأردنية - الفلسطينية (ايلول الأسود) ووفاة جمال عبدالناصر وكان المرحوم يؤثر الحل السياسي (خطة روجرز) على الحل العسكري. بعد هذا أصبحت اسرائيل ركن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.

جاءت بعدها مرحلة لاحرب ولا سلم حتى عام ١٩٧٣ (حرب تشرين) حيث تخلّى جارينغ عن مهمته (وساطته) عام ١٩٧٢ بعد فشل محاولاته، وكذلك فشلت الأمم المتحدة في تنفيذ القرار ٢٤٢ المتعلق بالانسحاب الاسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ كما فشلت سابقاً في تطبيق قرار التقسيم عام ١٩٤٧.

وقبل حرب تشرين عام ١٩٧٣[٦٦] برز كيسنجر المعادي لخطة روجرز وتسلّم ملف الشرق الأوسط ونادى بسياسة الجدار المسدود لتحييد الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط وارغام بلدان المشرق العربي على اللجوء إلى الولايات المتحدة الأمريكية لحل الوضع.

كما أن حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ وما أعقبها من صدمة نفطية ساعدت على حلحلة الوضع في الشرق الأوسط حيث اعتمد مجلس الأمن القرار ٣٣٨ وهو مشروع أمريكي- سوفياتي لوقف القتال وافقت عليه كل من سوريا ومصر واسرائيل، وتوجه كيسنجر إلى الشرق الأوسط لتحضير مؤتمر جنيف لهذا القرار.

افتتح المؤتمر في جنيف برعاية الولايات المتحدة الأمريكية - الاتحاد السوفياتي، وقد قاطعت سوريا الجلسة الأولى ولم يدع الفلسطينيون للمشاركة، وتمخّض عن قيام لجنة عسكرية تقنية للبحث في فك الاشتباك.

وبالفعل وقّع اتفاق بين مصر واسرائيل ١٩٧٤/١/١٨ لفك الاشتباك وتبعه اتفاق مشابه بين سوريا واسرائيل في ١٩٧٤/٥/٣١، وقد جرى توقيع الاتفاقين في جنيف.

وفي ايلول ١٩٧٥ وقّع اتفاق آخر لفك اشتباك مصري - اسرائيلي بعد أن تحصل اسرائيل من الأمريكيين على سلسلة تعهدات من مساعدات عسكرية واقتصادية ونفطية، ودعم دبلوماسي على أن يكون الاتفاق ثنائي فقط، وكان لمواقف الولايات المتحدة الأمريكية على ذلك تجميد عملية السلام التي بدأت في جنيف.

ظهرت الدلائل على تغير الموقف الأمريكي حيال الفلسطينيين مع السناتور فولبرايت وهو أول شخصية أمريكية رسمية تعترف بحق الفلسطينيين كشعب، ثم جاء وزير الخارجية سيسكو المسؤول عن شؤون الشرق الأوسط الذي كان اول مسؤول أميركي ينادي بالاعتراف بالكيان الفلسطيني. لكن يجب انتظار كارتر مهام الرئاسة لكي يعترف رئيس أمريكي لأول مرة بـ "الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني". قام كارتر بمبادرتين لحل النزاع الاسرائيلي- العربي الذي يتمحور حول السلم والحدود ومصير الفلسطينيين.

وفي تشرين الأول عام ١٩٧٧ أصدر الأمريكان والسوفيات وبناء على طلب كارتر نشرة مشتركة تدعو إلى حل شامل في اطار مؤتمر جنيف الذي عليه أن يستأنف أعماله في مدة أقصاها شهر كانون الأول، تطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وبحل القضية الفلسطينية بشكل يضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ويلتزم العملاقان بضمان الحدود الدولية التي ستحدد لاحقاً في اطار الحل الشامل، كما يدعوان للمرة الأولى المندوبين الفلسطينيين للمشاركة في مؤتمر جنيف.

رحب العرب والفلسطينيون بهذا التصريح بينما أخذ اللوبي اليهودي الأمريكي واسرائيل واليمين الأمريكي المحافظ المعادي للاتحاد السوفياتي، ممارسين جميعاً ضغطاً سياسياً على الرئيس كارتر، الذي رضخ لهذه الضغوط من خلال "وثيقة عمل" اسرائيلية - أميركية وعدل عن موقفه متخلياً بهذه الطريقة عن الالتزامات التي اتخذها.

في ١٩٧٧/١١/١٩ جاءت زيارة الرئيس السادات للقدس لتبدد الأمل الموضوع في هذا المؤتمر الذي لم يستأنف قط أعماله.

- مؤتمر كمب ديفيد : دعا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كارتر كل من مناحيم بيغن رئيس الحكومة الاسرائيلية والرئيس أنور السادات الرئيس المصري للمشاركة في مؤتمر قمة في مقره في كمب ديفيد من ٥- ١٩٧٨/٩/١٧، اعتمد المؤتمر المستند إلى القرار ٢٤٢ اتفاقات - أطر تطرح نفسها بمثابة حل شامل للنزاع الاسرائيلي - العربي.

في الواقع كان الأمر يتعلّق بمعاهدة سلام منفردة بين مصر واسرائيل، تسترجع مصر سيناء تدريجياً مقابل حصول اسرائيل على اعتراف مصر الدبلوماسي الكامل بها، ووقّعت المعاهدة في ١٩٧٩/٣/٢٦.

وبعدها عرضت اسرائيل تفسيرها لما يتعلق بالفلسطينيين من اتفاقية الكامب بأن السلطة العسكرية الاسرائيلية ستبقى مرجع السلطة الآيلة إلى المجلس الاداري وستبقى الأراضي الحكومية واحتياط المياه والأمن العام تحت اشراف اسرائيل، مع الاستمرار في سياسة الاستيطان.

رفضت مصر هذه المطالب الاسرائيلية وعرضت وجهة نظرها في أن الحكم الذاتي مرحلة انتقالية هدفها تأمين انتقال السلطة الفلسطينية كمرحلة أولى باتجاه الاستقلال والسيادة.

في ١٩٨٠/٧/٣٠ ألحقت اسرائيل القدس الشرقية بالدولة العبرية، فعلق السادات المحادثات بشأن الحكم الذاتي بعد عدة جولات من المحادثات وخلال عام ١٩٧٨- ١٩٨١- ١٩٨٢ وجهت اسرائيل عدة ضربات إلى الفلسطينيين وأجبرت الأخيرة كوادر ومقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية على مغادرة لبنان.

هذه النزاعات سمحت باظهار جوهر المسألة الحقيقي وهو قضية فلسطين، لأن محركيها هم الفلسطينيون حصراً، إذاً كان على مبادرات السلام المقبلة أن تتناول بشكل أساسي هذه القضية.

بعد فشل مؤتمر جنيف والاتفاقات الاسرائيلية - المصرية عاد التأزم السياسي والدبلوماسي إلى المنطقة مما فتح الطريق أمام مبادرة جديدة أوربية هذه المرة، وهي المجموعة الاقتصادية الأوربية، وبفضل الدور الناشط لفرنسا، اعتمدت المجموعة تصريحاً يطمح أن يكون قاعدة لحل سلمي في الشرق الأوسط، يتضمن الانسحاب الاسرائيلي توافقاً مع القرار ٢٤٢، وممارسة الشعب العربي الفلسطيني حقه في تقرير مصيره، واشراك منظمة التحرير الفلسطينية في كل حل سلمي، وايقاف حركة المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة لأنها غير شرعية وتشكل حاجزاً في طريق السلام.

وقد حاول الرئيس ميتران خلال زيارته لاسرائيل عام ١٩٨٢ القيام بوساطة على أساس شعبين ودولتين على أرض فلسطين، لكن الرئيس ميتران لم يتوصل إلى لغة مشتركة مع زعماء ليكود الذين اعتمدوا خطاباً مختلفاً عن خطاب العماليين، في أن الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية غير قابل للتفاوض - ليس فقط لأسباب تتعلق "بالأمن" كما هي الحال أيام العماليين- بل بسبب "الحقوق التاريخية" للشعب اليهودي.

وفي عام ١٩٨٣ تحت رعاية الأمم المتحدة عقد مؤتمر دولي في جنيف حول فلسطين واعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة التوصيات حول القرار (٥٨/٣٨س) ودعت الأمين العام للأمم المتحدة بعد استشارة مجلس الأمن، لإقامة مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط من أجل إيجاد حل للنزاع الاسرائيلي- الفلسطيني- العربي على أساس قرارات الأمم المتحدة في ١٩٨٥/١٢/١٢ حيث أعادت الجمعية العامة تأكيدها الدعوة لإقامة مؤتمر دولي عبر قرارها

٩٦/٤٠ ي ١٩٨٧/٢/٢٣ أكدت المجموعة الاقتصـادية الأوربيـة دعمها لإقامة المؤتمر الدولي بصفته الوسيلة الأنسب لحـل النـزاع الاسرائيلي- العربي، لكن الولايات المتحدة اعترضت على الـدعوة واعتبرتها سابقة لأوانها.

أعلن بيريز عام ١٩٨٧ خلال زيارته للقاهرة موافقته على فكرة المؤتمر الدولي كمظلة لمفاوضات مباشرة مع البلدان العربية.

في مطلع ١٩٨٢ كان قد أعلن الرئيس الأمريكي رونالد ريغـان عن خطة سلام تستدرك اتفاقات كمب ديفيد وتنص على الاعتـراف بالاستقلال الكامل للفلسطينيين في حل شؤونهم الخاصة لمدة خمـس سنوات، وايقاف حركة الاستيطان اليهودي على الضفة الغربية وغزة والحكم الذاتي لهذه الأراضي بمشاركة الأردن في نهاية فترة الخمس سنوات أي بعد اجراء مفاوضات تكرس مبدأ "الأرض مقابل السلام".

- عام ١٩٨٨ جاءت مبادرة السلام الفلسطينية التـي أسـفرت عن اعلان دولة فلسطين في الضفة الغربيـة وغـزة إلـى جانـب اسرائيل. والناجمة عن تغيـر فـي اسـتراتيجية منظمـة التحريـر الفلسطينية، شـكّلت انعطافـاً رئيسـياً فـي النـزاع الاسـرائيلي- الفلسطيني- العربي- آخذة في الاعتبار الوضع الجديد الذي خلّفتـه الانتفاضة.

اعتمدت منظمـة التحريـر سياسـة انفتاحيـة واقعيـة فـي ١٩٨٨/١٢/١٣ وعرض الرئيس الفلسطيني عرفات أمام الجمعيـة العمومية للأمم المتحدة في جنيف المبادرة الفلسـطينية فـي ثـلاث نقاط:

١- اجتماع اللجنة التمهيدية للمؤتمر الدولي استناداً إلـى مبـادرة غورباتشيف- ميتران في ١٩٨٦.

٢- وضع الأراضي المحتلة تحت وصاية الأمم المتحدة لفترة مؤقتة.

٣- حل شامل بين اسرائيل وفلسطين والبلدان العربية على أسـاس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

وفي نهاية الخطاب أمام الجمعية العمومية، وجه عرفات نـداء إلى الاسرائيليين وطلب من قادة اسرائيل المجيء إلى جنيف لتحقيق السلام بعيداً عن تهديدات الحروب الجديدة ودعاهم إلـى الحضـور لصنع السلام، سلام الشجعان، وأعلن عـن تخليـه عـن الارهـاب والاعتراف بحق اسرائيل بالوجود وفي ١٩٨٨/١٢/١٤ أعلن جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكي آنذاك أن الولايات المتحدة عزمـت على "إقامة حوار جوهري مع منظمة التحرير الفلسـطينية "، وفـي ١٩٨٨/١٢/١٦ جرى أول لقاء أميركي- فلسطيني.

ولموازنة التأثير الإيجابي للمبادرة الفلسطينية التي قـد تشـكل ضغطاً على الحكومة الاسرائيلية قدم شامير مكرهاً في نيسان ١٩٨٩ خطة "سلام" وأعلن بيكر بعدها انه يعارض ضم اسـرائيل الأراضـي الفلسطينية المحتلة أو سيطرتها الدائمة عليها كما يعـارض ايضـاً إقامة دولة فلسطينية مستقلة، كما اقترح الرئيس المصري حسـني مبارك خطة رفضها الاسرائيليون وفي نهاية عام ١٩٨٩ قدم جيمس بيكر خطة، وفي ١٩٩٠/٣/٩ أعلن تكتل ليكود أنه يوافـق عليهـا جزئياً وأنه يقبل باقامة محادثات مع الفلسطينيين بشـروط، وأعلـن بيريز أنه يوافق على الخطة كاملة، مما أدى إلى انقسام في حكومة اسرائيل فيما بعد بين حزب ليكود والعمال وفي١٩٩٠/٦/١١ تشكلت حكومة شامير مع اليمين القومي والديني المتطرف ووضع شـروطاً للمناقشات مع الفلسطينيين في القاهرة، مما أثار انزعاج بيكر، بعدها وجه شامير رسالة إلى الرئيس بوش أكّـد علـى مواقفـه بشـأن الاستمرار في انشاء المستوطنات اليهودية في الأراضـي المحتلـة وشروط اخرى مما أدى إلى إهمال الموضوع من قبل بيكـر وفهـم الفلسطينيون ذلك بأنه تنصل وتهرب من الخطة المطروحة من قبلـه سابقاً.

وتنامى الشعور لدى الفلسطينيين بعد الضغط على الانتفاضة بأن مبادرة السلام قد أخفقت وأن خيار الصراع المسلح يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أكثر من أي وقت مضى.

- وبنفس الوقت بدأت تهديدات الحرب تحوم فوق الخليج في صيف ١٩٩٠ عقب تصريحات صدام حسين والتهديدات الموجهة للكويت ودعوته إلى العودة إلى الخيار العسكري لاسرائيل، لتحرير مدينة القدس، وفي ١٩٩٠/٨/٢ احتلت العراق الكويت وكان من أمرها ماجرى.

- المبادرة الأمريكية :

بعد حرب الخليج لم يتوان جورج بوش عن شرح الطريقة التي تنوي من خلالها إدارته حل المسائل المتعلقة بالأمن في هذه المنطقة والنزاع الاسرائيلي- العربي، وفي ١٩٩١/٣/٦ اعلن أمام الكونغرس عن مبادرة السلام للشرق الأوسط مستخلصاً العبر من حرب الخليج- التي سنتحدث عنها فيما بعد- وصرح أن الجغرافيا في التاريخ المعاصر لم تعد تمثّل ضمانة للأمن وأن الأمن لايوفّر فقط عن طريق القوة العسكرية، وأوكل إلى وزير خارجيته جيمس بيكر دراسة الملف الاسرائيلي - العربي لتنفيذ المبادرة الأمريكية الهادفة إلى ارساء السلام في الشرق الأوسط.

باشر بيكر جولاته في المنطقة، ووضع شامير اتفاقاً من تسع نقاط بين اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يتضمن شروطاً معينة مثل الشروط التي طرحتها اسرائيل على كيسنجر مقابل الانسحاب من سيناء، وقد رفض ياسر عرفات الدعوة إلى مؤتمر اقليمي وأكد موافقته على إقامة مؤتمر دولي. وخلال جولات بيكر في المنطقة اقترح الرئيس مبارك وقف القطيعة الاقتصادية العربية - الاسرائيلية في مقابل تجميدها مشاريع الاستيطان اليهودية في الأراضي المحتلة، وقد رفضت اسرائيل الاقتراح، وفي ختام القمة الأمريكية - السوفياتية في موسكو أصدر الرئيسان نشرة مشتركة حددا فيها

شهر تشرين الأول من عام ١٩٩١ موعداً لإقامة مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، قبلت اسرائيل الدعوة، ووافق الفلسطينيون أيضاً بشروط وضمانات معينة، وقدمت الولايات المتحدة الأمريكية التعهدات والضمانات لجميع الأطراف من خلال جولات بيكر وشملت الرسائل التي وجهت إلى سوريا والأردن، وبعد المباحثات التي استغرقت وقتاً طويلاً، أدخل بيكر نهج سياسي جديد سمي "الالتباس البنّاء" بدل سياسة "الخطوة- خطوة" السابقة التي اتبعها كيسنجر، ونجح في الالتفاف حول العوائق وتابعت اسرائيل اقامة المستوطنات وبعد أخذ ورد من قبل كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي مع جميع الأطراف تقرر انعقاد مؤتمر السلام في مدريد في ١٩٩١/١٠/٣٠ وقد حضر المؤتمر بالإضافة للدول راعية المؤتمر وفود عربية من فلسطين - والأردن - مصر - سوريا - لبنان - ووفد اسرائيلي وأمام الاضطرابات والتحولات في الاتحاد السوفياتي أعلن الرئيس غورباتشوف استقالته عام ١٩٩١ في كانون الأول وتفتت الاتحاد السوفياتي، وخلفت روسيا الاتحاد السوفياتي كأحد داعيي السلام في المؤتمر وكعضو دائم في مجلس الأمن.

قبل الفلسطينيون والأردنيون والاسرائيليون تسوية بيكر ورفضت سوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية التسوية، وعقد المؤتمر في موسكو في كانون الثاني عام ١٩٩٢، بعدها عقدت عدة اجتماعات في واشنطن، ولم يتم الوصول إلى اتفاق مشترك بين الأطراف.

نجحت حكومة رابين المؤلفة من حزب العمال في الشهر السابع من عام ١٩٩٢، وجرى تبادل وثائق جديدة مابين اسرائيل وسوريا ولبنان والفلسطينيين.

انتخب كلينتون رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، ودعم عملية السلام ودعا للاستمرار بها من جديد وعين كريستوفر وزيراً

للخارجية الأمريكية، وجدد جولاته في المنطقة وشدد كريستوفر على رغبة أمريكا لعب دور "الشريك الكامل" في عملية السلام.

استمرت المفاوضات بين اسرائيل (رابين - بيريز) وفلسطين (عرفات) استراتيجية الكتمان والسر للتقدم باتجاه حل مقبول، كانت تجري في النرويج ولفترة مايقارب السنة. تم الاتفاق على اعتراف متبادل في اوسلو وباريس في ايلول ١٩٩٣.

اعترف عرفات في ٣ أيلول ١٩٩٣ بدولة اسرائيل، ووقّع رابين بدوره في اليوم التالي في القدس الغربية على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني، وكان الاتفاق مذهلاً يسجل منعطفاً تاريخياً ويشكل حدثاً بحد ذاته، وكان للانتفاضة داخل الأرض المحتلة دوراً في الضغط على اسرائيل للرضوخ للأمر الواقع، وبالطبع كان الاتفاق غير عادل وغير متكافئ وحصلت منظمة التحرير على حكم ذاتي ولكنه منعطف تاريخي، وجرى بعد ذلك التوقيع بين اسرائيل والأردن على جدول أعمال مقبل، وأصبح هناك واقع لبداية دولة فلسطينية.

استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط والعالم(٦٧)

وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها مضطرة إلى تغيير مسار الأحداث في المنطقة إذا شاءت التعلّق بالأمل في تحقيق نظام دولي أكثر سلاماً (من وجهة نظرها)، وإن منطقة الشرق الأوسط بالمقارنة بأي منطقة أخرى في العالم لن تسمح بانتهاج سياسة سلبية، وإن المنطقة أصبحت منطقة اختبار بالغ الصعوبة للدبلوماسية البناءة.

إن التطورات الأخيرة في المنطقة (أزمة لبنان، ومخاطر نشوب حرب اسرائيلية- سورية) وفشل قوة الردع العربية في تحقيق الاستقرار في بيروت، وتحول جنوب لبنان إلى ساحة معركة بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية... الخ). كل هذا يتطلب معالجة

امريكية شاملة لمشاكل الشرق الأوسط التي لاتمثل الحاحاً بالنسبة لاحلال السلام فحسب، بل وتوسع أيضاً من البعد الأمني للعلاقات الأمريكية مع دول المنطقة.

إن الشرق الأوسط اليوم أصبح منطقة اختبار بالغ الصعوبة للدبلوماسية البنّاءة، وإن الصراعات الدفينة والعداءات التاريخية تحدد المعالم السياسية للمنطقة، وإن القيمة الاستراتيجية تنعكس في موقعها كجسر يربط بين قارات ثلاث بل ويضاف إلى ذلك كونها موطناً لثروات طبيعية هائلة، هذا بالإضافة إلى أن العصر الذري والمنافسة الواسعة فيما بين القوى المحلية والدولية تشهدان على أبعاد الخطر الخاصة، وعلينا حسم النزاعات في المنطقة دون اللجوء إلى القوة [١].

وقد لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً فعالاً في توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر واسرائيل.

لقد خسرنا ايران بعد قيام الثورة فيها واحتمالات الحرب العراقية - الايرانية قائمة والدولتين مسلحتين بأسلحة سوفياتية.

إن فقدان الثقة بالاتحاد السوفياتي والخوف منه ومن القوى الراديكالية المتطرفة سوف يحبط احتمالات التقدم ليس فقط في النزاع العربي - الاسرائيلي ولكن بالنسبة لمشاكل اقليمية أخرى.

هناك قلق استراتيجي تجاه تزايد النشاط السوفياتي في المنطقة وعليه فقد أقمنا تعاوناً مع باكستان وحسنّا علاقاتنا مع تركيا كما أوقفنا نشاط ليبيا في افريقيا والشرق الأوسط، ونواصل سعينا لاقامة علاقات مع كل من المغرب ومصر والسودان والصومال والأردن وعمان والسعودية لتعزيز الأمن، كما تتعاون الولايات المتحدة الأمريكية مع اسرائيل وهي حليف استراتيجي التزمت به منذ زمن بالمحافظة على أمنه وتفوقه العسكري النوعي، وعليه فإن على الولايات المتحدة اليوم أن تواجه ثلاثة أمور:

أولاً- الحرب العراقية - الايرانية

ثانياً - مفاوضات الحكم الذاتي
ثالثاً- الأزمة اللبنانية.

وإن كل واحدة من هذه القضايا تتميز بمزيج من الخطر والأمل وعلاوة على ذلك فقد بدأت كل منها تؤثر على الأخرى.

- وفيما يخص الحرب العراقية- الايرانية التي استمرت حقبـة من الزمن انتهت ببروز أزمة الخليج واحتلال العراق لدولة الكويت، وتصدي دول الائتلاف وعلى رأسها الولايـات المتحـدة الأمريكيـة واجبار العراق على الانسحاب وفرض شروطها عليه وهذا ماقرأنـاه في موضوع مستقل تحت عنوان أزمة الخليج مسـبباتها ونتائجهـا ومنعكساتها على المنطقة.

أما مفاوضات الحكم الذاتي بين منظمـة التحريـر الفلسـطينية واسرائيل فقد انتهت إلى ماوصلت إليه ولا زالت حتى الوقت الحالي تصطدم بالعراقيل والخلافات القائمة بين الجانبين لأسباب عديدة منها التوسع الاستيطاني- وتهويد القدس- وانتفاضة اطفال الحجارة داخل فلسطين المحتلة والانتشار وتهدد اسرائيل بالغاء الحكم الذاتي إذا لم تصل معه إلى اتفاقات مطمئنة لاسرائيل.

- ومن حيث الأزمة اللبنانية فقـد أوليتهـا اهتمامـاً خاصـة وخصصت لها موضوعاً خاصاً من خلال الغزو الاسرائيلي العسكري والاقتصادي إلى لبنان الشقيق وما آلت اليه من احتلال جنوب لبنان والاشتباكات التي لازالت قائمة حتى هذه اللحظة بين القوات اللبنانية والاسرائيليين والتي نشهدها يومياً من كلا الجانبين.

ولا ننسى الدور الذي لعبته سوريا ولا زالت، والتعـاون بـين سوريا ولبنان بقيادة الرئيس حافظ الأسد فـي الصـمود والتصـدي والمواقف الموحدة والثابتة لكلا الطرفين وتأثيرهـا فـي التصـدي لمخططات الصهيونية - الأمريكية في المنطقة على ضـوء الحلـول المطروحة والتي تخدم الصهيونية قبل كل شيء. (القول هنا للكاتب).

وجاء فيما بعد الرئيس الأمريكي رتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في مقولته كيف تواجه أمريكا الدولة العظمى الوحيدة التحديات العالمية الراهنة ؟

لقد عشنا خلال نصف القرن الماضي في عالم يسوده التصادم بين قوتين عظيمتين تحركهما ايديولوجيتان متناقضتان، لقد كان الصراع بين الشرق والغرب الطابع المميز لتلك الحقبة من الزمن والتي تمخّضت عنها الحرب العالمية الثانية في بروز عملاقين في العالم هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي.

لقد كان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية يتواجهان عبر خطوط الجبهة في أوربا وآسيا، وكانتا تدعمان أصدقائهما المتنافسين في النزاعات الاقليمية في الشرق الأوسط وآسيا الجنوبية، كما كانتا تتجابهان في الحروب الأهلية في العالم النامي.

واليوم تشوهت سمعة الايديولوجية الشيوعية بحيث يستحيل انبعاثها في المستقبل وصار لواحدة من القوتين العظميين - الاتحاد السوفياتي- حكومة غير شيوعية منهمكة في شؤونها الداخلية الضخمة مما يجعلها لاتستطيع بعد الان أن تلعب دوراً مسيطراً في الساحة الدولية. إننا نعيش الآن في عالم تنفرد فيه الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى في العالم، وعلينا أن نراجع سياستنا الخارجية لنجعلها قادرة على التعامل مع الواقع الجديد.

لقد تأرجح العالم خلال السنوات الثلاث الماضية بين الآمال العريضة والأوهام المهشّمة والفرصة التي لاحدود لها.

في عام ١٩٨٩ تصاعدت آمالنا في وقوع احداث تاريخية كبرى، لقد انهارت الأنظمة الشيوعية في اوربا الشرقية وسقط جدار برلين واتخذ الرئيس السوفياتي (غورباتشوف) اصلاحات سياسية ذات شأن، وأصبح هناك تعاون فيما بيننا، وتناقصت النزاعات الاقليمية في دول العالم الثالث.

وفي عام ١٩٩٠ أخذت التغييرات التي حدثت في العام الماضي تنقلب على ذاتها، بدأت الديمقراطيات الجديدة في أوربـا الشـرقية تتصارع، والشيوعية في الاتحاد السوفياتي تحاول استعادة مركزهـا وجمد (غورباتشوف) اصلاحاته، وغزا صدام حسين الكويت ونهبه، واضطرت أمريكا مع شركائها في التحالف ان تخوض حربـاً بريـة كبرى في الخليج، أما النزاعات الاقليمية في العالم الثالث فاسـتمرت في ضراوتها، وتبين أن الأمل في بزوغ عالم أكثر أمناً لم يكن سوى سراب، فبينما كانت الحرب الباردة تصـون السـلام بـين القـوتين العظميين وتخلق التوازن الاستراتيجي بينهما لم يؤد زوالهـا إلـى وضع حد للحروب الساخنة بين الدول الأخرى الأصغر.

وفي عام ١٩٩١ طغى على هذه التطورات حدثان هامان:

الأول الانتصار الحاسم للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على العراق وطرد قواته من الكويت في شباط ١٩٩١ والذي جـدد ثقـة أمريكا بدورها كزعيمة للعالم.

والحدث الثاني الذي طغى على الأول كان واحداً مـن الأحـداث الفاصلة في القرن العشرين، وذلك في انتصار قـوى الحريـة فـي الاتحاد السوفياتي، بدون حرب، على قوى الشيوعية مما أدى إلـى تفتيت الاتحاد السوفياتي.

إن هذه الأحداث المتناقضة تذكرنا بأن العالم الحقيقـي لايـدور حول الأوهام بسلام ينتشر بسهولة وسرعة بل حول حقـائق ثابتـة جيوسياسية، وعلينا أن لانتفاءل كثيراً لأن عالم التنـافس يفـرض تناقض المصالح والنزاعات بين الأمم، وعلينا أن نضـع ذلـك فـي الحسبان بشكل دائم.

- وحول أركان السياسة الأمريكية في هذه المرحلة فهي تقـوم على تخطيط سياستها بفرض سياسة التفرد والقوة السياسية، ومـن أولى المهام يجب أن تميز بين المصـالح الحيويـة[١]، والمصـالح الهامة[٢]، والمصالح الهامشية.

وقد لاتملك أي دولة القوة العسكرية لتحقق كل هذه المصالح ولكن بناء الاستراتيجية يعني انتقاء خيارات وانتقاء الخيارات يعني اعتماد سلّم واضح للأولويات.

وتوضح أن من مصالحها الحيوية منع حصول بعض دول العالم الثالث (من قبل معتدين محتملين) ويقصد هنا بعض الدول العربية، وليس أمام الولايات المتحدة الأمريكية من خيار سوى الرد بالقوة العسكرية لدفع المخاطر التي تهدد مصالحها.

وفيما يخص المصلحة الهامة تعتبر كوريا واليابان منها ويمكن اعتبارها من مصالحها الاستراتيجية كجزء من استراتيجية حكيمة تقوم على فكرة الدفاع المتقدم.أما حول المصلحة الهامشية، فتأتي بالأفضلية الثالثة وقد تستدعي التدخل العسكري مثل الوضع في مالي. وترى الولايات المتحدة الأمريكية أن تبني استراتيجيتها الأمنية بحيث يكون ماتفعله لحماية مصلحة من مصالحها متناسباً مع الأمنية الاستراتيجية لتلك المصلحة، واستخدام ارادتها وقدراتها يجب أن يكون بمستوى الخطر الذي يواجهها، وكمثال يطرح تقول أنه ليس عليها أن ترسل الفرقة (٨٢) المحمولة جواً لحماية مصلحة هامشية في موريتانيا ولكن عليها في الوقت نفسه أن تفعل ذلك لحماية مصلحة حيوية في الخليج العربي.

وفيما يتجاوز اهتماماتها الأمنية فإن عليها تقع مسؤوليات ضمان البقاء للدول الديمقراطية المهددة، مثل اسرائيل وكوريا الجنوبية، وعليها هنا أن تكون مستعدة لاستخدام القوة العسكرية، عند الضرورة، وعلى الرد أن يكون متوازناً مع التكاليف والمخاطر وامكانية النجاح ومدى الدعم المطلوب تقديمه.

- هنالك مسائل معقدة في العالم وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تتصدى لها إذا لزم الأمر ومنها:

(١) الاتحاد السوفياتي(٦٨): بعد انهيار الشيوعية ١٩٩١ فيجب تقديم المساعدة لها لتحديد شكل النظام السياسي الذي سوف يقـوم في مثل هذه الدولة.

(٢) في أوربا التي أخذت بسبيل الوحدة بعد نصف قـرن مـن الانقسام الايديولوجي فعلى أمريكا تحديد المهمـة لحلـف الأطلسـي وتأمين نجاح الديمقراطيات الحديثة الهشة في أوربا الشرقية وهـذا مايؤثر على مستقبل الاصلاح في الاتحاد السوفياتي.

(٣) وعلى شواطئ المحـيط الهـادي - القاطنـة الاقتصـادية الجديدة- كما تسميها أمريكا والمنطقة تتعـرض إلـى حالـة مـن الانكشاف بسبب غياب إطار أمني شامل. إن موسكو وطوكيو علـى خلاف منذ خمسين عاماً وكذلك موسكو وبكين، ونظـراً للمتغيـرات والمتبدلات وللخطوات التي بدأت تخطوها اليابان، فإن دور الولايات المتحدة الأمريكية كعنصر توازن أساسي يعزز الاستقرار في المنطقة ويؤيد الازدهار الاقتصادي وتعتبر أمريكا مهمتها- فيما يخص العالم الاسلامي[١] المضطرب (كما تسميه) والقلق وذو الأهميـة الحيويـة فسيكون لهذه الدول في حال تطورها مستقبلاً نتائج خطيـرة علـى العالم أجمع.

(٤) وفي العالم النامي حيث يعيش ٧٨% من سكان العالم فيجب الاستفادة من دروس دول العالم الثالث مثل كوريا الجنوبية والصين الوطنية وسنغافورة وهونغ كونغ.

(٥) وفي الولايات المتحدة الأمة الأغنى والأقوى في العالم يجب أن تتخلص من الكثير من المشاكل التي تواجهها كانتشار الجريمة- المخدرات- تراجع مستوى التحكيم- تراجـع الخـدمات الصـحية- والتمييز العنصري- والتردي العمراني، ويجب أن تحتـل السياسـة الداخلية والخارجية أهميتها بالنسبة للوضع الراهن.

---

[١] يقول هيج يوجد /٣٧/ شعب اسلامي يمثل ٨٥٠ مليون نسمة.

(٦) إن رسالة أمريكا لم تنته بهزيمة الشيوعية فعليها أن تعمل لضمان نجاح الحرية فيها (أي استمرارها ونجاحها).

(٧) ومن وجهة نظرها إن العالم الحر يتطلّع إلى الزعامة الأمريكية لمواجهة الخطر السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية وكذلك فالعالم يتطلّع اليوم نحو هذه الزعامة لمجابهة مشاكل مابعد الحرب الباردة وعليه يجب ان يكون القرن /٢١/ القادم قرن سلام وحرية وتقدم (كما تدعي أمريكا).

- بعد عام ١٩٩٢ أصبح العالم يحلم بالسلام والحرية والتقدم في أرجاء العالم ويمكن أن يكون القرن الواحد والعشرين قرن سلام لأن أمريكا أصبحت الوحيدة المتفردة في العالم، وبسبب القوة الذرية التدميرية فلن يكون هناك حرب عالمية ثالثة، وذلك لأن الذين يمتلكون هذه الأسلحة يعرفون أنه في الحرب الذرية لن يكون هناك غالب ومغلوب بل يكون الجميع خاسرين.

لقد كان القرن العشرون أكبر قرن سالت فيه الدماء في التاريخ ولكن المعتدين أصيبوا بهزائم مدمرة، فنظام هتلر سحق في الحرب العالمية الثانية، والشيوعية السوفيتية هزمت بدون حرب عام ١٩٨٩- ١٩٩١ كما انهزم صدام حسين عام ١٩٩١، وبسبب اتحاد العالم لتحرير الكويت فإن المعتدين -كباراً أم صغاراً سوف لايتجرأون على شن العدوان ضد جيرانهم.

إن القرن الواحد والعشرين يمكن أن يكون القرن الأول في تاريخ الانسانية الذي ينعم فيه أكثرية سكان العالم بالحرية السياسية، فرياح الحرية أخذت تهب ليس فقط في أوربا الشرقية والاتحاد السوفياتي بل أيضاً في أمريكا اللاتينية وآسيا وحتى في افريقيا، وهذه الحرية لاتأتي من خارج البلاد ولا من فوق بل من داخل الأمم نفسها (اكرر أن هذا رأي القادة الأمريكان).ويمكن للقرن الواحد والعشرين أن تتحقق فيه لأكثرية سكان العالم الحرية الاقتصادية.

إن القرن الواحد والعشرين[٦٩] يمكن أن يكون قرن تقدم لاسابق له، إن الثورة التكنولوجية توفر الوسائل اللازمة لكسب الحرب ضـد الفقر والبؤس والأمراض في جميـع أرجـاء العـالم. وبخصـوص الصراع العربي- الصهيوني ستتابع الولايات المتحدة الأمريكية بذل جهودها لاحلال السلام والتطبيع انطلاقها من استراتيجيتها في دعـم اسرائيل المطلق باعتبارها الحليف لها ولتأمين مصالحها في المنطقة وخاصة في الخليج وستحاول أن تبقى المتفردة في العالم في فـرض وصايتها على المنطقة.

ونظراً لأن اسرائيل تمتلك حالياً الأسلحة النووية لتحقيق التفوق العسكري على العرب بدعم من الولايات المتحدة الأمريكيـة نفسـها ولن تسمح للعرب بامتلاك هذا السلاح رغم أنهم يمتلكون الأسـلحة الكيماوية والجرثومية والبيولوجية فسـيكون هنـاك شـبه تـوازن عسكري تميل كفته إلى صالح اسرائيل فلن يكـون هنـاك احتمـال لنشوب أي حروب مقبلة بينهما إلا بشكل محدود من خلال محاولـة الصهيونية توسيع الاستيطان.

- وحول عملية السلام الجارية الآن بمبادرة ورعاية الولايـات المتحدة الأمريكية فإن سياسة أمريكا في المنطقة تقوم على ركنـين: النفط واسرائيل، وترغب أمريكا أن تبقى كفة اسرائيل هي الراجحـة في التسليح والاستعداد القتالي على خصومها العرب مجتمعين، ولها مواقف سياسية على قدر من الجرأة بالنسبة لبعض النقاط الأساسية في عملية السلام منها ضرورة أن تقبل اسـرائيل بالتفـاوض مـع منظمة التحرير الفلسـطينية، وأن تنسـحب اسـرائيل مـن جميـع المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة وتتخلـى عـن مشـروع اسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، وكذلك تعـديل الحـدود بـين العرب واسرائيل بما يضمن حاجات اسرائيل الأمنيـة وأن يعتـرف العرب باسرائيل اعترافاً دبلوماسياً كاملاً وأن يمـنح الفلسـطينيون الحكم الذاتي مع الانضمام إلى الأردن، أي أنه ينكـر علـى الشـعب

الفلسطيني حقه في تقرير مصيره وانشاء دولته المسـتقلة، وكـذلك تشمل استراتيجية أمريكا في المرحلة القادمة مرحلة التطبيع مع أنها تقتنع بعدم جدواها بسبب العداوة الطويلة الأمد بين الجـانبين (رأي الكاتب).وتعترف أمريكا بحقيقة أساسية في الحياة الدولية وهـي أن المعاهدات تستطيع أن تُغير من سلوك الدول ولكنها لاتستطيع تغيير مشاعر الشعوب.

إن السلام في الشرق الأوسط ليس مسـألة أن يـتعلّم العـرب والاسرائيليون محبة بعضهم البعض، لقد تبادلوا الكراهية عبر قرون وسوف تستمر، ولكن عملية السلام تعني أن يتعلّموا العيش بسـلام رغم خلافاتهم. إن التسوية الدائمة تقضي أن يكونوا منفصـلين وأن يقوم بينهم حاجز من التدابير الأمنية الحقيقية التي إذا انتهكت تكلف المعتدي أكثر مما كان يأمل به من مكسب عن طريق العدوان.

- وفيما يخص العالم الاسلامي(٧٠) فهي تدعو إلى تعاون تكتيكي مع الأنظمة الأصولية والراديكالية في العالم الاسلامي، وكذلك الرغبة في اختيار أربع دول اسلامية معتدلة للتعاون معها تعاوناً استراتيجياً وهي مصر - تركيا - الباكستان - اندونيسيا.

- وتعلن الولايات المتحدة الأمريكية عن استعدادها للقتال دفاعاً عن أكبر مصدر للنفط في الخليج ولن تسمح بوجود أسلحة نوويـة لدى مثل هذه الدول، ولا يقلقها أن تكون اسرائيل ممن تمتلك السلاح النووي بل إنها تسعد به لأن اسرائيل هي حليف استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا نجـد أن للولايـات المتحـدة الأمريكيـة استراتيجية خاصة للقرن الواحد والعشرين وللعالم بأكمله ولمنطقـة الشرق الأوسط وللصراع العربي- الصهيوني وأسـلوبها الخـاص بطريقة حل النزاعات من خلال آفاق نظرية مسـتقبلية لانـدري إذا كانت قادرة على تطبيقها مستقبلاً وهو مايجب أن يضعه العرب فـي حساباتهم المستقبلية كي يرسموا ملامح اسـتراتيجية عربيـة فـي المرحلة القادمة تمكنهم من الصمود والتصدي لمثل هذه المخططات

أو القبول ببعضها إذا ماتحقق العدل بها وحلها بشكل يضمن حقـوق العرب.

وستكون قضية تهويد القدس محور الخلافـات فـي الصـراع العربي- الصهيوني من خلال السلام والتطبيع وما تطرحه الولايـات المتحدة الأمريكية من حلول آنية ومستقبلية على المستوى العربـي والاسلامي ويفهم من كل ماذكر أن استراتيجية الولايات المتحدة في الوقت الحاضر وحتى في بداية القرن الواحـد والعشـرين، تعتمـد علىالدعم المطلق لمخططات اسرائيل التوسعية سواء عـن طريـق التطبيع الذي يؤدي إلى التوسع الاقتصادي والهيمنة الاقتصادية على العالم، أما ماقيل على لسـان أحـد قادتهـا فهـوغير صـحيح لأن استراتيجيتها قائمة على ماذكرت.

الخاتمـــة[٧١]: **وهكذا نكون قد أوجزنا في هذا المقال مع إعطائه التوضيحات والشرح اللازم للمستجدات في منطقة الشرق الوسط مروراً بأزمة الخليج والغـزو الاسـرائيلي للبنان واتفاقية كامب ديفيد، والمبادرات الأمريكية لاحلال السلام في المنطقة وما وصلت إليـه، ومحاولة احلال التطبيع، مع دعمها الواضح لإسرائيل** على حساب الدول العربيـة مـروراً بمـا تمخّضت عنه الحرب العالمية الثانية وكذلك دور الولايات المتحدة الأمريكية في اسـقاط النظـام الشيوعي في الاتحاد السوفياتي والتفرد في القوة العسكرية في العالم وطرح اسـتراتيجيتها حتـى نهاية القرن وبدء القرن الواحد والعشرين من وجهة نظر قياداتها السياسية.

الفصل السابع

الاستراتيجية في فِكر القائد حافظ الأسد

" إن الاستراتيجية بشكلٍ عام[٧٢] ليست فقط استخلاص الخُبراتِ وتنظيم الامكانات ولكنها إلى جانب ذلك تنبؤٌ نظري محتمـل لطـرق قيادة الصراع بكافة أشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية..الـخ)

ولا يمكن الفصل بين نظريات الاستراتيجية والتطور لما لها من أثـر على الأحداث والتبدلات والربط بين النظرية والتطبيق" لتصـل إلـى الأهداف التي رسمتها هذه الاستراتيجية.

وإذا أردنا أن نتحدث عن بعض أشكال الاستراتيجية من حيـث التعريـف والتـرابط فيمـا بيـنهم فيمكننـا القـول الاسـتراتيجية العسكرية(٧٣): هي الوصول إلى الأهداف التي حددتها السياسة سواء كانت هجومية او دفاعية أو مجتمعة في إكراه الخصم في الخضـوع لإرادتنا في حوار الإرادات.

أما من حيث علاقتها بالسياسة فيمكن اعتبارهـا وسـيلة مـن وسائل الحرب وعلاقتها بالاقتصاد فهي ترابط الاقتصـاد بالسياسـة وكذلك من حيث علاقتها بالأرض والقوى البشرية كما أن لها علاقة مباشرة بالوضع الدولي من حيث توازن القوى والأحـلاف المؤيـدة والمعارضة.

ومن هنا يمكننا استخراج الاسـتراتيجية القوميـة مـن واقـع الاستراتيجيات القومية لشعوب العالم فكما أن للدولة اسـتراتيجيتها فإنه للأمة أيضاً الحق في منهج استراتيجي يؤمن لها البعد المنهجي المستقبلي ومن هنا نجد بروز صراع الاستراتيجيات في العالم.

وكنتيجة لذلك لابد أن نسـتعرض مـن خـلال صـراعنا مـع الصهيونية في المرحلة الراهنة فنقول:

إن للاستراتيجية الصهيونية محددات وثوابـت تحـافظ عليهـا كمبادئ تنطلق منها في صـراعها مـع العـرب كالمحافظـة علـى جاهزيتها القتالية بالقدرة على الردع السريع لجيشـها الاسـرائيلي والحسم لأي معركة والحصول على التفوق التكنولـوجي باسـتمرار وكذلك تقويض الائتلاف العربي وضرب عمقه الاستراتيجي إن وجد.

ومن خـلال ماأسـلفت واسـتناداً إلـى التنسـيق والتعـاون الاستراتيجي الصهيوني- الأمريكي وإلى ماآل اليه الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية فإن الاستراتيجية الصهيونية تعتمد في نهاية

القرن العشرين على استراتيجية "العقبة النووية" وأن القرن الحادي والعشرين سيشهد بدون أدنى شك التلويح بالعامـل النـووي الـذي تمتلكه اسرائيل حالياً ليشكل رقماً مـؤثراً ومرجحـاً فـي معـادلات الصراع المقبلة.

إن أسس الاستراتيجية العسكرية والصهيونية ثابتـة وأهـدافها مستمرة أما الوسائل والأساليب فتتطور تبعـاً لمجريـات الأحـداث وطبيعة الظروف في كل زمان ومكان.

لقد كان لانهيار النظام الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي التأثير كل التأثير على الصراع العربي- الصهيوني لأسباب عديـدة وأهمها تحول النظام العالمي الجديد من القطبية الثنائية إلى هيمنـة القطب الفرد وبمعنى أوضـح أصـبح هنـاك خلـل فـي التـوازن الاستراتيجي أو الدولي في العالم.

وكشفت الولايات المتحدة الأمريكية النقاب عن وجهها بالهيمنة على الوطن العربي من خلال حرب الخليج والانقضاض علـى آبـار النفط العربية، يغذيها في ذلك الرغبة في التحكم بمسار الأحداث بعد الوحدة الأوربية، والنهضة الاقتصادية اليابانية، ووقفت إلى جانـب الصهيونية باعتبارها ضماناً استراتيجياً لمصالحها في المنطقة.

وبرغم مبادرة الولايات المتحدة الأمريكية لاحلال السـلام بـين العرب واسرائيل برعايتها والاتحاد السوفياتي والتأكيد على جـديتها نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية منحازة إلى الصـهيونية بشـكل فاضح وصريح وكأنها تفهم السلام بمثابة استسلام وتطالبنا بتطبيـع العلاقات مع الصهيونية بلا قيد ولا شرط مستخدمة حق الفيتو فـي وجه قرارات هيئة الأمم المتحدة ومنع تدخل المعسكر الأوربي فـي مبادرة السلام وتنصب نفسها الوصية الوحيدة في المنطقة.

وإذا ماأخذنا بالاعتبار الصراع العربي- الصهيوني منـذ القـدم وما آل إليه في الوقت الراهن أدركنا الدور الفعال المنـوط بقطرنـا العربي السوري بقيادة القائد الملهم الرئيس حافظ الأسد منـذ قيـام

ثورة الثامن من آذار والحركة التصحيحية ومن خلال حرب تشـرين التحريرية عام ١٩٧٣ ونتائجها على المستوى الـداخلي والعربـي والدولي والتصدي لمخططات اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكيـة في المنطقة والدور الأساسي والقيادي في احياء التضـامن العربـي وتوجيه الطاقات العربية ضد المخططات الصهيونية في المنطقة ومن خلال الدور الفعال الذي لعبه في حرب الخليج وما بعـدها وكشـف المخططات والمؤامرات الصهيونية فـي تفتيـت الصـف العربـي واضعافه وتجزئته وخضوعه للتطبيع والاستسلام. من هنا يمكننا أن نبدأ الاستراتيجية في فكر القائد حافظ الأسد.

الاستراتيجية في فكر الرئيس القائد حافظ الأسد منذ البدايات

أولاً - على النطاق الداخلي:

١- جاءت الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الأسـد في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠[٧٤] نتيجة المواقف التشنجية لقيـادات الحزب في معارضة التقارب مع مصر في عقلية منـاورة وافتعـات معارك وخلافات مع الأردن ولبنان ومع أكثر الدول العربية وكـذلك مع الدول الأوربية، وحتى مع الاتحاد السوفياتي الذي كـان يمـدنا بالسلاح.

لهذه الأسباب مجتمعة في المجال الداخلي والعربي والدولي إلى جانب آثار عدوان ١٩٦٧جاءت الحركة التصحيحية لتعيـد لحـزب البعث العربي الاشتراكي وجهه الجماهيري الأصيل وأعادت سـورية من جديد إلى موقعها الريادي في حركة التحريـر العربـي، وكـان للحركة التصحيحية الدور الأكبر في الاعداد لحرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣.

برغم أن كل ماذكر كان بمثابة الخطوط الأولية لاستراتيجية القائد حافظ الأسد الذي تابع مسيرته في:

أ- اعادة بناء الحزب ووضع دستور دائم لسورية وأصبح للحزب الدور القائد في المجتمع والدولة.

ب - أقامت الجبهة الوطنية التقدمية وبهذا انتقل الحزب من مجال الحزب الواحد إلى الحزب القائد مما أدى إلى التعددية السياسية في سورية لأول مرة.

ج - التعددية الاقتصادية : - قطاع عام - قطاع خاص - قطاع مشترك

ثانياً - على النطاق العربي والدولي:

١- الدائرة العربية (اجراء حوار مفتوح نحو المصالحة العربية من خلال الجامعة العربية.

٢- الدائرة الاسلامية (عضوية في منظمة المؤتمر الاسلامي).

٣- الدائرة الدولية : (كتلة عدم الانحياز) - اقامة علاقات مع الكتلة الاشتراكية.

وهذا مما جعل سورية تحتل مكانة مرموقة على خارطة الشرق الأوسط

١- الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون اعرب عن اعجابه بجهود الرئيس حافظ الأسد في سبيل تحقيق السلام.

٢- وزير خارجية أمريكا السابق فانس(إن الرئيس الأسد هو من أوائل القادة في العالم).

٣- الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان (الرئيس الأسد شخصية قوية دولياً وله سمعة عظيمة).

٤- الرئيس كارتر (الرئيس حافظ الأسد رجل قوي وحازم وذكي ولا يخاف).

الرئيس الأسد كان الأسبق في فهم متغيرات الصـراع الـدولي، وفي التعامل الذكي مع هذه المتغيرات محافظاً في الوقت نفسه علـى استقلال القرار الوطني.

نجد ذلك في :

١- تدخل سورية في لبنان عام ١٩٧٦ لانقـاذه مـن الحـرب الأهلية رغم معارضة الاتحاد السوفياتي. والتصدي لمجموعة أحزاب يسارية متحالفة مع منظمة التحرير الفلسطينية.

٢- التقارب مع الأردن.

٣- استنكار الحرب العراقية - الايرانية

٤- الوقوف إلى جانب الكويت في الحرب العراقية - الكويتيـة ومن ثم حرب الخليج.

وهذا كله جرى بقرار من القائد حافظ الأسـد رغـم معارضـة الاتحاد السوفياتي لهذه المواقف وهذا يدل على جرأة القائد الأسد في اتخاذ القرار باعتباره الداعم والممول الوحيد لنا آنذاك).

- إن القرار الصائب يعتبر جزءاً مـن الاسـتراتيجية الشـاملة وعليه فقد أدرك القائد الأسد أن انتهاء الحرب الباردة (بعـد حـرب الخليج) لابد أن يؤدي إلى خلق واقع جديد في السياسة الدولية فقـد استعد لذلك تمام الاستعداد وفي تقبل الواقع الجديد دون التنازل عـن أي حق مشروع لنا.

- إن جوانب الشموخ في شخصية القائد حافظ الأسـد كثيـرة ومتعددة، شموخه كقائد وكمفكر استراتيجي، وكمناضـل، وكـرئيس دولة، استطاع أن يجعل أيامه صفحات مشرقة في تاريخ بلاده.

- القائد حافظ الأسد كمفكر استراتيجي يقوم فكـره علـى معطيـات أساسية أهمها:

١- قراءة التاريخ التي تولّد رؤيا بعيدة المدى.

٢- دراسة الاستراتيجيات كونه قائداً عسكرياً.

٣- تكوينه القومي جعل نظرته للأمور نظرة تأملية ثاقبة.

وهذه العوامل الثلاثة: التاريخ - السياسة- الفكر العسكري والبعد القومي باعتبار استراتيجية الوطن العربي لاتنفصل عن الاستراتيجيات العالمية.

كل هذه الأمور جعلت من القائد حافظ الأسد مفكراً استراتيجياً عالمياً يزن الأمور بموازينها، يدرس مابين النقلة والنقلة والخطوة والخطوة، ويعرف طبيعة الأشياء التكتيكية ويسخرها في خدمة الاستراتيجية العامة، ويضع دائماً نصب عينيه أنه لايجوز إطلاقاً الانغلاق على الذات إلى موقف قطري أو موقف تراجعي.

- لم يكن في سياسة القائد الأسد موقفاً انتهازياً يجعله يفضل ذاته على المجموع بل إن من يستقرأ بدراسة سياسية موضوعية فكر الرئيس حافظ الأسد وممارسته العملية يرى أن جميع هذه الخطوات كانت تنطلق من منطلق استراتيجي قومي أي ارتكاز هذا الفكر على الناحية الاستراتيجية لقومية الأمة العربية.

ونستطيع أن نضرب أمثلة على ذلك:

١- أثبت أن لبنان لجميع أبنائه وأن أبناء لبنان هم للأمة العربية.

٢- الرسالة التي بعث بها إلى صدام حسين قبل الحرب ونظرته الاستراتيجية في أن خسارة العراق هي خسارة الأمة العربية.

٣- أثناء قيام الحرب العراقية - الايرانية كان يعبر أن العرب هم العمق الاستراتيجي للمسلمين وهم حملة الرسالة الاسلامية والمسلمون هم العمق الاستراتيجي للعرب وأن هذه الحرب لن تعود بالنصر على الأمة العربية.

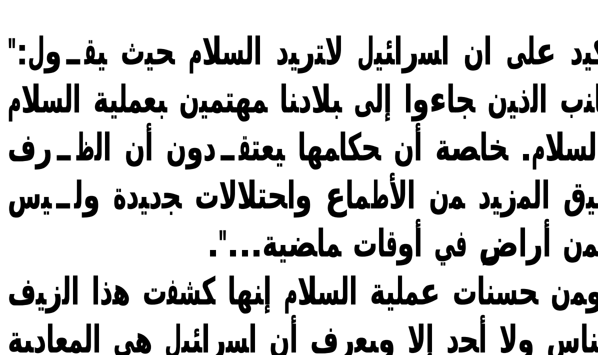
ويمكن أن نختصر ماسبق ذكره بأن الرئيس الأسد استطاع أن يكون المناضل والمقاتل ورجل السلام ورجل الفكر والثقافة، أن يجعل من سورية مثالاً يحتذى في مجال البناء الداخلي السياسي والاقتصادي وفي مجال تعميق التضامن العربي. وفي مجال التعامل

الدولي وفق مبادئ الأمم المتحدة واحترام السيادة، خدمـة للحقـوق العربية بوجه التحديات القائمة وفي مقدمتها الأطماع الصهيونية.

لقد وقف الرئيس الأسد شوكة في حلـق مخططـات الولايـات المتحدة الأمريكية - الصهيونية بكل عناد واصرار وأثبت جدارته في قيادة الأمة العربية وتوجيه استراتيجيتها بالاتجاه القومي الصـحيح وذلك نتيجة نضوح تفكيره القومي وخبرته الواعية وإخلاصه لأمتـه وفق استراتيجية ومنهجية صحيحة اعتمد عليها من خـلال مواقفـه الصامدة والجريئة التي ترتكز على البعد الفكـري الواسـع والعقـل الراجح المتزن منطلقاً من ثوابت ومقومات محددة ومدروسة لايمكن التنازل عن شبر منها لأنها قضايا الأمة العربية من محيطهـا إلـى خليجها، وخاصةً مانجده من رؤيا واضحة لمسعى احلال السلام فـي المنطقة، السلام الشامل هو الهدف الأساسي الراسخ وعلـى رأسـه عدم التخلي عن شبر واحد من الجولان وكذلك بالاستمرار في نشـر الوعي في أن ننظر بثقة إلى المستقبل ويجب أن نظـل يقظـين ولا يجوز أن تنال منا غفلة، ويؤكد القائد الأسد على السلام العـادل[٧٥] القائم على العدل والسلام الشامل والدائم وأن رغبة العرب الحقيقيـة هي السلام والسلام يجب أن يكون مقابل الأرض ولا شيء قبـل أو بعد ذلك.

فمن وجهة نظره الثاقبة قوله في احدى خطبـه " لايمكـن لأي شعب أن يتنازل عن حقوقه ولا يمكن لبلد معتـد أن يتمتـع بثمـار عدوانه ".

وكذلك فقد جاء في خطابه الذي ألقاه في مجلس الشعب فـي٢ آذار ١٩٩٢ حين قال:" إن سورية هي التي فتحت طريـق السـلام عندما وافقت على المبادرة الأمريكية التي تقوم على تنفيـذ قـراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ - ٣٣٨ ومبادلة الأرض بالسلام... إلـى أن يقول: إن شروطنا ومطالبنا هي هي لم تتغير ولن تتغير لااليـوم ولا غداً ولا إلى الأبد..".



وكذلك في التأكيد على ان اسرائيل لاتريد السلام حيث يقـول:" وقد قلت كثيراً للأجانب الذين جاءوا إلى بلادنا مهتمين بعملية السلام إن اسرائيل لاتريد السلام. خاصة أن حكامها يعتقـدون أن الظـرف الدولي مناسب لتحقيق المزيد من الأطماع واحتلالات جديدة ولـيس للتخلي عما احتلوه من أراضٍ في أوقات ماضية...".

وكذلك يقول:" ومن حسنات عملية السلام إنها كشفت هذا الزيف كشفاً واضحاً لكل الناس ولا أحد إلا ويعرف أن اسرائيل هي المعادية للسلام والمعرقلة له".

ويقول أيضاً : " العالم كله يعرف أن العرب لن يتنـازلوا عـن أرضهم لااليوم ولا في أي يوم في المستقبل القريب أو البعيد...

ومن أقواله:" اسرائيل هي التي تعرقل السلام وتعطله، تطالـب الولايات المتحدة الأمريكية بان تقوم بدور قرصاني في البحـار وأن تعترض السفن القادمة إلى سورية وإلى بلدان أخرى.. لأنها تحمـل أسلحة وصواريخ تهدد الأمن في الشرق الأوسط.. إلى أن يقـول: " كيف يمكن أن يفتح الباب للاسرائيليين كي يصنعوا السلاح بأنواعـه وبدون أية حدود وتحاصر سورية ويمنع عنها الاستيراد... إذا كانوا يريدون الحد من السلاح فأول مايجب أن يفعلوه هو اغلاق المصانع الاسرائيلية التي تصنع القنبلـة الذريـة والصـاروخ والالكتـرون والدبابات والمدافع والبارودة والمسدس...".

ويقول الرئيس حافظ الأسد أيضاً :" إننا نريد السلام الذي يعيـد الأرض ويعيد الحقوق وينشر الأمن في المنطقة وأقل من ذلـك هـو استسلام ولن تستطيع قوةٌ في الدنيا أن تفـرض علينـا الاستسـلام أبداً.."

يرى الرئيس الأسد أن الظروف التي تمر بها الأمة العربية فـي الوقت الراهن والتحديات الكبيرة التي تبرز أمامها تجعل من التضامن العربي الذي ينطلق من وحدة المصير ويستند على التعاون والتساند والتعاضد، ضرورة حيوية لاستمرارية الأمة.

كما يشير القائد الأسد حول المصير الواحد للأمة إلى أنه عندما تتكلم سورية عن التضامن العربي فإنها تنطلق من رؤيـة متكاملـة الأبعاد تعتمد بالدرجة الأولى على المصير الواحد للأمـة العربيـة، وتستند إلى تراثٍ أصيل حقق فيه العرب عندما اتحـدوا انتصـاراتٍ ساهمت في تقدم الحضارة الانسانية، وتلك العلاقة بين الماضي ومـا هو منشود في المستقبل يجب ألا تشوهها ازمات تعتبر فـي سـياق التاريخ الانساني أزمات عارضة... وفي هذا إشارة إلى حل الخلافات بين الإخوة العرب. وكذلك فقد أكد الرئيس الأسد علـى أن القـدس موضع اهتمام ألف مليون مسلم في العالم. كما أكد أنه لاحل وسـط في موضوع الأرض.

وكذلك أوضح أن الجغرافية لاتحقق الأمن واحتلال الجولان فـي حرب ١٩٦٧ لم يحقق لهم ذلك.

وقد حرص الرئيس الأسد وهو يجيب على أحد الأسئلة عما إذا كان يساوره شيء من القلق بالنسبة لموقـف الـرئيس الأمريكـي كلينتون من محادثات السلام في المنطقة، حرص أن يؤكد على أنـه لايشعر بالقلق لاعتقاده بـأن أي رئـيس أمريكـي عنـدما يطلـع بموضوعية على الوضع في الشرق الأوسط ويدرك مصالح الولايات المتحدة، ويكون نصيراً للسلام، ويحس بمسؤولية الولايات المتحدة، لابد أن يعمل من أجل السلام".

وأخيراً وليس آخراً فإن سورية لها ثوابت لشعبها ولقائدها فهي لم تكف في يوم من الأيام عن توضيح وتأكيد موقفها تجـاه السـلام الذي التزمت به والقبول بالمبادرة الأمريكية المستندة إلى القـرارين ٣٣٨ - ٢٤٢ بما يضمنانه من عدل وشمول في الحل المنشود، ولم يدع الرئيس حافظ الأسد مناسبة تمر إلا وتحدث فيها بكل الوضـوح والثقة عن الموقف الذي يعبر عن إرادة شـعبه السـوري وأمتـه العربية، والثوابت الوطنية والقومية التي لايمكن المحيد عنها، وكما أكد من قبل أن الاستسلام بعيد عن مبادئه، وأنه يخطئ من يظـن أن

سورية يمكن أن تتخلى عن شبر واحد من ارضها، كما جـدد ذلـك الرئيس الأسد في حديثه الشامل لمجلة تايم الأمريكية ثوابت الموقف السوري الذي يجسد إرادة الشعب السوري وتطلعات الأمة العربية.

وليس أشمل من تصريحه بكل رجولة وقوة:" لن تجدوا سـورياً واحداً يقبل بسلام يترك جزءاً من الأرض في يد اسرائيل".

ومن خلال مااستعرضناه وبشكل مقتضب وشمولية الموضـوع فإننا نؤكد على أن القائد حافظ الأسد: قائد فذ، ومفكر مبدع، وعقـل ثاقب، وسياسي محنك، واستراتيجي ملهـم، رجـل فكـر وسياسـة وحرب، ومنهج موضوعي، ذو أفق واسع، ونظريـة ثاقبـة، قـوي التنبؤ بالمستقبل، واثق الخطوة، صـائب القـرار، صـحة الرؤيـة والخيال، استطاع بخبرته وابداعه أن يرسم الطريق بوضوح لشـعبه وأمته ويقود النضال العربي بجرأة وشجاعة، تفاعل مـع الأحـداث والتبدلات الداخلية والخارجية (العربية منها والدوليـة)، وسـخرها لتحقيق أهدافه الاستراتيجية المنشودة وربط بين النظرية والتطبيـق وهذا مامكنه من فرض الاحترام على أعدائه وخصومه قبل اصدقائه ومحبيه، شهد له أكثر القادة في العالم بالحكمة والذكاء وقوة الارادة والاستراتيجية الملهمة.

إنه الجدير بكل ماأسلفتُ ومهما فصلنا في ذلك لن نتمكن إلا أن نقدم غيضاً من فيض، ويمكننا في آخر المطاف استعراض وتحليـل جميع القرارات والمواقف للقائد حافظ الأسد انطلاقاً من ثورة الثامن من آذار إلى الحركة التصحيحية والدور الذي لعبه في اعادة الحزب إلى وجهه الأصيل وكذلك قيادته لحرب تشرين التحريريـة ماحققـه على النطاق الداخلي والعربي والدولي وشهادة الأعداء قبل الأصدقاء بانجازاته ومواقفه وقراراته الصائبة وإن تعدد جوانب الشموخ فـي شخصية القائد حافظ الأسد كمفكر اسـتراتيجي يقـوم فكـره علـى معطيات أساسية في قراءته البعيدة النظر للتـاريخ وفـي دراسـته للاستراتيجيات والعمل على تطبيقها على المستوى الوطني والقومي

وربطها بالاستراتيجيات العالمية مما يؤكد انه يعمـل علـى إيجـاد التوازن الاستراتيجي في الصراع العربي- الصهيوني وأنه يسخر كل الطاقات والامكانات لخدمة الاستراتيجية العامة وأنه يسـير بأمتـه العربية إلى شاطئ الأمان بجرأة وشجاعة ونظرة ثاقبة بعيدة المـدى رغم الظروف القاسية التي تحيط بأمتنا العربية وهذا يتم من خـلال حكمته وتحليله للمواقف في حينها واتخاذ القرارات المناسبة لتـذليل كافة الصعوبات التي تعترض طريقه في قضايا أمتـه دون التفـريط بالحقوق العربية كاملة وضمن خط منهجي استراتيجي مرسوم وبذلك يكون قد استحق أن يكون المفكر الاستراتيجي الحق بالإضافة لكـل مااتّصف به من جوانب أخرى.

الفصل الثامن

ملامح الاستراتيجية العربية ومستقبلها من خلال الصراع العربي- الاسرائيلي

أولاً - الخطوط الأولى من الاستراتيجية العربية:

بعد النكسات العربية المتكررة والاحتلال المباشر للوطن العربي الذي قاد الأمة العربية إلى الخضوع للاستعمار الذي بات يتحكّم في مصائر هذه الشعوب التي لازالت آثاره موجودة حتى يومنا هذا اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وفكرياً واجتماعياً، فلا بد لأمتنا من النهوض ومواجهة الخطر والاستفادة من الدروس الماضية وأخذ العبر منها، وهذه المواجهة يجب أن تكون بالتأكيد ذات طابع علمي خاضع لمخطط استراتيجي سياسي مدروس ومبني على حقائق الوضع الراهن بسلبياته وايجابياته لخلق مناخ سياسي داخلي وخارجي ملائم لحركة القوات المسلحة العربية في الصدام الحتمي المقبل واختيار أسلوب للسياسات العربية الخارجية بعد تحديدها والاتفاق عليها لضمان كشف العدو وتفنيده وفتح مجالات العمل السياسي أمامه وذلك بالاعتماد على قدراتنا الذاتية وامكاناتنا وتسخير هذه الامكانات لصالح المعركة والتركيز على الاعتماد على

أنفسنا في تصنيع الأسلحة الحديثة المتطورة التي تتوافق مع التطور الحالي التكنولوجي بالإضافة إلى زيادة الترابط السياسي مع الـدول الاشتراكية والتقدمية والاسلامية والصديقة في العـالم، وهـذا كلـه لايأتي إلا بعد تحقيق الوفاق السياسي العربي للأمة العربية، وبنفس الوقت العمل على تفتيت السياسة المعادية خارجيـاً وعلـى جميـع المستويات وتقوية ودعم المقاومـة الفلسـطينية داخـل فلسـطين وخارجها وتوحيد صفوفها واعتبارها الشارة الأولى في أي معركـة مقبلة مع عدونا الاسرائيلي، ويجـب أن لايغيـب عـن أذهاننـا إن معركتنا مع العدو الاسرائيلي لن تنتهي أبداً لأنه صراع وجود وليس صراع حدود، وكذلك فهناك قضايا تحرر أخرى في الوطن العربي من محيطه إلى خليجه يأتي دورها فيما بعد، وقبل أن نبحث في خطـوط الاستراتيجية العربية لابد أن نحدد الأرضية السياسـية التـي نقـف عليها في ضوء حرب تشرين التحريرية باعتبارها الانطلاقة الأولـى في مسيرتنا أي يجب أن تبدأ من حـرب تشـرين التحريريـة عـام ١٩٧٣م وليس قبلها، ومن معطياتهـا يمكـن أن نرسـم الخطـوط الاستراتيجية المستقبلية.

وعندما نطرح قضية التحرر السياسي[٧٦] يجب أن نطرح قضية التحرر الاقتصادي لأنها أصبحت مرتبطة بها ارتباطاً كلياً ومصـيرياً فالتحرر السياسي يعني التحرر الاقتصادي والعكس صـحيح أيضـاً وكذلك فإن ربط التحرر السياسي بالاقتصادي يعطي مفهوماً واضحاً، شاملاً للاستراتيجية المقبلة والأمة العربية تمتلك الأسس الاستراتيجة لذلك، فأمتنا العربية تمتلك موارد زراعية وصناعية هامـة وتمتلـك أيضاً موقعاً تجارياً استراتيجياً بحكم مساحتها وعدد سكانها وموقعها الجغرافي في العالم، وهي تمتلك أيضاً البترول والأرصدة الموجـودة في البنوك الدولية ويشكل البترول حوالي ٥٨% من الاحتياطي العام في العالم، ومع ذلك فنحن لانملك أي صناعات ثقيلة وأخـص هنـا الصناعات العسكرية والتقنية التي تخدم قضايانا السياسية ونستورد

صنوف الأسلحة من الدول الغربية والشرقية ونتركها تتحكم بنا مـن خلالها وحسب متطلبات سياساتها تجاهنا، ونحـن مهـددون بـذلك باستمرار كما هو الان بعد انهيار الاتحـاد السـوفياتي الـذي هـو المصدر والممول الرئيسي لأغلب الدول العربية وعلى رأسها مصـر وسوريا.

لقد انتقل عصرنا اليوم من عصر الأحلاف إلـى عصـر الكتـل (شرقية - غربية) كما نعلم وكذلك إلى القطبية الواحدة التي تمتلكها حالياً الولايات المتحدة الأمريكية الداعمة لاسـرائيل فـي المنطقـة، سياسياً واقتصاديا وعسكرياً وحتى استراتيجياً، فاسرائيل لها ارتباط وثيق في الولايات المتحدة الأمريكية وهذا الارتباط بمثابة الرأس من الجسد وتعتبر قاعدة متقدمة لها ومستودع أسلحة أيضاً.

إن كشف اسرائيل وأهدافها في منطقتنا على بسـاط الأرضـية الدولية وتعرية نازيتها وخطرها على العالم وفـي أنهـا اسـتعمار استيطاني شرس يهدد مصالح العالم ويجعلها في موقع حـرج أمـام الكثير من دول العالم، إن الأسلحة التي سبق ذكرها تعتبر ذات فعالية إذا أحسنّا استخدامها والتعامل معها على ضوء المستجدات العالميـة وتخدم بالتالي قضايانا المصيرية في المنطقة كما هو الحال في الكثير من الدول الغربية وعلى رأسها فرنسا التي بدأت تقف إلى جانبنا ولو بشكل محدود حالياً وخاصة في دعم مسيرة السـلام فـي المنطقـة بالتعاون مع الدول الأوربية بعد أن وصلت قضية السلام حالياً إلـى طريق مسدود بسبب التعنّت الاسرائيلي.

إن الوحدة العربية وتحقيق التلاحم السياسـي العربـي شـيء أساسي في ترسيخ ورسم ملامح اسـتراتيجيتنا المقبلـة فالوحـدة العربية والتضامن العربي ضرورة مصيرية لابد منها، للصمود أمام الغزو الصهيوني الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط وحتى نصل إلى هذه الغاية علينا أن نُعد القاعدة الجماهيرية، فـي الـوطن العربـي وعلى رأسها الطليعة الواعية المثقفة لتكون بمثابة العمود الفقـري

لهذه الجماهير من المحيط إلى الخليج والتي تستطيع فرض هذا التضامن على الحكّام العرب وثبت أن أي تضامن عربي أو حتى وحدة عربية بين بعض الأقطار لن يكتب له الحياة إلا إذا استند على ماأسلفت.

وكما أن للأحزاب الثورية التقدمية في الوطن العربي دوراً أساسياً في قيادة الجماهير العربية وتوجيهها بالطريق الصحيح وحزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي يعتبر من الأحزاب الثورية التقدمية المهيئة لأخذ مثل هذا الدور سواء في المرحلة الراهنة أو حتى المقبلة.

واستناداً أو انطلاقاً مما أسلفت ينبغي علينا أن نحدد الخطة التي يجب أن نعتمدها في وضع استراتيجيتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية بعد أن توضحت ملامحها لنؤكد على أن عدونا الأساسي هو الامبريالية الممثلة حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية التي تمثلها اسرائيل في منطقتنا وعليه فإن ساحة الصراع يجب أن تشمل الأرض العربية بكاملها وفلسطين أول الطريق إلى ذلك وسواء اعتمدنا الحرب الثورية الطويلة الأمد أو الحروب التقليدية فإن ذلك يحتاج بالتأكيد إلى ثورة فكرية وثقافية للإنسان العربي من المحيط إلى الخليج.

ويحضرنا سؤال قد يخطر على الذهن، وطرح مثل هذا السؤال ضروري لكل عربي ثوري، ترى هل يمكن أن نقوم بتحرير أراضينا المحتلة وعلى رأسها فلسطين قبل توحيد الأمة العربية أم بعدها؟ والجواب على ذلك أنه لايمنع لاهذا ولا ذاك لأن فرض معركة التحرر العربي من خلال الوحدة العربية المتماسكة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً أفضل بكثير من خوضها في ظروف أخرى، ولكن ذلك ليس شرطاً يقف أمام تحقيق أهدافنا فليست الوحدة العربية الوسيلة الوحيدة للتحرر، أو لنكون أكثر وضوحاً فقد لاتكون الحرب نفسها هي الحل الوحيد لحل مثل هذه القضايا وهذا مانراه ونلمسه ونحسه

اليوم فيما يجري على الساحة العربية من طرح مبادرات سلمية قـد نصل من خلالها إلى الأهداف المنشودة التي تضمن الحدود الدنيا من استعادة أراضينا المحتلة وحل القضية الفلسـطينية حـلاً عـادلاً أو مقبولاً على الأقل، وباعتقادي أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلـك القدرة على فرض شروطها على العدو الاسرائيلي والضغط عليه في هذا الوقت بالذات لأنها تحس أنها في عزلة عالمية وخاصة الأوربية ووقوف أمريكا إلى جانبها اليوم وخاصة بعد أزمة الخلـيج يجعلهـا تحس بالطمأنينة وامكانية الاستغناء عن الدعم العالمي بأسره طالما أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تفردت بالقوة العسكرية في العالم، ولو استغلّت الولايات المتحدة الأمريكية في هـذا الوقـت نفوذهـا ومارست الضغط على اسرائيل لتمكنت من تحقيق السلام في المنطقة لقبول الدول العربية بالحدود الدنيا لحقها العربي فـي حـل قضـية الصراع العربي- الاسرائيلي نتيجة الظروف السيئة التي تمـر بهـا حالياً.

ويجب أن لايغيب عن أذهاننا جميعاً أن الأمة العربيـة وعلـى رأسها سوريا الصمود لايمكن أن تفرط بالحق العربي مهما كلفتهـا التضحيات وأن قبول السلام مقابل الأرض وحل القضية الفلسـطينية بالشكل الذي يضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني هو الحـد الأدنى الذي يمكن التنازل عنه ولن تفرط بشبر واحـد مـن الأرض المحتلة مهما كان الثمن، وسوريا اليوم وعلى رأسها القائـد حـافظ الأسد لن تقبل السلام الذي يعني الاستسـلام ولكنهـا تقبـل سـلام الشجعان الذي يضمن حقوقنا العربية ولن تفـرط بـه أبـداً وهـذا مانلمسه اليوم على الساحة العربية.

أعود للقول إن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظـر في سياساتها واستراتيجيتها في المنطقة بـرغم أن مصـالحها فـي المنطقة مؤمنة اليوم بشكل أفضل مما كانت عليه نتيجة أزمة الخليج ونصبت نفسها الوصي الوحيد على المنطقة إلا أن الاسـتمرار فـي

دعمها لاسرائيل والوقوف إلى جانبها بشكل مفضوح وصـريح قـد يضع أمام الكثير من القادة والحكام والملوك العرب فكرة إعادة النظر في سياساتهم والتراجع عنها وهذا بطبيعته يشـكل تحـويلاً مـؤثراً وخطيراً على الولايات المتحدة الأمريكية ويهدد مصالحها، هذاإذا لم نفترض ظهور قوى عالمية أخرى تفرض تعددية الأقطاب في القـوة العسكرية وتخلق توازناً جديداً في العالم وبالتالي في منطقتنـا كمـا كان حال الاتحاد السوفياتي في المرحلة الماضية.

ثانياً - مستقبل الاستراتيجية العربية من خـلال الصـراع العربـي الاسرائيلي[٧٧]:

منذ مطلع القرن الحالي والأمة العربية تعيش صراعات مختلفة في كافة الميادين مع الصهيونية والامبريالية وهي في حالـة بحـث مستمر عن سبيل للخلاص من هذا المرض الخبيث التي يهدد الكيان العربي والذي يجثم على صدرها ويشكل عبئاً ثقيلاً على مرتسـمات المستقبل العربي ويجعلنا في دوامة البحث المستمر والدؤوب عـن السبل والوسائل للخلاص من هذا الجرثوم الفتّاك.

إن دعوتنا المستمرة إلى الحرب سابقاً هي قي الحقيقـة دعـوة نحو العدل وليس حباً في الحرب ذاتها كعدوان لإيماننا العميق والأكيد بأن " ماأخذ بالقوة لايستعاد إلا بالقوة " ومن هنا جـاءت الحـروب والمعارك الطاحنة التي خاضتها الأمة العربية برغم عـدم وضـوح الخط الاستراتيجي لهذه الحروب جميعاً ولكنها تبقى محاولات جـادة لاستعادة حقنا العربي بالقوة العسكرية بعد أن فشلت جميع الطـرق والوسائل الأخرى في استعادة هذا الحق، ولـو تـوفّر لمثـل هـذه الحروب التنظيم الجيد والتخطيط المدروس لكانـت نتائجهـا أفضـل بكثير مما آلت إليه، ونحن في استعراضنا السريع والمقتضب لبعض هذه الحروب نبغي قبل كل شيء معرفة الواقع الذي عاشـته أمتنـا العربية في تمزقها وتجزئتها وواقعها المر والظروف المحيطة بهـا، في الوقت الذي كانت تواجه فيه عدواً جاداً كل الجدية فـي تحقيـق

أهدافه المرسومة باستخدام جميع الوسـائل والطاقـات والامكانـات بشكل مخطط ومدروس ومنظم مدعوماً بالامبريالية العالميـة التـي تمكنه من تحويل أي صراع معه أو حرب إلى تحقيق المزيـد مـن الانتصارات التي تخدم تنفيذ استراتيجيته في المنطقة، وعليه نجد أنه من الضروري بمكان أن نقسم الموضوع إلى عدة مراحل يتم دراسة وتحليل كل مرحلة بمرحلتها ثم الربط بـين هـذه المراحـل جميعـاً للوصول إلى رسم خطط استراتيجية للمستقبل العربي يمكن أن تكون من الدراسات الفكرية المطروحة أمام الرأي العام العربي مع إيماننا المطلق بأن تحويل أي نظرية إلى واقع عملي ملموس يجسـد إرادة الجماهير الثورية في تطلّعاتها المستقبلة واثبـات قـدراتها الذاتيـة يحتاج إلى التضحيات والجهد الدؤوب المتواصل، ولا فائدة للنظريات إذا بقيت حبراً على ورق، أو لم نحسن اختيـار الفـرص المناسـبة لاستخدامها وهذا هو السبب الرئيسي في الحديث عن القـدرة علـى تحويل النظرية إلى واقع والعلاقة بينهما.

ونبدأ بتحليل مراحل الصراع العربي - الصهيوني منذ البـدء: من المسلّم به أنه لايمكن لأي أمة أن تحقق النصر على عدوها مالم تستخدم جميع امكاناتها وتسخّرها لصالح المعركة وخاصة إذا كـان عدوها يفعل ذلك، والواقع الذي لايمكن نكرانه هو أن الأمة العربيـة والشعب الفلسطيني لم يستخدموا جميع الوسائل والامكانات المتوفرة لديهم، ولم يسخّروها لصالح المعركة مما نتج عنه الهزائم المتكررة واحتلال المزيد من الأراضي العربية ونبدأ القضية من أولها: كانـت فلسطين وعدد كبير من الدول العربية قبل الحرب العالميـة الأولـى تحت سلطة الدولة العثمانية، ولما انتهت الحرب جزأت البلاد العربية إلى دويلات وتقاسمها الاستعمار فيما بينه وكانت فلسطين من نصيب الاستعمار البريطاني الذي شاركته الصهيونية عليهـا فيمـا بعـد، وسلّمتها المفتاح برغبة وإرادة، لقـد نمـت العصـابات الإرهابيـة الصهيونية في فلسطين في الوقت الـذي كـان فيـه الفلسـطينيون

يجردون من السلاح ورغم ذلك فقد أثبت الشعب العربي الفلسطيني من خلال ثوراته العديدة بدءاً من عام ١٩٢٠ وانتهاء بالثورة الكبرى عام ١٩٣٦م حيث وضعت الثورة بذرة أول تضامن عربي بين الدول العربية واشتركت فيها جماعات مسلّحة من عدة دول عربية، ولكن الملوك والرؤساء العرب وجهوا أول طعنة لهذه الثورة في طلبهم من اللجنة العربية العليا عرض القضية على اللجنة الملكية، وبعدها كانت ثورة عام ١٩٣٧ وثورة عام ١٩٣٩م ونضال ١٩٤٧ - ١٩٤٨م ولم تتمكن الدول العربية من النجاح في تجربتها لرزوخها تحت سيطرة الاستعمار وعدم توفر الوعي القومي والعسكري. وفي عام ١٩٤٥م نشأت الجامعة العربية، وفي عام ١٩٤٦م اجتمع الرؤساء العرب في مؤتمرهم الأول ولم يصدر عنه أي قرارات سياسية تشكل مضموناً صحيحاً نحو القضية.

وفي عام ١٩٥٠م سارعت الدول العربية لتوقيع معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي ولكنها كانت خطوة غير جدية، وخلال الفترة بين عام ١٩٥٢ - ١٩٥٨ عقدت عدة اتفاقات عسكرية ثنائية وثلاثية ولم تكن أيضاً الرد الصحيح على التحديات التي تواجهها الأمة العربية لافتقارها إلى جهاز سياسي يعطيها التوجيهات اللازمة وإلى قيادات عسكرية تعطي القرارات السليمة الناجحة وترسم الخطط المدروسة، وفي عام ١٩٥٨م ولدت وحدة عربية بين سورية ومصر حيث كانت أول رد عملي على التحديات الصهيونية والاستعمار ونواة حقيقية لوحدة شاملة، وكان ميلاد هذه الوحدة زلزلة بنيان الاستعمار والصهيونية، ولكنها قتلت وهي في المهد، وكانت من نتائجها الانفصال واستمرت السياسات العربية في تخبطّها حتى عام ١٩٦٣م حيث انعقد أول مؤتمر للقمة العربية بدعوة من الرئيس جمال عبدالناصر والذي كان من قراراته إنشاء قيادة عربية موحدة - وتنظيم الشعب الفلسطيني واستغلال مياه نهر الأردن. ولو استعرضنا ببعض التفصيل المراحل التي مر ذكرها لوجدنا أن

الجيوش العربية دخلت فلسطين عام ١٩٤٨م بناء على توجيه اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية على مرابطة هذه الجيـوش علـى الحدود بينما يتولّى الفلسطينيون الدفاع عن أنفسهم بعد توفير الدعم اللازم لهم، وما لبثت اللجنة أن قررت دخول الجيوش العربية إلـى فلسطين وتوحدت بقيادة اللواء اسـماعيل صـفوة ولكنـه اسـتقال للصعوبات التي واجهته وتولّى الملك عبدا بنفسه القيـادة، وكـان هذا كافياً منذ البداية للانزلاق في متاهات طويلة لما تمتلكه بريطانيا من تأثير على الملك عبدا بالذات، لقد دخلـت الجيـوش العربيـة فلسطين بدون وجود استراتيجية واضحة أو هدف مرسوم أو حتـى تنسيق فيما بينها، فدخل الجيش السوري عن طريق وادي اليرموك، وهاجم الجيش العراقي من اتجـاه وادي بيسـان، واحتـل الجـيش الأردني القدس القديمة، وزحف الجيش المصري من اتجاه العريش، وكانت القرارات والخطط لهذه الجيوش تتغير باستمرار دليـل عـدم وجود تخطيط موحد ومنظم ومدروس لها، وقد كانت النتيجة انفـراد الجيش الاسرائيلي بكل جبهة على حده لعدم وجود أي تعـاون بـين الجيوش العربية المشتركة في الحرب وتنسيق مع الشعب الفلسطيني وجيش الانقاذ وقد اشتركت القوات اللبنانيـة أيضـاً فـي المعـارك الجانبية، وكان توزيع الجيوش العربية من اتجاهـات متعـددة مـع وجود المقاومة الفلسطينية وجيش الانقاذ ومع وجـود قائـد لهـذه الجيوش كافياً وبقليل من التخطيط والتنظيم والتعاون لتحقيق النصر على العدو ولكن الجيوش العربية اعتبرت عملياتها فـي فلسـطين مجرد ثأر وتنفيذ واجب قومي لاتخطيطاً لتحقيق النصر، في الوقـت الذي كان فيها الصهاينة يملكون استراتيجية واضحة ويعملون بشكل مدروس ومنظم، وكان التخطيط العربي واضحاً أنه يفتقر لعدة أمور سياسية وعسكرية لعدم وضوح الرؤيا والهـدف العسـكري وعـدم التنسيق أيضاً، مما أدى إلى خروجها من المعركة مهزومـة بـرغم المعارك المشرفة التي خاضتها الجيوش العربية وخاصـة الجـيش

المصري والسوري وكان الشعب وقتئذٍ يعيش في وهم كانت ترسمه القيادات السياسية له بشكل خاطئ وأدت الهزيمة فيما بعد إلى قبول اتفاقية الهدنة.

وبعد اتفاقية رودوس[٧٨] عام ١٩٤٨م كانت الجيوش العربية تفتقر إلى السلاح وإلى القيادات العسكرية الجيدة ووجدت نفسها وخاصة الجيوش التي تحيط باسرائيل أمام حدود طويلة فأقامت الدفاع السلبي وكان التوتّر يسود الحدود باستمرار دون أي ردود فعل ايجابية تُذكر سوى بعض التحشدات والاشتباكات البسيطة، وحتى عام ١٩٥٥م حيث تمكّنت سورية ومصر من كسر طوق احتكار الأسلحة وشراء بعضها من الاتحاد السوفياتي وقبل ان يتمكّنا من النهوض كانت حرب عام ١٩٥٦م (العدوان الثلاثي) على مصر في الوقت الذي لم يتمكّن فيه الجيشان من تنفيذ عقيدتهما القتالية والتدريب الكافي على هذه الأسلحة الجديدة، وقد لجأت بعض الدول العربية إلى اتفاقيات ثنائية للدفاع المشترك بين سوريا ومصر عام ١٩٥٠م ، وبين سوريا والأردن عام ١٩٥٦م، وبين مصر والسعودية ١٩٥٠م أيضاً، وكان ذلك شعوراً منها بالحاجة إلى الوحدة العسكرية والتعاون والتنسيق العسكري كي لاتتمكّن اسرائيل من الانقضاض عليها تباعاً، ولكن هذه الاتفاقيات لم تكن كافية حيث بقي مضمونها في حيز النظرية، بعيداً عن التطبيق الفعلي والذي بشكل أو بآخر يفيد اسرائيل لأنها تضاعف من جهودها للتصدي لمثل هذه الاتفاقيات الغير جدية مما يعطيها دفعاً وقوة جديدة تقوى على مر الأيام.

وفي عام ١٩٥٦م قامت اسرائيل متواطئة مع فرنسا وانكلترا بالعدوان الثلاثي على مصر، وفي عام ١٩٥٨م كانت الوحدة بين سوريا ومصر ولكن الانفصال كما قات عاجلهما ففي عام ١٩٦١م تم ضرب أول نواة للوحدة العربية، حتى جاءت القوى التقدمية وعلى رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية فقضت على

الانفصال الأسود المشؤوم وأعادت للقطر العربي السـوري وجهـه الحقيقي في اتجاهه الوحدوي التقدمي، وفي عـام ١٩٦٤م أنشـأت القيادة العربية الموحدة، ونتيجة مؤتمر القمـة الأول وبعـد ثـلاث سنوات أي عام ١٩٦٧م نشبت حرب حزيران، ونظراً لعـدم وجـود تنسيق عملياتي موحد بين الجيوش العربية التي دخلت الحرب فقـد خسرنا الحرب أيضاً من جديد، وكان من الممكن توجيـه ضـربات جوية وأرضية قوية من عدة جبهات تكون كافية لتحقيق النصر على العدو ولكن كما ذكرنا فإن عدم وجود أي تنسيق فيما بـين القـوات المشتركة في الحرب ولأسباب أخرى أدت إلى الهزيمة مـن جديـد برغم القدرة القتالية والامكانات المتوفرة لهـذه الجيـوش تقريبـاً ولجهلنا الفعلي بامكانات عدونا وقدراته القتالية، وعليه فقد فقـدت الدول العربية المواجهة لاسرائيل في حرب حزيران وما آل إليها من احتلال أجزاء جديدة من أراضيها واضافت عناصر استراتيجية جديدة سيكون لها منعكساتها في الحروب المقبلة مع العدو نظـراً لاتسـاع الأرض التي يحتلها العدو واحتلال مواقع استراتيجية فيها، وخاصـة في المرتفعات السورية، وكما نعلم على الجبهـة السـورية احتلـت هضبة الجولان التي كانت مشرفة على مستعمرات الدولة وطبريـا والتي كانت تطالها المدفعية السورية مما وفّر لها أمنـاً واسـتقراراً جديدين وأصبحت المدن السورية مكشوفة أمام العدو، وكذلك علـى الجبهة الأردنية فقد أصبح خط وقف اطلاق النار يستند إلـى نهـر الأردن وعلى سلسلة جبلية تُعطي العدو ميزات رائعة بعد أن كانـت الجبهة الأردنية خنجراً موجهاً إلى قلب العدو، أمـا علـى الجبهـة المصرية فسيطرت اسرائيل على الضفة الشـرقية لقنـاة السـويس وعلى قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وأصبحت تهدد بأسلحتها مدن القناة وأصبحت القناة بطبيعتها تشكّل منطقة دفاعية للطرفين.

وبرغم الحروب الثلاثة الماضية[٧٩] والتي سـبق استعراضـها وبرغم الدروس المستفادة من هـذه الحـروب فقـد كـان العـدو

الاسرائيلي يرفع من جاهزيته القتالية باستمرار ويدعم قدراته منفّذاً استراتيجيته العسكرية والسياسية المرسومة بشـكل دقيـق وحتـى أفضل مما يتوقّع أحياناً لنجد الأمة العربية لازالت مجزأة ضـعيفةلم تتمكن من اعداد نفسها الاعداد الـلازم التـي يمكنهـا مـن رسـم استراتيجية عسكرية صحيحة تُمكنها من تحقيق النصر في المستقبل على العدو مستفيدة من الدروس الماضـية مسـتوعبة التطـورات الجديدة للصراع المسلّح في الحروب الحديثة رغم مضي حوالي ستة سنوات على حرب حزيران فقد جاءت حرب تشرين التحريرية عـام ١٩٧٣م وهي الحرب الرابعة التي يخوضـها العـرب مـع العـدو الاسرائيلي دون التمكّن من الوصول إلى النتائج الايجابية المرجـوة من الحرب برغم الامكانات والقدرات القتالية المتـوفرة والجاهزيـة القتالية أيضاً بسبب عدم وجود استراتيجية عسكرية وسياسية مسبقة من قبل كافة الدول العربية التقدمية وقد جاءت ردود فعل قسم كبيـر منها بعد نشوب الحرب نتيجة الانفعالات العاطفية ولو توفرت قبـل نشوب الحرب ووضعت في الحسبان ضمن المخططات القتالية التـي رسمتها دول المواجهة وعلى رأسها سوريا ومصر والأردن لأعطت نتائج أفضل بكثير وقد تغير وجه الحرب، ولكن ردود الفعل العاطفية التي جاءت بعد الحرب - كما ذكرت- سـواء منهـا العسـكرية أو المادية والمعنوية، فقد كانت نتيجة لقيام الحرب وليس بسببها وهذا مايفقدها أهم عناصرها الحيوية المؤثّرة، ولم تتمكن دول المواجهـة من تحقيق النصر المطلوب كما يجب وكما هو مرسوم وإنما تمكنـت هذه المرة من تحقيق بعض الانتصارات في بعض المجالات وخاصة منها المعنوية والنفسية وإثبات قدرة الإنسان العربي على اسـتخدام الأسلحة المتطورة والأساليب القتاليـة الناجحـة والتصـدي للعـدو بجدارة.

وعليه فإن على العرب أن يعدوا لحرب خامسة مع العدو تكـون نتائجها مضمونة وفق اطار استراتيجي سياسي عسـكري مرسـوم

لامجال فيه للاحتمالات والتوقعات من جميـع النـواحي العسـكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وزج كافـة القـدرات والطاقات العربية لصالح المعركة قبل أن يستعصـي هـذا المـرض الجرثومي في الخطر الذي يمتد يوماً بعد يوم ليشمل الجسم العربـي بالكامل مدعوماً بالاستعمار والامبريالية وعلـى رأسـها الولايـات المتحدة الأمريكية وهذا بـالطبع لايمكـن تأمينـه إلا وفـق خطـط استراتيجية مرسومة تزج من خلالها جميـع الطاقـات والإمكانـات المتوفرة التي تزيد من احتمالات النصر. وكما قال الجنرال "كـلاوز فيتز" أن البلد يحكم على نفسه بالهزيمة عندما يمتنع عن اسـتخدام جزء من وسائله في الوقت الذي يصمم فيه خصمه علـى اسـتخدام وسائله كلها".

فكيف إذن وإن القسم الأكبر من الطاقات والقدرات والامكانـات والوسائل العسكرية والاقتصادية والسياسـية والبشـرية والماديـة والفكرية غير موضوعة لصالح المعركة، برغم وفرتها فـي جميـع المجالات، ومن هنا يمكننا القول ونتيجة لكل ماأسلفنا مـن وضـع مخطط نظري مرسوم ومدروس لنواة استراتيجية عربيـة أو علـى الأقل ملامح استراتيجية يمكن من خلالها تحقيق النتائج الايجابية في أي حروب مقبلة مع العدو الصـهيوني أو غيـره" فالاسـتراتيجية بمعناها الصحيح هي القدرة على التحكم والسيطرة علـى الوسـائل العسكرية والاقتصادية والفكرية وتوجيهها بالاتجاه الصحيح للوصول إلى الأهداف السياسية المرسومة للأمة والتـي بتحقيقهـا تتحقـق الاستراتيجية التي توفّر لنا الجاهزية لخوض الحرب وتحقيق النصر المؤكد لها".

أما الأسلوب المفروض اتباعه لتحقيق هذه الاستراتيجية فهـو يعتبر مسؤوليات القيادات السياسية التقدمية للحكومات العربية بعـد تهيئة المناخات الملائمة وتحضير الجماهير العربية لمثل هذا الأمر، وبرغم الخطط اللازمة لضمان الاستمرارية لها وتطبيقهـا وضـمان

نجاحها وهي قد تكون متطورة ومتبدلة حسب الظروف المحيطة بها بشرط ضمان استمراريتها وارتكازها على قاعدة جماهيرية واعيـة تملك القدرة على تحمل المسؤوليات وتنفيذ المخططات التي رسمتها قياداتها السياسية، أما فيمـا يتعلـق بـالحروب الأخـرى كـالغزو الاسرائيلي للبنان - والحرب العراقية - الايرانية والحرب العراقيـة - الكويتية وما آلت إليه ازمة الخليج فلن أتحدث عنها هنـا لأننـي أفردت لها حيزا منفصلاً عن الموضوع الذي نحن بصدده الآن.

إن اسرائيل وخلفها الولايات المتحدة الأمريكيـة حريصـة كـل الحرص باستمرار، للتصدي لأي تحـرك سياسـي أو عسـكري أو اقتصادي في المنطقة في حينه قبل ان يكبر ويمتد حتى يصبح خطراً عليها، وهي تعتبر أن "الهجوم خير وسيلة للدفاع" أما فيمـا يتعلـق بالحروب الأخرى التي تم ذكرها من قبل فقد تقصدت المرور عليهـا بشكل سريع من خلال الدراسة والتحليل فقط وليس من خلال جبهات القتال لأننا نبحث هنا في ملامح استراتيجة جديدة وعلينا أن نستفيد من تجاربنا الماضية في مثل هذه الحروب، لنأخـذ منهـا الـدروس والعبر التي تدفع بتجاربنا العسكرية إلى الأمام.

إن البحث في ملامح استراتيجية عربية(٨٠)، أو رسم استراتيجية مقبلة لها لايستدعي الخوض في التفاصيل الجزئية لهـذه الحـروب ولكنها تعنى بالنتائج والـدروس والعبـر المستخلصـة والأسـلوب المطلوب اتباعه في المستقبل -ويمكن أن نعد دراسة تفصيلية فـي المستقبل مستقلة للحروب العربية - الاسرائيلية مرفقة بالمخططات والخرائط التي تتعلق بجبهات القتال ونتائجها وكـل مـايتعلق بهـا والظروف التي سبقتها والنتائج المستخلصة منها.

لقد علّمنا التاريخ أن "إرادة الشعوب لاتقهر" والشعوب وحـدها هي التي تنتصر أخيراً، ولكنها بالوقت الحاضـر تحتـاج إلـى مـن يوجهها ويرسم معالم خطها العمودي والأفقي على جميع المستويات ويهيئ لها المناخ المناسب داخلياً وخارجيا، عربياً ودولياً من جميع

الجوانب السياسية والعسكرية، والاقتصادية والفكرية كي تتمكن من تحقيق استراتيجيتها وهي واثقة من نتائجها " لأن الإنسان والإنسان وحده هو القوة الأساسية في التضحيات وبـذل الجهـد وإذا ماأعـد اعداداً فكرياً ناضجاً واعياً، وكذلك اعداداً جسدياً في تحمل المشـقّات وتجاوز الظروف القاسية التي قد تحيط به ودرب تـدريباً يتناسـب والمهام المطلوبة منه فإنه بالتأكيد يصنع المستحيل وبغير ذلك تبقى الأسلحة مهما كانت متطورة مجرد أداة له، وتظل النظريات والأفكار والاستراتيجيات حبراً على ورق إذا لم يكن الإنسان والإنسان وحـده مهيئاً التهيئة اللازمة لتنفيذ مايطلب منه.

ولو ألقينا نظرة تحليلية ودراسة للظروف المعاصرة التي تحيط في المنطقة ونحن في نهاية القرن العشـرين وأمـام المسـتجدات والتطورات الداخلية والخارجية، العربية والدولية السريعة في تبدلها وتغيراتها والتي تتطلب النظرة الثاقبة والسريعة والشاملة لما يجري من أحداث في العالم وفي منطقتنا لأدركنا حجم المسؤوليات والمهام المطلوب توفرها في قياداتنـا السياسـية - وأقصـد هنـا القـادة السياسيين للدول العربية- وسننهي دراستنا بالحـديث عنهـا ولـو بشكل مقتضب ونبدأ بانهيار النظام الاشتراكي وعلى رأسه الاتحـاد السوفياتي ولقد كان لهذا الانهيار التأثير كل التأثير علـى القضـية العربية وعلى الصراع العربي- الاسرائيلي لأسباب عديدة أهمها ان بعض الدول العربية وعلى رأسها سورية ومصـر كانـت تسـتورد الأسلحة المتطورة من الاتحـاد السـوفياتي وقـد فقـدت المعـين والاستمرارية في تأمين متطلباتها القتالية إثر هذا الانهيار، كمـا أن تحول النظام العالمي من القطبية الثنائية إلى هيمنة القطب الواحـد أوجد خللاً في التوازن الاستراتيجي أو الدولي في العـالم، وخاصـة وأن النظام الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السـوفياتي كـان يـدعم مواقفنا وقضايانا المصيرية على عكس الولايات المتحدة الأمريكيـة

التي زادها التفرد بالقطبية والقـوة العسـكرية غطرسـة ودعمـاً لإسرائيل.

لقد كشفت الولايات المتحدة الأمريكيـة النقـاب عـن وجههـا بالهيمنة على الوطن العربي من خلال أزمة الخليج والانقضاض على آبار النفط يغذّيها في ذلك الرغبة في التحكم بمسـار الأحـداث بعـد الوحدة الأوربية، والنهضة الاقتصادية اليابانية، ووقفت إلى جانـب الصهيونية باعتبارها ضماناً استراتيجياً لمصالحها فيـي المنطقـة، وللأسف فلقد قدم صدام حسين للولايات المتحدة واسـرائيل سـواء بجهله وغبائه أم بخيانته التي لاتغتفر له من قبل الأمة العربية، أجل قدم لأمريكـا والصـهيونية مـالم يـتمكن أن تقـدمها لهـا حتـى استراتيجياتها في المنطقة مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تتفرد في هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط وتعتبـر نفسـها الوصـية الوحيدة لحماية مصالحها ومصالح الدول الغربية نفسها وغيرها لما لها من علاقات اقتصادية في منطقة الخليج وخاصـة فيمـا يخـص البترول، وقد لاحظنا ردود فعلها وردود فعل اسرائيل تجاه التحـرك الفرنسي والمجموعة الأوربية لدفع مسيرة السلام في المنطقة بعـد وصولها إلى طريق مسدود.

وبرغم مبادرة الولايات المتحدة الأمريكية لاحلال السـلام بـين العرب واسرائيل بالاشتراك مع الاتحاد السـوفياتي برعايـة الأمـم المتحدة والتأكيد على جديتها نجدها منحازة إلى الصـهيونية بشـكل سافر وفاضح وصريح وكأنها تفهم السلام بمثابة استسلام وتطالبنا بتطبيع العلاقات مع اسرائيل بلا قيد أو شرط مستخدمة حق الفيتـو في قرارات هيئة الأمم المتحدة وخاصة موقفها الأخير فـي مبـادرة السلام من خـلال المباحثـات السـورية - اللبنانيـة مـن جهـة والاسرائيلية من جهة اخرى، وإذا أخذنا بعـين الاعتبـار الصـراع العربي- الصهيوني منذ القدم وما آلت إليه فـي الوقـت الحاضـر لأدركنا الدور التي تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية في دعم سياسات

اسرائيل ومطامعها التوسعية سواء في توسيع الاستيطان أو توسعها الاقتصادي في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام والمنطقة العربية بشكل خاص.

ونظراً لأن اسرائيل اليوم اصبحت تمتلك الأسلحة النووية لتحقيق التفوق العسكري على العرب بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، ولن تسمح للعرب بامتلاك هذا السلاح حتى ولو استخدمت القوة العسكرية فهذا يعني أن التوازن العسكري مال إلى كفة اسرائيل في الوقت الحاضر.

وبرغم عملية السلام الجارية الآن في المنطقة بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية فإن سياسة أمريكا في المنطقة تقوم على ركنين: النفط واسرائيل، وترغب أمريكا أن تبقى اسرائيل هي الرابحة وكفّتها هي الراجحة في التسليح والاستعداد القتالي على خصومها العرب مجتمعين، ولها مواقف سياسية على قدر من الجرأة بالنسبة لبعض النقاط الأساسية في عملية السلام، منها ضرورة أن تقبل اسرائيل بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأن تنسحب اسرائيل من جميع المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة، وتتخلّى عن مشروع اسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، وكذلك تعديل الحدود بين العرب واسرائيل بما يضمن حاجات اسرائيل الأمنية وأن يعترف العرب باسرائيل اعترافاً دبلوماسياً كاملاً وأن يمنح الفسطينيون الحكم الذاتي مع الانضمام إلى الأردن أي أنه ينكر على الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره وإنشاء دولته المستقلة. وكذلك تشمل سياستها مرحلة التطبيع في المرحلة القادمة مع أنها تقتنع بعدم جدواها بسبب العداوة الطويلة والمتأصلة بين الجانبين.

وعليه ومن كل ماذكر فإن مايجب أن يضعه العرب في حساباتهم المستقبلية كي يرسموا ملامح استراتيجية عربية في المرحلة القادمة

تمكنهم من الصمود والتصدي لمثـل هـذه المخطـات أو القبـول ببعضها إذا ماتحقق العدل في حلها بما يضمن حقوق العرب.

وكذلك فإن على الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أن تعـرف أن المعاهدات والاتفاقات تستطيع أن تغير من سـلوك الـدول ولكنهـا لاتستطيع أن تغير مشاعر الشعوب.

إن السـلام فـي المنطقـة لـيس مسـألة أن يـتعلّم العـرب والاسرائيليون محبة بعضهم البعض، فلقد تبـادلوا الكراهيـة عبـر قرون وسوف تستمر، ولكن عملية السلام تعني أن يتعلموا العـيش بسلام برغم خلافـاتهم، إن التسـوية الدائمـة تقضـي أن يكونـوا منفصلين وأن تقوم بينهما حواجز من التدابير الأمنية الحقيقية التي إذا انتهكت تكلّف المعتدي أكثر مما كان يأمل به مـن مكسـب عـن طريق العدوان.

إن اسرائيل لاتريد أن تكون التسوية على هذا الأساس ولكنهـا تريدها من خلال التطبيع الذي سيضمن لهـا تنفيـذ اسـتراتيجيتها المرسومة وهي التوسع الاقتصادي في المنطقة الذي يوصلها بالتالي إلى اجتياح المنطقة اقتصادياً والسيطرة على رؤوس الأمـوال فيهـا والتوسع الذي تريده هو بالتالي توسع استعماري بحت تـتحكم مـن خلاله من جديد بخيرات ومقـدرات المنطقـة بكاملهـا، وحتـى أن موضوع الأمن المائي في المستقبل قد وضعته فـي حسـبانها منـذ القديم وكأنها تعلم ماسيؤول اليه حال هذا الأمر .

ومن هنا نجد أن على الدول العربية أن تعد العدة للتصدي لهذه الاستراتيجية الصهيونية ومخططاتها الاسـتعمارية الواسـعة فـي المنطقة وهو الشيء الذي لايبشّر بالخير حتـى الآن لأن التجزئـة والتفتت العربي والدخول في اتفاقات سـلام وتطبيـع مـع العـدو الصهيوني جعلت من موقف بعض الدول العربية الصامدة وخاصـة سورية موقفاً لاتحسد عليه، فسوريا برغم صمودها وتصديها لهـذه المخططات الصهيونية- والأمريكية معاً وكشف أبعادها أمام الـرؤى

العربية ومن خلال محاولاتها الدؤوبة في إحياء التضامن العربي في المنطقة مرة من أجل الصمود والتصدي ومرة أخرى التضامن من أجل السلام العادل والضغط على اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة عملية السلام بما يضمن حقنا في استرجاع كامل أراضينا المحتلة وحل القضية الفلسطينية حلاً يضمن للشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير، ومع كل الجهود المبذولة والتي لازالت تبذل من قبل سوريا بفضل قيادتها الحكيمة والرؤيا المستقبلية وبعد النظر السياسي والقرارات الجريئة للقائد حافظ الأسد، برغم كل ذلك وللظروف التي أحاطت بانهيار الاتحاد السوفياتي نجد سورية قد فقدت القدرة على التوازن العسكري مع العدو الصهيوني والذي حافظت عليه لفترة طويلة. إلاّ أن انهيار الاتحاد السوفياتي المصدر الأساسي لأسلحة سورية وضعها في موقف لاتتمكّن فيه من تأمين هذا التوازن العسكري ولو في هذه المرحلة بالذات، ليس أمام سوريا اليوم إلا أن تتابع مسيرتها النضالية جنباً إلى جنب مع متابعة مبادرة السلام التي تضمن لها حقوقها كاملة، وإلا فإنها يجب أن تتابع سياستها وخططها في إحياء التضامن العربي من جديد من خلال التعاون والتنسيق مع مصر بقيادة رئيسها حسني مبارك الذي يقف إلى جانبنا بكل مايملك ويضع ثقله في المطالبة بحقوقنا التي لاتنازل عنها بما لايخل باتفاقية كامب ديفيد بينه وبين اسرائيل والتي لامجال للحديث عنها الآن، وكذلك فإنه مما لاشك فيه أن الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج تقف إلى جانبنا في مشروعية حقوقنا إلى جانب بعض الدول العربية الأخرى التي تمتلك الإمكانيات في ممارسة الضغط على اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة مبادرة السلام بين اسرائيل من جهة وسوريا ولبنان من جهة أخرى ومما يجدر ذكره أن الموقف اللبناني حتى اليوم برغم الظروف التي يعيشها في مواجهة القصف اليومي المستمر على الجنوب والضغوط السياسية عليه لايزال

صامداً في وجه التحديات يقف إلى جانب سوريا في مبادرة السلام ويرفض أي حلول فردية أو اتفاقات ثنائية مع اسرائيل برغم المغريات التي قدمت له في المرحلة الأخيرة وهذا بفضل التنسيق والتعاون فيما بيننا والثقة بصلابة وصحة وعدالة موقفنا من العدو الاسرائيلي.

وباعتقادي إن سوريا ومن خلال سياستها الداخلية والخارجية، العربية والدولية قد وضعت ملامح استراتيجية سياسية وعسكرية واقتصادية مخططة بفكر ناضج ورؤيا بعيدة المدى، وتنبؤ نظري للمستقبل، وبعد نظر، وخبرة واعية بنوايا الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل وهذا بدوره يشكل استراتيجية مضادة تقف حائلاً أمام مخططات العدو الاسرائيلي في المرحلة الراهنة، ولكن هل تستطيع سوريا لوحدها وبامكاناتها المحدودة وحتى فيما إذا استطاعت أن تُحيي التضامن العربي وتكسب بعض القوى التقدمية في المنطقة من الوقوف إلى جانبنا.. بكل ماذكرت هل تستطيع أن تحقق نصراً على العدو في أي حرب أو معركة مقبلة ؟

قد تستطيع أن تعرقل مخططات العدو الاستعمارية وتفشل استراتيجيته المرسومة في المرحلة المقبلة وهذا في تقديري بامكانها نظراً للقدرات العسكرية والاقتصادية التي تخدم سياستها في هذه المرحلة ولكن ماذا يخبئ لنا المستقبل؟

هل يمكن لسوريا وحدها أن تحقق الأهداف التي رسمتها سياستها واستراتيجيتها؟

ولطالما أن صراعنا مع العدو الصهيوني صراع وجود لاصراع حدود، صراع بين الأمة العربية من المحيط إلى الخليج وبين الصهيونية الممثلة باسرائيل، إذا كان هذا حقيقة الصراع فيجب أن يكون بالتالي وقوف العرب كل العرب في وجه المخططات الاستعمارية التوسعية للصهيونية في المنطقة، أليس كذلك؟

فكيف للأمة العربية أن تصحوا مـن سـباتها؟ وهـل يتحقـق التضامن العربي في المستقبل؟

هل ستبقى الولايات المتحدة الأمريكية متفردة بالقوة العسـكرية في العالم وتفرض سياسة القطب الواحد؟ أم ستولد الأحداث وتتجدد التعددية القطبية التي تخلق التوازن الاستراتيجي في العالم؟ ومن هي القوى المرشحة لمثل هذا؟ أهي الوحـدة الأوربيـة؟ أم اليابـان؟ أم الصين؟ أم هما معاً؟ وهل للاتحاد السوفياتي أن ينهض من جديد؟

المستقبل والأيام حبلى بالمسـتجدات والمفاجـآت، والظـروف السياسية لايمكن التنبؤ بها وخاصة إذا كانت دولية وعالمية، وحتى استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها المطلق لاسرائيل في هذه المرحلة ألا يمكن أن تتبدل مسـتقبلاً؟ وهـل يسـتطيع العـرب مجتمعين بما يملكون من موارد اقتصادية ورؤوس أموال وقـدرات أخرى هائلة جغرافية وبشرية أن يؤثروا على استراتيجية الولايـات المتحدة الأمريكية في المنطقة ؟

بالتأكيد نعم ...

نعم للكثير من هذه التساؤلات، نعم للوحدة، نعم للتضامن، نعـم للصمود والتصدي، نعم للسلام العادل في المنطقة.

المستقبل يحمل في طياته الكثير الكثير.. والمتبدلات والمتغيرات في السياسات الدولية حبلى بالمفاجآت... والشعوب هي التي تنتصر في آخر المطاف... هي التي تنتصر في آخر المطاف...

الخاتمـــة

أخي القارئ الكريم :

أردت من كتابي الذي وضعته بين يـديك "فلسـطين فـي ظـل الصراعات الاستراتيجية" والذي حاولت أن أضمنه تسلسلاً منطقيـاً وتاريخياً لفصوله بدءاً مـن رواد الاسـتراتيجية الحديثـة وبعـض النظريات الاستراتيجية المعتمدة في العالم. مروراً بالحروب الأخيرة في الوطن العربي ومسبباتها ونتائجها ومنعكسـاتها، كمـا ضـمنته تاريخ فلسطين من الجذور وحتى القرن التاسـع عشـر، والحركـة الصهيونية ومراحل الغزو الصهيوني لفلسطين ورد الفعل الفلسطيني العربي، بالإضافة إلى استراتيجية اسرائيل السياسية والعسكرية حتى نهاية القرن الحالي، ونظراً لأن الولايات المتحدة الأمريكيـة تـدعم الصهيونية على حساب الوطن العربي فقـد كُشـفتْ الاسـتراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط من خلال سياسة القطب الواحد وتفردها بالقوة العسكرية في العالم وخاصـة بعـد أزمـة الخلـيج وتنصيب نفسها الوصي على منطقة الشرق الأوسط لحماية مصالحها في المنطقة وعلى رأسها اسرائيل وأمنها والبترول العربي ولتوضيح الغاية من مبادرة السلام التي طرحتها مؤخراً لالشـيء إلا لفـرض التطبيع بين اسرائيل والدول العربية لتحقيق استراتيجية اسرائيل في التوسع الاقتصادي في المنطقة واستعمارها من جديد...

وفيما يخص الأمة العربية ورسم ملامح استراتيجية عربية من خلال الصراع العربي- الاسرائيلي، والتي تقف سوريا في المواجهة بالصمود والتصدي وعدم التفريط بشبر واحد من الأراضي المحتلـة وعدم التفريط بالحقوق المشروعة للشعب الفلسـطيني فـي حقـه الطبيعي في تقرير مصيره، وبينت أيضاً الاستراتيجية في فكر القائـد حافظ الأسد من خلال دوره القيادي في المرحلة الراهنة، ومواقفـه المشرفة والصامدة، وقراراته السليمة والجريئة، وصموده في وجه

التحديات الاسرائيلية - الأمريكية والتي أثبتت التجارب أنه الجـدير بحمل هذا الدور القيادي للأمة العربية.

وبذلك أكون قد حققت تواصلاً تاريخياً وسياسياً مع مولفي الأول "تاريخ الحرب والاستراتيجية وملامحهما العربية" والذي مضى على طباعته حوالي الخمسة عشر عاماً، وبهذا اعتقد أنني قـد حققـت الغاية المنشودة التي أردتها وأستطيع بعدها أن أبدأ بتحضير دراستي الجديدة والتي أعتبرها حلماً أرجو تحقيقه في المستقبل وهو كتـاب يشمل حركات التحرر والاستقلال للدول العربية بالكامل وقد باشـرت بالفعل في الإعداد له منذ فترة، بالإضافة إلى مؤلف آخـر يتضـمّن الصراع العربي- الصهيوني من خلال حروب العرب مـع اسـرائيل (حرب ١٩٤٨ - ١٩٥٦- ١٩٦٧- ١٩٧٣) بشكل تفصيلي ودقيق من خلال جبهات القتال...

والشكر كل الشكر لجميع الذين شجعوني وقـدموا لـي العـون والمساعدة كي أحقق بعض ما أطمح إليه "وا في عون العبد مادام العبد في عون أخيه".

الهــوامش

هوامش الفصل الأول

(١) -رواد الاستراتيجية الحديثة - الجزء الأول (مرجع).

(٢) ف٣ -أصول الحرب الحديثة من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر ص١٠-١٩ (نفس المرجع)

(٣) ف٥ -أصول الحرب الحديثة من القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى ص ١٩-٣٠ (الجزء الثاني من نفس المرجع).

(٤) ف٥ -أصول الحرب الحديثة من القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى ص: ٣٠-٤٥ (نفس المرجع-الجزء الثاني).

(٥) ف٦ -آدم سمث، الكسندر هاملتون، فردريك ليست ص:٥٠-١٢٥ (نفس المرجع-الجزء الثاني)

(٦) ف٧ -أنجلز وماركس ص:١٤٣-٢٠٤ (نفس المرجع-الجزء الثاني)

(٧) ف٨ -فولتكه وشليفن: المدرسة البروسية الألمانية ص:٢٠٥-٣١٠ (نفس المرجع-الجزء الثاني)

(٨) ف٩ -المدرسة الفرنسية ص:٣١٢-٣٩٠ (نفس المرجع -الجزء الثاني).

(٩) ف٩ -دوبيك وفوسن ص:٣٩٠-٤٠٠ (نفس المرجع-الجزء الثاني).

(١٠) ف١٣-قسم (٤): من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية (نفس المرجع-الجزء الثالث).

(١١) ف١٣ -قسم٥ النظرية الألمانية للحرب الشاملة (نفس المرجع-الجزء الثالث).

(١٢) ف١٤ -النظريات السوفياتية للحرب (نفس المرجع- الجزء الثالث).
(١٣) ف١٥ -عقيدة الدفاع - ماجينو (نفس المرجـع- الجزء الثالث) الاستراتيجية والسياسة الدولية.
(١٤) ب٧ -حرب وأزمات دولية: حرب ١٩٦٧ ص٥٧٥.
(١٥) ب٧ -حرب وأزمات دولية: حرب ١٩٧٣ ص٥٧٩.

-الاستراتيجية والسياسة الدولية -المفـاهيم والحقـائق الأساسـية (مرجع)

(١٦) ب١ -حقائق القوة والصـراع فـي الاسـتراتيجية الدولية المعاصرة.
(١٧) -حقائق القوة والصراع في الاسـتراتيجية الدوليـة المعاصرة ص:١٠٨-١٢٥ (نفس المرجع السابق).
(١٨) ب٢ -توازن القـوى التقليـدي ص:١٠٨ (نفـس المرجع).
(١٩) ب٢ -الاســتراتيجية النوويــة ص:١١٥ (نفــس المرجع).
(٢٠) ب٢ -حروب الاستنزاف ص:١٣٨ (نفس المرجع).
(٢١) ب٣ -الاســتراتيجيات الدوليــة للقــوى الكبــرى ص:١٨١ (نفس المرجع).
(٢٢) ب٣ -الاستراتيجية النوويـة الفرنسـية ص:١٩٧ (المرجع السابق).
(٢٣) ب٣ -الاستراتيجية النوويـة السـوفياتية ص:٢٠٠ (نفس المرجع).
(٢٤) ب٣ -الاسـتراتيجية النوويـة الصـينية ص:٢٠٩ (المرجع السابق).
(٢٥) ب٤ -الأحلاف العسكرية وتدابير الأمـن الجمـاعي ص:٢١٧-٢٤٦ (نفس المرجع).

(٢٦) ب١٢ -سياسات عربية وإفريقية وشرق أوسـطية ص:٥١٩ (نفس المرجع).
(٢٧) ب١٢ -نظرية الأمن الاسرائيلية ص:٥١٣ (نفـس المرجع).
ب١٢ -خط بارليف ص:٥٣٤ (نفس المرجع).
(٢٨) ب١٢ -الأسلحة الذرية الاسرائيلية ص:٥٣٧ (نفس المرجع).
(٢٩) ب١٣ -حرب وأزمات دولية:حرب ١٩٦٧.
(٣٠) ب١٤ -علاقات اقتصادية دولية: حرب ١٩٧٣.
(٣١) ب١٤ -الجماعة الاقتصادية الأوربية والتعمير ص: ٦٠١.
- الحرب الاقتصادية ص:٦١٠.
- البترول والاستراتيجية الدولية ص: ٦١٣.
هوامش الفصل الثاني:
(٣٢) -حرب صدام ضد الثورة الإسلامية (مرجع)
ف٢ -لماذا أشهر نظام صدام حرب المسعورة ضد الثورة الإيرانية؟
١-صدام يجهز إنجازات ثورة تموز ويقيم نظامـه القمعـي الأسـود ص:٥٠ – ٦٢.
(٣٣) ٢-أسباب الحرب المفروضة و أهـدافها ودوافعهـا الحقيقية ص:٦٢-٨٢.
(٣٤) - أزمة الخليج وآفاق المستقبل (مرجع).
-هل انتهت حرب الخليج ؟ (مرجع).
(٣٥) ف١٤ -التنــازلات العراقيــة لإرضــاء إيــران ص:٣٤١-٣٤٦.
- يوميات الغزو الإسرائيلي (وثائق وصور) (مرجع)
(٣٦) -الحرب-الهجوم الإسرائيلي بعد الغـارات الجويـة وقصف بيروت واجتياح الجنوب ص:٦٥-١١٩.

الغزو الاقتصادي الاسرائيلي للبنان (مرجع)

(٣٧) -سياسة اسرائيل الإقتصادية إزاء لبنـان ص:١٣-١٥.

(٣٨) -وقائع الغزو الاقتصادي الاسـرائيلي ومقاومتـه ص:٤٣-٥٦ (نفس المرجع).

(٣٩) -وقائع الغزو الاقتصادي الإسرائليل ومقاومته مـن ١٩٨٢/٦/٦ – ١٩٨٤/٣/٥ (نفس المرجع).

(٤٠) ق٣-إنعكاسات إجتماعية للأزمة الاقتصـادية ص: ٨٧-١١٢ (نفس المرجع).

(٤١) أزمة الخليج وآفاق المستقبل (مرجع)

هل انتهت حرب الخليج؟ (مرجع)

(٤٢) ف١٣–مؤتمر القمة العربي في القاهرة ص:٣٠٠-٣٤١ (نفس المرجع).

(٤٣) القرارين ٦٦١ – ٦٦٢ لمجلس الأمـن ص:٢٩١ (نفس المرجع).

(٤٤) ف٢١ –مجلس الأمن القرار ٦٧٨ ص:٤٢٧ (نفس المرجع).

العمليات العسكرية البرية (مرجع).

(٤٥) ف٢ -خاصية مسـرح العمليـات وجبهـة القتـال ص:٣١ (نفس المرجع)

هل انتهت حرب الخليج(مرجع)

(٤٦) -هيكل التخطيط الأمريكي لإشعال الحـرب ص:٦٩ (نفس المرجع)

هوامش الفصل الثالث:

السلام الموعود (مرجع).

(٤٧) ب٢ -فلسطين من الجذور حتى القرن التاسع عشر (نفس المرجع).

هوامش الفصل الرابع

(٤٨) -الصهيونية الناشطة ورد الفعل الفلسطيني (نفس المرجع).

(٤٩) -مراحل الغزو الصهيوني لفلسطين ص:٥٦ (نفس المرجع).

-الحروب العربية - الإسرائيلية ١٩٤٨ (مرجع)

-حرب الهدنة الأولى والثانية ١٩٤٧-١٩٤٨ ص:٧-١٢٥

السلام الموعود (مرجع).

(٥٠) -نفوذ الصهيونية ص:٢٦ (نفس المرجع).

(٥١) -نفوذ الصهيونية في العالم ص:٨٤ (نفس المرجع)

(٥٢) -مراحل الغزو الصهيوني لفلسطين ص:٦٥ (نفس المرجع)

الصهيونية (أعلى مراحل الإستعمار) (مرجع)

(٥٣) ف٧ -ظروف التقسيم ص:١٤٩ (نفس المرجع)

(٥٤) ف٨ -ما بعد التقسيم (نفس المرجع)

هوامش الفصل الخامس:

العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد حرب تشرين التحريرية (مرجع)

(٥٥) ف١ -العقيدة العسكرية وتطورها (نفس المرجع)

الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية عام ٢٠٠٠ (مرجع)

(٥٦) ف٢ -الدور الاسرائيلي والنظام العالمي الجديد ص:٨١ (نفس المرجع)

العقيدة العسكرية الاسرائيلية (مرجع).

(٥٧) ف٣-قسم١ -طرق خوض الحرب المقبلة بين العرب واسرائيل ص:١٣٤ (نفس المرجع).

الاستراتيجية الاسرائيلية عام ٢٠٠٠ (مرجع).

(٥٨) ف٩ -اسرائيل وحروب المستقبل ص:٣٨٥.

تاريخ الحرب والاستراتيجية وملامحهما العربية (مرجع).

(٥٩) ف٤ -الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ص:١٠٤.
(٦٠) -الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية (نفس المرجع).
هوامش الفصل السادس:
الاستراتيجية والسياسة الدولية (مرجع).
(٦١) -حقائق القوة والصراع في الاستراتيجية الدولية المعاصرة ص:١٠٨ (نفس المرجع).
(٦٢) ب٢ -الاستراتيجية النووية ص:١١٥ (نفس المرجع).
(٦٣) ب٢ -توازن القوى التقليدي ص:١٠٨ (نفس المرجع).
(٦٤) ب٣ -الاستراتيجية النووية السوفياتية ص:٢٠٠ (نفس المرجع).
(٦٥) ب٩ -العلاقات الأمريكية الأوربية ص:٤٦١ (نفس المرجع).
(٦٦) ب١٣ -حرب وأزمات دولية : حرب اكتوبر ١٩٧٣ ص:٥٧٩ (نفس المرجع).
المعنى والقوة في النظام العالمي الجديد (مرجع)
(٦٧) ف٤ -الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة ص:١١٣ (نفس المرجع).
(٦٨) -حديث صريح حول موضوع راهن (مرجع).
أمريكا والفرصة التاريخية (مرجع).
(٦٩) ف١ -العالم في الواقع ص:٧
(٧٠) -عالم الإسلام ص:١٤٣ (نفس المرجع)
(٧١) -الخاتمة: كيف تقوم أمريكا العالم ص:٢٧٣ (نفس المرجع).
الاستراتيجية العسكرية (مرجع).
(٧٢) ب١ -الاستراتيجية والسياسة ص:٢٦

(٧٣) ب٢ -الاستراتيجية العسـكرية للـدول الامبرياليـة والإعداد للحرب ص:٨٣ (نفس المرجع).

هوامش الفصل السابع:

<u>قراءة في فكر الأسد (التاريخ لا تحركه الصدفة) (مرجع).</u>

(٧٤) -حركة التصحيح ص: ١٦١ (نفس المرجع).

(٧٥) -سورية ومسيرة السلام ص:٤٨٣ (نفس المرجع).

<u>-تاريخ الحرب والاستراتيجية وملامحهما العربية (مرجع).</u>

(٧٦) ب٤ –ملامـح الاسـتراتيجية العربيـة السياسـية والعسكرية المقبلة ص:١١٠ (نفس المرجع).

(٧٧) –مستقبل الاستراتيجية العربية من خـلال الصـراع العربي الصهيوني ص:١١٠ (نفس المرجع).

(٧٨) ب٢ –مراحل الغزو الصهيوني لفلسـطين ص:٩٣ (نفس المرجع).

<u>الحروب العربية – الإسرائيلية ١٩٤٨ – ١٩٨٢ (مرجع).</u>

(٧٩) -حملة سيناء ١٩٥٦ ص:١٢٩ (نفس المرجع).

<u>تاريخ الحرب والاستراتيجية وملامحهما العربية (مرجع).</u>

(٨٠) -ملامح الاستراتيجية العربيـة ص:١١٤ (المرجـع السابق).

المـراجـع

١- رواد الاستراتيجية الحديثة – (٤ أجـزاء)، ترجمـة وتقديم: محمد عبد الفتاح ابراهيم – مكتبـة النهضـة المصرية – بالتعاون مع مطبعـة مؤسسـة فـرانكلين للطباعة والنشر – القاهرة – نيويورك. طبعة ١٩٦١.

٢- المدخل إلى الاستراتيجية ، الجنرال بوفر.

٣- تاريخ الحرب والاستراتيجية وملامحهـا العربيـة، تأليف العقيد: محمد الزينو السلوم – مطبعـة الجهـاد بدمشق ١٩٨٤.
٤- الاستراتيجية والسياسة الدولية (المفاهيم والحقـائق الأساسية)، د.اسماعيل صبري مقلّد – مؤسسة الأمجاد العربية – طبعة أولى ١٩٧٩ – لبنان – بيروت.
٥- حرب صدام ضد الثورة الإسلامية، محمد أبو هاشـم – طبعة أولى ١٩٨٤ – مطبعة خالـد بـن الوليـد – دمشق.
٦- يوميات الغزو الإسرائيلي (وثائق وصور)، لبنان عام ١٩٨٢ – طبعة ثانية ١٩٨٣ – توزيع دار الأندلس – لبنان – بيروت.
٧- الغزو الاقتصادي الاسـرائيلي للبنـان - مؤسسـة الدراسات الفلسطينية – طبعة أولى ١٩٨٢ – لبنان – بيروت.
٨- العمليات العسكرية البرية في حرب الخليج الثانية - دار الحكمة – طبعة أولى ١٩٨٣ – دمشق.
٩- أزمة الخليج وآفاق المستقبل.
١٠- هل انتهت حرب الخليج ؟ دراسة جدلية في تناقضات الأزمة، سامي عصاصة - دكتور في العلوم السياسية والاقتصادية – دار بيسان للطباعة – بيروت – طبعـة أولى ١٩٩٤.
١١- السلام الموعود (الفلسطينيون مـن النـزاع إلـى التسوية)، عمر مصالحة – ترجمـة وديـع اسـطفان وماري طوق – دار الساقي – بيروت لبنان – طبعـة أولى ١٩٩٤.

١٢- الصهيونية-جذورها ونشأتها وأهدافها، تأليف خير حماد – وزارة الثقافة – دار الكاتب العربـي للطباعـة والنشر – فرع مصر ١٩٦٩.
١٣- الصهيونية (أعلى مراحل الاستعمار)، وزارة الثقافة – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر فرع مصر ١٩٦٨ – تأليف محمد فتحي الرملي – طبعـة ثانيـة ١٩٥٦.
١٤- الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكـا الخارجيـة ١٩٤٢ – ١٩٤٧ ، تأليف ريتشـارد. ب. سـتيفنز- الناشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
١٥- الصهيونية (بين تاريخين) القسم الأول السفير عبد النجار، القسم الثاني الدكتور كمال الحاج – دار العودة بيروت – طبعة أولى ١٩٧٢.
١٦- الاستراتيجية العسكرية الاسـرائيلية عـام ٢٠٠٠، أحمد بهاء الدين شعبان – سينا للنشر – طبعة أولـى ١٩٩٣ – جمهورية مصر العربية – القاهرة.
١٧- الاستراتيجية النووية الاسرائيلية (الـردع الشـامل والردع المحدد)، المقدم الركن أمين محمود عطايـا – باحث في شؤون الصراع العربـي – الاسـرائيلي) – مطبعة المنارة – بيـروت – لبنـان – طبعـة أولـى ١٩٩٥.
١٨- المعنى والقوة (في النظام العالمي الجديـد)، زكـي العايدي وآخرون – ترجمة سوزان خليل – دار سـينا للنشر – طبعة اولى.
١٩- أمريكا والفرصة التاريبة، ريتشـارد نيكسـون – د. محمد زكريا اسماعيل – مع تقديم تحليلي ناقـد بقلـم المترجم – مكتبة بيسان ١٩٩٢ – بيروت – لبنان.

٢٠- حديث صريح (حول موضوع راهن)، بوريس يلتسين – ترجمة نزار عيون السود – مطبعة سومر للدراسات والنشر والتوزيع – نيقوسيا – قبرص – طبعة أولى ١٩٩٢.
٢١- الاستراتيجية العسكرية، ف. د. سوكولوفسكي – مطبعة الإدارة السياسية – دمشق.
٢٢- العقيدة العسكرية الاسرائيلية بعد حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣، المقدم الركن أمين محمود عطايا – دار الرواد للنشر والتوزيع – طبعة أولى ١٩٩٢.
٢٣- الحروب العربية – الاسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٢، ترجمة بدر الرفاعي – تأليف حاييم هرزوج – سينا للنشر – طبعة أولى ١٩٩٣ – القاهرة – جمهورية مصر العربية.
٢٤- وثائق وزارة الدفاع الأمريكية في حرب الخليج (عاصفة الصحراء)، تأليف د. نبيل السمان – سمحتْ للنشر ١٩٩٣ – دمشق.
٢٥- قراءة في فكر الأسد (التاريخ لا تحركه الصدفة)، تقديم ابراهيم سعدة – تأليف عادل رضا – دار أخبار اليوم – القاهرة – طبعة أولى ١٩٩٣.

الفهـــــرس